



أضواء جديدة في تاريخنا الأثري





المؤرخ
فايز قوصرة

النسخة الالكترونية
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

تأليف- فايز قوصرة

أضواء جديدة
في
تاريخنا الأثري

(بحوث،ودراسات في الحواضر السورية)

تأليف- فايز قوصرة

المقدمة

هذا الكتاب مجموعة أبحاث ،ومحاضرات يجمع بينها التاريخ ،والآثار لتسلط أضواء جديدة بعد المكتشفات الأخيرة في الحفريات، محورها الأساسي سورية الطبيعية .أسميناه بالتاريخ الأثري، لأننا من أتباع المدرسة الطبوغرافية في تاريخ سورية التي أسسها الباحث الفرنسي(رينيه دوسو) و (جان سوفاجية) في القرن الماضي ويتبعهما الكثير من الباحثين السوريين والعرب، فلم يعد علم الآثار بعيداً عن التاريخ، بل أصبح هو جوهر التاريخ الحقيقي للمنطقة، بعد الكشف عن الكنوز السورية .

كتابنا يأتي ليقول للمؤرخين: عودوا إلى الآثار، فهي أسس عملكم التأريخي ، في دراسة حضارة هذا الشعب، والشعوب التي تواصلت معه، أو هو قد تواصل معها، آن الأوان لدراسة منجزاتها،لكي تفهم حضارتها بشكل أوفى وأعمق.

قسمنا كتابنا إلى قسمين:

الأول- في البحث عن أصولنا الحضارية، وشخصيتنا التاريخية.

الثاني- في حواضر التاريخ الأثري من الشمال السوري في أنطاكية، إلى أفاميا، إلى الجولان، إلى غزة في الجنوب السوري.

فايز قوصرة-ادلب- منتصف عام٢٠١٤م

دور علم التاريخ والآثار

في خدمة قضايا الأمة ومواجهة التحديات المعاصرة

تمهيد :

لا يخفى على أي باحث في التاريخ ، دوره الحضاري في بناء المجتمع ، طالما هو إرث إنساني دائم العطاء ... لكن المشكلة تكمن في أننا لم نفهم أن التاريخ قد أصبح علماً وليس فقط رواية هذه أولاً ، وأما الثانية - عدم فهمنا دوره لنعطيه المكان اللائق به في بناء المجتمع وأما الثالثة – علاقة التاريخ بالآثار والتي لم تأخذ دورها بعد في المقدمات و النتائج واما الرابعة - استبيان الرؤيا الواضحة في خدمة قضايا الأمة ومواجهة التحديات المعاصرة .

أولاً – التاريخ كعلم :

وهذا ليس موضوع بحثنا ، بل ما نريد قوله إن الكثير ما يزال يتعامل مع التاريخ كراوٍ يمجد الماضي ، وخاصة في مجتمعنا المحب لذاته ، صاحب أنشودة الأمجاد ، لذلك نجد في خطبنا وأبحاثنا التاريخية أننا نبتعد عن التعامل مع التاريخ كعلم ، وقلة قليلة التي قامت بدراسته كعلم له منهج وغاية، وهي التي فهمت رسالة المؤرخ، فبدلاً من أن يكون التاريخ عندنا نقطة انطلاق لمواجهة الواقع، أصبح عائقاً، لأنه لم يأخذ دوره كعلم، ويحل المسألة المستعصية اليوم في نظرتنا إلى التراث، بحيث أصبحنا نعطيه هالة القداسة(والتي لا يجوز المساس بها) فأصبح عائقاً أمام السير في الركب الحضاري .

ثانياً-دور التاريخ في بناء المجتمع:

حين نؤمن بأن التاريخ أصبح علماً، نكون قد بدأنا السير في حل المشكل التاريخي بين النظر والعمل، وبرأي مهمة المؤرخ العربي العلمي اليوم هي حل هذا الإشكال تاريخياً:

ا-في البحث عن جذور هويتنا .

ب-في توضيح هويتنا .

ج- في فهم الحضارات الاخرى .

*نشرت في دمشق-مجلة المعرفة السورية العدد ٥١٤ تموز ٢٠٠٦م

ولنقلها بصراحة، مازال تاريخنا يعلم الفردانية والاستبدادية، بل يجذرها، وكذلك روح التعصب، وكأن حضارتنا هي في أصولها كذلك، بل العكس ، هي وعاء صبت فيه الحضارات أقنيتها المدنية

أليس الجدير بنا أن ندرس تاريخنا في نقاطه الحضارية المشتركة، بدلاً من دراسته كوحدة قائمة بذاتها بعيدة عن التفاعل الإنساني !!

كيف نطلب من التاريخ أن يكون له دور ونحن نقدمه بلا فلسفة تاريخية ، كم نحن بحاجة الى فلاسفة في التاريخ يقدمون لنا رؤية كالتي قدمها في القرن الماضي كل من(اشبنغلر) الألماني (وتوينبي) الانكليزي، فما زلنا نتعامل مع التاريخ وكأن دوره راوٍ بدون دراسة واقع هذا الراوي ، وديناميكية مجتمعه ، وكأنه دمية تحركها الأحداث ، بدون رؤيا في فلسفة الحضارة وماذا كانت النتيجة ؟ إنها امامنا في انسان لا يتفاعل حضارياً ، بل لم يعد يؤمن بالتقدم ، وكأنه بلا حول ولا قوة وكان تاريخه عرض أمجاد ، بدلاً من أن يكون حافزاً لصنع الحضارة

* *

ثالثاً – علاقة التاريخ بالآثار :

أصبح علم الآثار يقدم لنا مادة غنية متسارعة في المعلومات غير المتوقعة ، والتي قلبت الكثير من مفاهيمنا ، دون تأثير في نظرتنا الى التاريخ ، ولكن في العقود الأخيرة ، أصبح للآثار الدور الأرجح ، وبدأ المواطن ينتظر الجديد في هذا العلم، وكأنه بدأ يدرك أن تاريخه حي دائم العطاء من خلال هذا العلم، لذلك على المؤرخ أن ينزل (من برجه العاجي) الى علم الآثار، ليكون إحدى قنواته الرئيسة في حركية التاريخ وفلسفته ، وإلا سيكون بعيداً عن منهجيته التي وضحناها فيما قبل ، وليدرك المؤرخ أن علاقته مع علم الآثار وطيدة لا تنفصم عراها لأن :

أ – الشواهد الأثرية هي وثيقة تاريخية لفهم الماضي والتحول البيئي الميداني، لفهم حركية المجتمع .

ب – يعطينا صورة حقيقية عن أسلافنا، وما قدموه للبشرية بصدق ووضوح، وتكون بذلك دراستنا منهجية ، تجعل من علم التاريخ علماً بكل ما في هذا المصطلح من معنى ، فلكل علم أداة وأداة المؤرخ الأولى اليوم هي علم الآثار .

* *

ج – كان التاريخ رافداً من روافد الوطنية في كل مجتمع ، وأصبح اليوم علم الآثار رافداً آخر ، محسوساً مشاهداً من قبل الجميع ، وبذلك يقترب المؤرخ أكثر نحو الواقع .

د– حين يدرك المؤرخ ذلك ، بإمكانه وضع رؤيا واقعية ، وليس من نسج الخيال ، فيتحول المؤرخ من دور (الراوي) الساكن، الى دور المحرض، فيكون بذلك أحد العوامل الأولى في بناء مواطنية المواطن ، لأن من يفهم تاريخه ويقدم له بالشواهد ، سيحب بلده ، ويدافع عنه. وبناء على ما تقدم ، يمكننا الانتقال الى الفقرة الأخيرة .

* *

رابعاً : الرؤيا في خدمة قضايا الأمة ومواجهة التحديات المعاصرة :

يحضرني هنا قول مونتسكيو" إن كل مواطن مدعو للموت في سبيل وطنه، ولكن ليس من أحد مضطراً للكذب في سبيل الوطن " ... وإني أضع المؤرخ في المقام الأول ، فهو النبع الذي يرجع إليه كل مواطن ، يشرب من مائه العذب ، لذلك عليه أن يبتعد عن المجاملات ، ويوضح حقائق تاريخه بصدق وشفافية، من أولاها أن يقدم له (الطفرة المفقودة) ليرشده كيف ينتقل من واقع التخلف الى حقيقة التقدم ، ويقدم له (الرؤيا التاريخية) ويضعها في خدمة قضايا الأمة الأساسية وأولاها: تحرر الفرد وثانيها : بناء المؤسسات وثالثها: تفعيل الفرد والمؤسسات ورابعها : انفتاح العرب على بعضهم وخامسها : تفتح العرب على العالم .

كيف سنواجه التحديات المعاصرة ؟! وشخصيتنا قد زعزعت أركانها ، إن الرجل الأوروبي قد آمن بتفوق أوروبا منذ قرنين ، ونحن تتزعزع ثقتنا بأنفسنا ، ولذلك تاه الانسان العربي ، وأصبح بحاجة الى غذاء جديد يقدمه له تاريخه ،

لذلك وجب علينا إعادة قراءة التاريخ ضمن رؤيا جديدة من أسسها برأينا :

أ – الانسان هو المسؤول عن مصيره

ب – حضارة المنطقة رغم تأكيدنا (وحدانيتها) فهي في حالة تفاعل دائم تعطي وتأخذ .

ج – إنسان حضارتنا وكما أكد د . قسطنطين زريق تاريخي ، بمعنى أنه حيّ فاعل، بهذه الصفة لايتأثر بالواقع فحسب بل يؤثر فيه .

واخيراً : إنني كباحث في تاريخ المنطقة ، أقدم تجربتي المتواضعة ،لقد تأثرت بالفيلسوف التاريخي فخته وخاصة كتابه نداءات الى الأمة الألمانية فوضعت كتيباً أسميته (خطاب الى أبناء إدلب) عام ١٩٩٥ فعَلت التاريخ تحليلاً ، منطلقاً من الطروحات التالية :

١- هل نحن فاهمون لماضينا ؟
٢- وهل نحن نعيش واقعنا ؟
٣- وهل أعددنا العدة لمستقبلنا ؟

قمت بعرض التكون الثلاثي (الأرض – الانسان – الفكر) وتقديم الحلول لها تحت عنوان :

(من السلوك السلبي الى الفعل الإيجابي) موضحاً القضايا الثلاث :

١- المجتمع المتحرك
٢- الفكر المستنير
٣- العلم والتقانة المتقدمة

ماذا كانت ردود الفعل ؟ الجميع قالوا لماذا لاتضع كتاباً تحت عنوان خطاب الى أبناء سوريا ، وآخر خطاب الى أبناء العرب . وإنني أقدم ورقة العمل من خلال تجربتي في ان تكون الرؤيا التاريخية لخدمة قضايا الأمة ومواجهة التحديات المعاصرة من خلال إعادة كتابة تاريخنا ضمن الأسس التالية :

أ – أهمية الأرض والدفاع عنها

ب – الانسان محور التاريخ وليس السلطان

ج – الفكر الحر المستنير ودوره في صنع التاريخ

د – حيوية تراثنا وتفاعله مع تراث الشعوب .

واما التحدي المعاصر فهو واقع ، علينا مجابهته بروح موضوعية ، ورؤيا تاريخية حية ، تفتح جميع النوافذ لكل التيارات ، لكن لا تسمح لها بهدم بيتنا الحضاري .

القسم الأول
في تاريخنا الأثري العتيق

أصول الشخصية الحضارية
في الشمال السوري
(شخصية إبلا الحضارية)

أولاً- تعريف بالمصطلحات :

لا يختلف أي دارس لمجتمع في إبداء القول إن معايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات...

ونحن الباحثين في أصولنا الحضارية، علينا البحث عن مثل هذه المعايير، فليس التاريخ هو صراع وقتال بين الحكام، أو تماثيل جميلة نسلط الأضواء عليها فقط.. بل هو تراث ممتد عبر العصور...يعيش بين عاداتنا وتقاليدنا، أو في تراثنا الشفاهي، يومياً نحن نعيش هذا التاريخ...هذا ما تهدف إليه هذا البحث مؤكدين إن هذا الامتداد الزمني الطويل والعريق عبر خمسة آلاف عام، قد كونت فيه أسس شخصيتنا الحضارية فماذا نقصد بالشخصية هنا!؟هناك تعريف نفسي للشخصية يقول ((هي ما يسمح بالتنبؤ بما سيفعله الفرد يوما ما في وضعية محددة)) ولكن التعريف الحضاري لها أشمل وأوسع (بحيث تقاس من خلال التعامل مع الغرباء عن واقعنا بما يسمى شخصية المكانة بالإضافة إلى الشخصية الاساسية لتدمج به دمجاً كاملاً...)

كما ينبغي لنا التفريق بين معرفة نظام معين من نظم القيمة والموقف، وبين المشاركة في مثل هذا النظام... فلكل مجتمع نموذج خاص للشخصية الأساسية،

ومجموعة خاصة من شخصيات المكانة تختلف من بعض النواحي عن مجموعات المجتمعات الأخرى...ونصل الى القول: إن معايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات والحضارات بحيث نرجع إلى القول يجب اعتبار الحضارة العامل السائد في تقرير نماذج الشخصية الاساسية لمختلف المجتمعات.

فما هي الحضارة ؟ هي خلاصة المكتسبات والإنجازات الإنسانية، تختلف باختلاف المراحل التاريخية... إن عالم الاجتماع يأتي ليعمم بعد ملاحظته سلسلة من الحضارات والمقارنة بينها ..وللدلالة على طريقة الحياة التي يتبعها مجتمع معين، وليصل إلى القول (هي الأرث الاجتماعي لأعضاء المجتمع) وتشمل الحضارة على حضارتين ،الظاهرة وهي عامل رئيسي في النقل، والمستترة، وهي الحالة النفسية والتي نسلط الأضواء عليها هنا، من خلال الأنماط المثالية التي اكتسبها أبناؤنا من أسلافنا في إبلا وغيرها. ومن هذه الأنماط المثالية "اللغة" والتي هي أحد الإنجازات في حضارتنا.. وسنركز الحديث عن أصولها في حضارة الشمال السوري.

يقول العالم النفسي سكنر (الإنسان أسير أفكار بيئته ، تماماً كما أن الحيوان أسير عادته) .

لذلك سنتطرق أيضاً إلى الحديث عن الأدب والأساطير والمعتقدات في تاريخنا القديم ، لنصل إلى القول إنها مازالت حية في سلوكنا اليومي وعاداتنا الاجتماعية...

*　　　　　　　*

ثانياً – من نحن ؟ هذا السؤال كان يوجه إلي في زياراتي لأوروبا ، وخاصة مع الأصوليين مهما اختلفت اتجاهاتهم.. كانت إجابتي–من انتم أولاً؟ لأجيبكم من نحن ؟ وكنت أقف في موقع المهاجم قائلا : إن جذور وأصول حضارتكم ليست من بلادكم، بل من أرضنا في سورية – طبعاً لا أقصد سورية الحالية بل سوريا القديمة والتي تشمل جنوب الأناضول ولبنان وفلسطين والأردن- من أبجديتنا إلى طبنا كان لنا قبل أن يكون لكم .. ومعتقداتنا أثرت في معتقداتكم وليس العكس ، فالمسيح نحن أعطيناكم إياه ، فهو ابن حضارتنا وليس ابن حضارتكم القائمة على الأطماع والاستغلال، هو رسول المحبة والسلام ، وليس التدمير كما فعلتم في الحروب الصليبية والاستعمار الحديث ..

لندع لهجة الخطاب ، إلى لهجة التوقف مع الذات ، بشكل موضوعي من نحن إذن ..؟ سؤال ينبغي الإجابة عليه من كل منّا، حسب أنماطه المثالية التي تلقاها عبر العصور في تراث حضاري مكتسب ! يمكن القول :نحن أحفاد هؤلاء الأسلاف في إبلا وماري و ألالاخ و يمحاض واوغاريت و أنطاكية

* *

هذا البحث حين بدأت في كتابته منذ سنوات، كان الهدف منه تبيان الأسس القديمة لشخصيتنا الحضارية، بأسلوب علمي منهجي، بعيداً عن الإيديولوجية المسبقة، لكن بعد الإطلاع على دراسات الآخرين، والمشاركة في ندوات جامعية، والتواصل الثقافي معهم، تبين خطأ المقولة الشائعة في تحديد كلمة (العرب) على عرب الجزيرة أو عرب الحجاز بالذات، وكأن الشمال السوري ليسوا عرباً، وأن اللغة العربية قد كان مهدها الجزيرة العربية، أو جنوبها، وأن منطقتنا لم تكن عربية، حتى جاء الإسلام فعربها، أو تعربت عبر الزمن !!

((هذا التعرّب مصطلح آخر جرّ إلى مشكلات عديدة، فإن مجرد قبول فكرة التعرّب (الذاتي) أو التعريب (المفروض) يعني التسليم بأن هذا الشعب أو ذاك لم يكن (عربياً) أو يمت إلى العروبة بسبب، وما نقوله بوضوح: هو أن هذه الشعوب لم تتعرب، ولكنها كانت عربية أصلاً، بلْ هي أكثر عروبة من عرب الحجاز أنفسهم[١])). وأقدم نص عثر فيه على كلمة عربي في الأكاديّة = اريبو = بتعاقب العين والهمزة يرجع إلى أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وإن الجزيرة العربية كانت تستقبل المهاجرين إليها من الشمال ومن الجنوب، بل من الغرب أيضاً .. نحن نفضل تسمية سكان هذا الوطن – المعروف بحدوده الآن باسم العروبيين[٢]. والجذر يظل (ع ر ب) ومنه العروبة والعروبية، وليس العربية التي باتت تدلّ على أهل الجزيرة عند معظم الباحثين. لذلك يمكن القول إنّ سكان إبلا حين هاجروا بعد زوال نفوذها في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م قد نقلوا معهم إرثهم الثقافي، وعلى الأخص اللغة والدين، ولو تمعنا قليلاً – وكما سيرد – في أصولها الحضارية لوجدنا أنها كانت عروبية، وامتدت إلى أوغاريت، فمن الشمال ((كانت هجرات إلى شمال أفريقيا (ربما تجاوزت الدلتا لاكتظاظ هذه المنطقة بالسكان منذ القديم – كما يذكر أبو التاريخ هيرودوت –

---

١ –هذا الرأي للدكتور علي فهمي خُشيم الذي تعرفت عليه في ليبيا، أستاذ التفسير في جامعة طرابلس، رئيس مجمع اللغة العربية. أنظر مجلة الوحدة العدد ٤٢ آذار ١٩٧٧ ص٧٤–

٢ –نفس المرجع السابق الصفحة ٧٨

أشهرها من أنشأ (قرطاجة) وهي تعني: قرت – حرش = القرية الحديثة (أوغاريت الجديدة) إحياء لذكرى قرت (أوغاريت) العاصمة الكنعانية على ساحل الشام[٣])) .وظل اسم قرتا – نيكرتاي يرد في العهدين الروماني والبيزنطي، في أسماء الكثير من قرى المنطقة، كـ (بسرمين قرتا)[٤] في وثيقة سريانية عام ٥٦٩م[٥]، وما زال اسم قرت في مصدره الأوغاريتي سائداً حتى الآن باسمه العربي قرية. إنّ شخصية أمتنا لمْ تأت من فراغ، ونحن لا نتفق مع القوميين الذين برروا وجود أمتنا كإرادة عاطفية، أو هي بنت عهدها، أي النزعة القومية التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين، أو كرد فعل للحكم العثماني في المنطقة.. بل نحن نؤكد من خلال الدراسات الأثرية أن الوحدة الثقافية للمنطقة هي كائنة منذ القديم في مجالي الدين واللغة، وهما عماد تكوين الأمة.

* *

ثالثاً – اللغة: في حياتنا وفي النصوص الإبلائية ، هي قديمة جديدة، ومن المغالطات التي وقع فيها الكثيرون أن سكان هذه المنطقة أو هذا الوطن، قد تكلموا لغات مختلفة، حتى جاء الفتح الإسلامي فتعربوا، فالإسلام قد عرب غير المعرب، وما كلمة عربي تعني قومي أو عرقي، بل بيّن، جليّ . وقد آن الأوان للقول: إنّ وصف عربي يمكن أن يطلق على أي لسان بالمعنى (الواضح – البين).

"ومن الخطأ إذا قصر صفة عربي على لسان أهل الجزيرة أو بالتحديد منطقة الحجاز ونجد. فلغة تلك المنطقة – في الحقيقة – ليست سوى لهجة من اللهجات العروبية... ولغة القرآن الكريم ذاتها كانت جماع لهجات مختلفة، أصبحت اللغة المشتركة أي اللغة الفصحى.. فلو ظهر النبي محمد(ص)في اليمن لكانت الحميرية هي اللغة الفصحى[٦]" ونقول أيضاً: لو ظهر في إبلا لكانت الإبلائية هي اللغة العربية الفصحى، أو اللسان العربي المبين.

وما هي لغة إبلا؟ هل هي لغة أم لهجة ! كلّ يدلي برأيه، مع أن "كلمة لهجة لا تختلف عن اللغة، فالجذر لهج (ومنه: لهجة = الجذر لغا ومنه لغة) فاللهجة

---

٣ – نفس المرجع السابق ص ٧٨

٤ –سرمين : بلدة تقع شرق ادلب

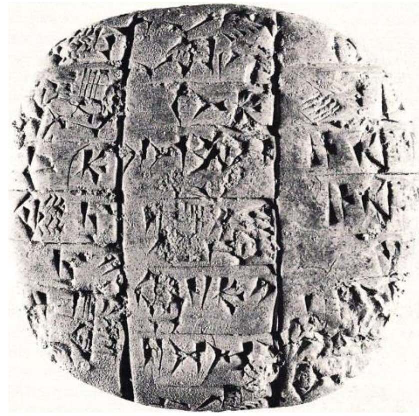
٥ –انظر كتابنا من إبلا إلى ادلب ص١٥٦

٦ –خشيم نفس المرجع ص٨١

واللغة اصطلاحاً شيء واحد. وابن منظور يستعمل لغة هذيل، ولغة حمير، ولغة الحجاز، وهو يعني لهجة. لكن الدلالة تطورت حديثا بحيث صارت كلمة (لغة) تساوي (لسان)، القرآن لم يستعمل لغة مطلقاً بل استعمل: لسان، وكلمة لهجة تدل على فرع من اللغة يختلف قليلاً أو كثيراً عن اللغة (الأم). لتطورات وأسباب عديدة[٧].



معجم إبلائي



رقيم من إبلا

إن النقوش الأثرية وكتاباتها، توضح هذه المسألة التي لم يعرها علماء اللغة العربية كثيرا، وكأن المكتشفات الأثرية لا تعنيهم في شيء، لذلك نطالب مجامع اللغة العربية بفتح قسم فيها للدراسات اللغوية القديمة، ووضع معاجم لها، فهي عروبية سواء كانت في مصر أو في الشام "نحن نسميها اللغة العروبية الأولى ،وهي تشمل لغات الرافدين والشام، والجزيرة، ووادي النيل، والشمال الافريقي، والحبشة، وتؤثر في لغات أفريقية وآسيوية كثيرة جداً. هذه اللغة العروبية الأولى هي التي وحدت الوطن العربي في القديم، ربما قبل عصر الهجرات[٨]"

---

٧ – خشيم نفس المرجع ص٨١–٨٢

٨ – خشيم نفس المرجع ص٨٢

وأما مصطلح (لغة الضاد) وأن مصدره الجزيرة العربية لم يعد مقبولا الآن بعد اكتشاف إبلا، إذ تبين لكل مطلع على نصوص إبلا ومفرداتها، وجود

أصمِدُ خبجي أصمِدُ السانم ، أصمِدُ دخر سينم، اصمدك عل ابنيم صلميم علْ زيدان أمان اصمدك على زنبات شمش لابنُم يلبَن ، لبتَّم علَّ بابي إنليل أبي إيلي وكبْكَبْ "	**الشرح :** الشاعر يريد لنفسه بأن تنذر ليوضع أمام محبوبته كل خوافي نفسه ومشاعره، كل تعابيره الشعرية وكل ما ادخره من قوت لأيام شدته . إنه سينحت تمثالاً من الصخر الأسود وسيضعه في مكان مرتفع ، وسينقش اسمه على فؤوس المحاربين وسيكتب على بابي الاله إنليل عبارات التمجيد ، وعلى أذيال الشمس ، سيذكر هذا المحبوب ، سيقدم الأضاحي سبعة رجال وسبع إماء في كل شهر وسيطلى بالبياض كل أبواب المدينة ولبنات الأسوار ، ولن ينغص محبوبه ... ولتكن روحها عالية في السماء ، فهي أسمى النساء

حرف الضاد فيها، وأكد هذا الرأي الباحث حميدو حمادة أمين لوحات إبلا سابقا والدارس للغة ماري وإبلا ، مؤكدا أن لغة الضاد ليست هي اللغة العربية المتأصلة في الجزيرة العربية، طالبا إعادة النظر في هذا المفهوم السائد، خاصة بعد العثور على وثائق كتابية كثيرة في إبلا وأوغاريت وبلاد سومر وأكاد... ولكن أهمها هي إبلا في بعض مفرداتها كـ (ضار شتم و ضِرْشُ = ضرس، وكلمة وضوء عندهم = وَضاؤُمْ أو وَضوؤُ ، وهذا دليل

على أنهم كانوا يعرفون الوضوء، وكلمة عِضُّ عندهم عِضَّ = عضُّ البان = غصن البان، وكلمة مَخَّضَ عندهم مَخّاضو وفي الأكادية مَخّاضُو، وكلمة حامض عندهم حَامِضُو. إذا حرف الضاد عندهم موجود، وفي الأكادية القديمة تحول إلى الصاد. وتبين قرابة لغة إبلا هي الأكثر إلى العربية من حيث الأصوات والمفردات، وأكثر انسجاماً مع أكادية ما قبل (سر جن) - الزعيم الأكادي الكبير- من حيث الكتابة والقواعد، وهي تشكل مع الأوغاريتية والعربية الجيل الأول والأقرب للغة أطلق عليها اصطلاحا (اللغة السامية الأم) ونحن نبدله بمصطلح (لغة إبلا هي اللغة العروبية الأم)

*   *

رابعاً- نصوص إبلائية .. قديمة جديدة : إن النصوص الأدبية المكتشفة فيها ذات طابع إيماني -ف إبلا عرفت التوحيد قبل مصر وكما سيرد ... إن ما يسمى بنصوص الحكم التي تربط الفلكلور والأمثال والنصائح السياسية، ونصائح الزواج وغيرها والمدونة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد من أهمها أنشودة النجوم في إبلا القصر الملكي تبين بعد دراستها من باحثين عرب ، مدى صلتها بالأدب والنحو العربي ..تبدأ الأنشودة :

لو تمعنا قليلا لوجدنا فيها قافية شعرية – وأما الأفعال :

أصْمِدُ

اصمدك	كلها أفعال مضارعة
يلّبن	أكادية عربية
ينخص	

ظاهرة المثنى :

(عل بابى انليل) قد انقرضت في اللغات " السامية " بل العروبية برأينا التي سادت في الألف الأول قبل الميلاد لكنها في لغة إبلا والعربية لغتنا اليوم ... مازالت موجودة حتى الآن لماذا ؟!

ولعل قصيدة " أنشودة النجوم " لو أجرينا تحليلاً اجتماعياً لها لوجدنا الشاعر سينحت تمثالاً من الصخر الأسود لحبيبته لماذا ؟!

السواد دليل الحزن وحتى الآن نستخدم القماش الأسود في هذه المناسبة ... ورقم /٧/ ما زال يستخدم بالأسبوعية – سبعة أيام – أسبوع الولد ... وتقديم الأضحيات من شعائرنا وعاداتنا ! وحتى الآن نخاطب الحبيبة أنت قمري أو شمس حياتي نشبهها باسم كوكب السماء . وتعني كلمة (كبب) في القصيدة الإله كوكب وهو مسجل في حياتنا حتى الآن كمواقع في جبل الزاوية قرية كوكبا الأثرية وفي جبل سمعان وفي جبل كوكب قرب مدينة الحسكة وفي أسماء نسائنا كـ كوكب الشرق أم كلثوم ومن القصائد المترجمةمباشرة النص التالي:

حيا يرأم اليرحم

اليرحم ابن عشتر قائم في المحراب

ببخور المر يتجلّى

البتولتان الحسناوتان ستشفعتا

وردتا الكرم وصدرتا

في كرم بخور المرّ طيِّب ودَّك

أخذت فاكِ ذا الرقة ،

أخذت عينيك الزرقاوين ،

أخذت حرك ذا الثنية.

ألستم معي أن هذه القصيدة الغزلية تضاهي غزليات كثير من الشعراء، وعلى رأسهم نزار قباني، في التغزل بالعيون الزرق والشفاه الحارة، والجسد الغض، والرائحة الطيبة.

* * *

لننتقل إلى اللغة الإبلائية وبعض مفرداتها ماذا سنجد ... اسمعوا معي:

إبلائي	عربي	إبلائي	عربي
شرشوم	شرش	أخاتوم	أخت
اخيرتوم	الأخير الباقي	اوموم	أم
بيتوم	بيت	ناس	ناس أنس
إبلائي	عربي	إبلائي	عربي
ملكتوم	ملكة	عيئوم	عين
ملكوم	ملك	حيوم	يعيش حياة
ككابوتوم	كوكب	ظبيتوم	ظبية غزالة
زوزوباتوم	صبّ وحتى الآن نقول (البوتنجي) عندنا أي الذي يصب البيتوم فتأمل وكذلك اسم زوزو لكثير من النساء والرجال كـ زوزو	بعلو	سيد- مالك حتى الآن نقول عن الزوجة بعلتي أي سيدتي

	نبيل الممثلة المصرية الشهيرة وتعني صب أي صبابة = جميلة		
عينان	عينان	تنو	تين
مخوم	مخ	رِئش	رأس
شعراتوم	شعر	مشطوم	مشط
يدْين	يدان	حامضوم	حامض
أخوم	أخ	سمنوم	سمن
أخوتوم	أخوه	سمنو	دهن – زيت ومازلنا نقول (سمنو) أي أصله سميناً
طابوم	طاب طيب	يومو	أيام وفي العامية بالأعراس (اليوم يومو) ومرادها واضح
جمالوم	جميل – ودود	أرزاتوم	شجرة الأرز
وزاتوم	وزن	بدّالوم	بدل / تاجر
سمانوم طابوم	سمن طيب	شقيلوم	ثقيل

ملكوم	ملك حكم	هلاكوم	هلك

سيدهش كل مطلع على لغة إبلا لهذا التقارب الشديد والعربية وفي آخر لقاء لي مع البروفسور آركي دارس الرقم الإبلائية ، وبعد حوار طويل وساخن مؤكداً له أن لغة إبلا ما زالت حية في نفوسنا من خلال التراث الشعبي – ولهجتنا الدارجة وأسماء المواقع والعائلات والعادات البيتية والدينية المتوارثة عنهم بكل تأكيد !

ومن المفردات في إبلا ناس عندهم ناسي: وأنتم نلفظها بالعامية انتو وفي لغة إبلا انتانو ومع الزمن صرنا نلفظها انتو. وفي البيع والشراء نقول: مابدنا نراعي حدا أي لا نتساهل مع أحد في البيع والشراء، وفي لغة إبلا كانوا يقولون (راعينا هدّا) يقصدون راعينا هدد أي الإله هدد حامينا، ونلتجئ إليه نطلب الاستقامة معه، وهو معنى قريب لما هو شائع بيننا اليوم. كذلك نقول عن الماء الساخن أو الحار (المي حيمي أم لا؟) وفي لغة إبلا **ماؤ أمتوم (ماؤحمَّوتوم)** ونقول مي لإيديّ أي ماء ليداي وعندهم **ماؤإدا** للمفرد **ماؤيْداين** للمثنى، وتين عندهم **تينّوم**، ونقول اسمعو وعندهم **سمعوم** أي يسمع، ونقول اصبعو بدلاً من إصبعه وعندهم **اصبعوم**، وعينو عندهم **عينوم**، وضهرو عندهم **ظهروم**، وهكذا الكثير. يقولون **أكالوم** = يأكل. **عظموم** = عضمو عندنا في العامية بدلاً من عظمه أي حذفت الميم وهي مثل التنوين عندنا، تأكد لنا أننا في مفرداتنا العامية نتحدث لغة إبلا. وفي لهجتنا نحذف هاء الغائب بدلاً من قولنا يمينه نقول يمينو، وعندهم يمين تلفظ يمينوم ، ونلفظ سلوك الزذيل بكلمة : ما ارذلو! وعندهم **أرذالوم**.. وعن البيعة أو الدير يقولون بيْأتوم ، وفعل طحن عندهم طحاتوم، ونحن إلى اليوم نقول بالعامية طحنتوبدلاً من: هل طحنتم، ونقول بالعامية مينو هادا أي : من هو أو ماذا، وعندهم مينو=ماذا. كل هذا لم يتنبه له الباحثون الأجانب، لعدم إطلاعهم على جذور اللغة العامية، بل يترجم النص الإبلائي مباشرة إلى اللاتينية ثم لغة أخرى ثم إلى العربية.

ومن الأوزان عندهم (**شيقل**) ونحن نردد كلمة شقلي. وفي احدى الرسائل عبارة (زيت نوع أول) حتى الآن نستخدم مفهوم نوع أول.

في لغتنا العامية الدارجة نخاطب زوجاتنا بـ (احمى المى) وفي لغة إبلا (ماءتوم حماتوم)... ومن ألقاب العاملين في التجارة عندهم (لوكار – و- بدَلوم) وما زلنا نحن نستعمل في معاملاتنا مع الآخرين كلمة (بدّل) أو نسأل الشخص عن مهنته بقولنا (شو كارك – أو مالو كار). الكثير ... الكثير ... ويطول الحديث لذا ندعو علماء اللغة العربية والمجامع الى الاهتمام بلغة إبلا فهي أصل العربية ، وليس مصطلح السامية والذي أصبح غريباً عنا .. لذلك نفضل إطلاق اسم اللغة العربية القديمة أو اللغة العروبية على لغة إبلا، وليس إحدى اللهجات السامية ...

واكد هذا (ماتييه) رئيس البعثة الايطالية في إبلا " إن لغة إبلا المحكية من العائلات العربية القديمة والقيسيه الآرامية والفينيقية وبجانب السومرية والهيروغليفية وفي لقائي الأخير معه في إحدى الندوات قائلاً له " ألا يمكن اعتبار لهجة إبلا إحدى لهجات العربية القديمة ؟! أجاب : " يمكن ذلك "

أليس هذا إثبات آخر على أن لغة إبلا ما زالت حيّة في نفوسنا!. إذن بدون دعاية نحن حقاً أحفاد أسلافنا الأوائل في إبلا.

*　　　　　　　*

خامساً - المعتقدات والعادات :

في إبلا قدر عدد الآلهة /١٠/ إله وآلهة ، وفيها معابد كثيرة حتى الآن سميت مدينة المعابد ، ليس في العاصمة بل فيما جاورها من مواقع .



إبلا- معبد عشتار ١٧٠٠ق.م

إن الآلهة **عشارة** = ربة القمح هي عشتار عند الجميع ولكن في لغة إبلا (ش – ها – را) وبرأي ما زال هذا الاسم محفوظاً في معاملاتنا حين نقول اشهار عقاري أو الشهر العقاري وهذا الاسم ما زال محفوظاً في مصر ..

أي العقار سيبارك بتسجيله وسيدر علينا الخير وهذا مضمون ومعنى اسم هذه الآلهة بل لانبالغ إذا قلنا إن كلمة شهر هي في أصلها من اسم هذه الآلهة فتأمل **!**

واما الآلهة **رشف (آلهة الساقية)** فهي من الآلهة الرئيسه ، وكان لها بلدة خاصة تعبد فيها ، وقد وجدت مؤخراً في منجد اللغة العربية مايلي : " حوض رشف " أي لاماء فيه - رشف – أرشف الماء بالغ في مصه ، ولانبالغ في قولنا إن كلمة أرشيف الأجنبية هي في أصلها من إبلا ففيها نفس المعنى الحفظ والزيادة في الحرص كما في المنجد

الإله دجن: في إبلا هو الإله **داجون** عند الكنعانيين، وهو إله الحبوب، وما زلنا نستعمل كلمة دواجن على الطيور التي تأكل الحبوب.



إبلا -معبد رشف-١٧٠٠ق.م

واما الآلهة الشمسية **زيس – سيبش** وفي لغة اوغاريت **شاباش** ما زال هذا الاسم محفوظاً في مدينة **سيبش** في رومانيا وتعني **مدينة الشمس** وهذا دليل على تأثير إبلا الحضاري في قلب أوروبا وكذلك في أسماء عائلاتنا يوجد عائلة شاباش بإدلب ونقول حين يكبر الولد صار شاب أو شبشب وفيها نفس

المعنى بل إن أصل هذه الكلمة من اسم هذه الآلهة ، كما أننا في الأفراح مازلنا نردد شاباش دون أن ندري من أين أتت أو معناها.. بل هي قول أخذناه عن أسلافنا في إبلا وأوغاريت، وتعني أشرقت نفوسنا وشمست **!**

ومن الربات الممجدات في إبلا **(كورا)** إله القسم مازال محفوظاً في عدة قرى كورين – كوارو في محافظة إدلب وفي عائلات كوراني والكور ... بل إن المسلمين حين فتحوا هذه البلاد ، قسموها إدارياً الى كورة معرة مصرين – كورة سرمين – كورة مرتحوان[٩] ...

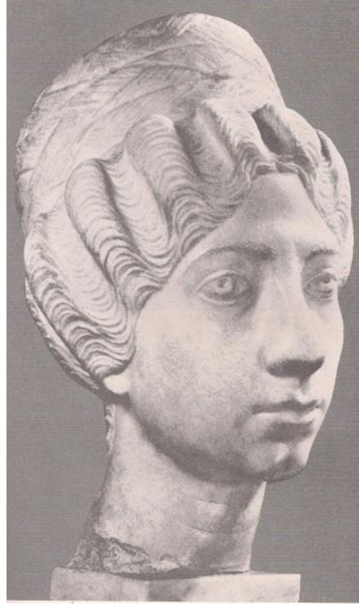
وتعني نفس المعنى لاسم هذه الآلهة .. ومن الطريف ان اسم **كورا** موجود أيضاً في الثقافة الإغريقية القديمة Agora(**أكورا**)=ساحة وسط المدينة فيها المعنى ذاته. وهناك الكثير من الأسماء الأوروبية لو بحثنا عن جذورها لوجدناها في الشرق ، وهذا له بحث آخر، لكن نعطي مثالاً بسيطاً حتى الآن لغة التخاطب الدبلوماسي بين الرجل والمرأة في كثير من لغات أوروبا كلمة دُمنول= سيد، دومنا = سيدة **وجوليا دومنا** التي حكمت في روما هي وأولادها والتي روت قصتها كتب التاريخ قد جاء اسمها من إبلا وهي في أصلها سوريه ... فالاله دامو أو أداما أحد آلهتها والحامي للأسرة المالكة . وحتى الآن نردد هذا الاسم في لعبة الشطرنج ضاما – داما ونقول دون أن ندري الأصل هي لعبة الملوك ، وهي حقا كذلك في أصل اسمها الإبلائي كآلهة حامية للملوك . وكذلك نقول (دامة صوف) وفي اسم عائلة قره دامور في محافظة إدلب . وفي قرية بداما في منطقة الجسر وفي اللاذقية ولقب عثماني أيضاً يدعى داما. بل لا أخشى القول قد يكون أصل اسم دمشق قد جاء من اسم هذا الإله في إبلا. وبعد الأكل تقول **(دايمي)** وتعني الشكر للإله دامو بمعنى الحمد لله وليس دائماً وأما الإله إيل فهو إله السماء ... ومازلنا نردد أغنية نجاح سلام هنا وفي لبنان أيلك أيولي وقد استمدت من تراثنا الشعبي وكثير من القرى والمدن في الشمال السوري فيها هذا الاسم.

أما الإله **زوينو** إله القمر ما زال هذا الاسم محفوظاً في أسماء العائلات زينو وزين وفي اسم زين الدين = قمر الدين وقد تكون أكلة قمر الدين في أصلها أكلة إبلائية **!** وفي اهازيجنا نردد **"** زين زين مكحول العين **!"** وتعني أن

---

[٩] –أسماء قرى فتحها المسلمون بجوار ادلب

عريسنا جميل اليوم كالقمر فتاملوا ألسنا نعيش أنماط ثقافة حضارتنا القديمة حتى الآن!



تمثال جوليا دومنا-ق٣م
متحف الأرميتاج

وآخر مثال حتى لانطيل عليكم بضرب الأمثلة اسم بلدة جرابلس شرق شمال حلب اسمها القديم **كركميش** وتعني ميناء أو سوق ، والاله **كاميش** في إبلا عرف باسم عيد كاميش ، والعيد يتم بشكل أكبر في سوق المدينة **!** إذن هو المعنى ذاته يعيش بين بلداتنا وحفلاتنا وطقوسنا لا أستطيع التوقف فالقلم يدفعني لذكر الآلهة المؤنثة بعلتو = سيدة وهي مؤنث من بعل ومازلنا نردد عن زوجتي بعلتي = سيدتي وعن الأرض غير المسقية أرض بعل وهي في أصلها بحاجة إلى تزاوج السماء معها لتعطيها الأمطار فيحصل الخصب والنماء . ومن المدن بعلبك الأثرية في لبنان جاء اسمها من إبلا . الإله حوم = إله الحكمة والنبع من الماء العذب وتعني حياة حي وهذا الاسم مازال محفوظاً في موقع قرية كفرحوم وقرية كفر حايا في محافظة إدلب وغيرها كثير في القطر وفي لهجتنا الدارجة (هالولد عمال بيحوم - اشبك عمال

تحوم كل يوم) أي يتجول هنا وهناك وتجواله هذا يعني الحياة أو اثبات وجوده كالماء المتحرك **!**

أقولها ولا أخشى إنك يا إبلا أبي وأمي إنك أصلي الحضاري، وقبل وداع إبلا لغة ومعتقداً نقدم لكم (صلاة إبلائية) سبقت (أخناتون المصري في التوحيد نحو ١٣٥٤ق.م) كما تعلمنا في المدرسة وهي ترقى إلى ألف عام قبله :

ربَّ السماوات والأرضين

إن الأرض لم تكن (موجودة) وأنت خلقتها ،

إن نور النهار لم يكن (موجوداً) وأنت خلقته

لم يكن نور الصباح قد أمرت بخلقه بعد .

أيها الرب (أنت) الكلمة الفاعلة

أيها الرب (أنت) البطولة [أفضل ترجمتها القوة]

أيها الرب (أنت) الذي لا يمل

أيها الرب (أنت) الذي ينجيّ

أيها الرب (أنت) الحياة السعيدة الأبدية

في هذه الصلاة نجد مفهوم التوحيد، وأسماء الله الحسنى قبل كافة الديانات القديمة المعروفة في المنطقة.

لننتقل الآن إلى جو آخر إلى **الأعراس** في حضارتنا القديمة ، وجوهر عاداتها مازال راسخاً في حياتنا الاجتماعية فإلى الآن نقدم الولائم والهدايا في هذه المناسبة ، ففي وثائق إبلا يعتذر أحد الولاة حين حضر للمباركة بزواج ابنة الملك عن عدم تقديمه الهدية المناسبة على أن يقدمها له في العام القادم وعادة المهر عندنا لها أصولها عندهم ، فعرس كيشدوت أخت ملك إبلا التي زفت إلى ملك كيش في بلاد مابين النهرين من مهرها :

٩٧٢ جاموس	١٨٦٠رأس غنم	فرس واحدة	١٩ ايلا
٧٦٨ ثور مسمن	٥ خنازير	٣٨٨ ثور لجر المحاريث	٢٤١ بقرة ولود

للذبح			
١٥٩ دابة من البغال محملة بالهدايا		١٤ دب	

ونظرة فاحصة الى هذا النقوط = الشاباش ، يعطينا بدلالة قاطعة غنى هذه المنطقة بالحيوانات ..

ويبدو أن شعب إبلا لم يكن راضياً عن هذا الزواج [لغربتها عنهم وطمع أحد أفراد الشعب بخطب ودها] ... لذلك حاول ملك كيش كسب رضى الطبقات الشعبية في الشمال ، فأرسل أخته زانيب دولوم = زينب دلال الى معبد نيداكول ، ولتصبح كاهنة فيه أي زواج بالمقايضة ... وهذه اشارة الى النفوذ الشعبي وقوة إبلا على غيرها وفي أعراس أخرى تحصل العروس على منسوجات وألبسة ومشابك من الذهب والفضة . وحين تلد إحداهن يرسل لها ألبسة ومشبك من الفضة وثوب لطفلها . ومازلنا حتى الآن نقدم هدية إما للأم أو الوليد ، ولم نحسم أيهما أحق بالهدية ... لأن أسلافنا الإبلائيين – الابلويين لم يحسموا هذا الأمر ، وتركونا حيارى في أيهما أحق بالهدية وقد يهدى لها مدنا إن كانت الزوجة أميرة من إبلا كالمرسوم الملكي الذي يذكر أن مدينة ايمار (مسكنه بالس) نهر الفرات ، قد أهديت إلى أحدى أميرات إبلا ، واعتبرت مهراً لزواجها كل هذا يشير إلى مكانة إبلا المتميزة في الشمال ، لتهدى مدينة ذات أهمية تاريخية لأميرة من أميراتها . و الفرس الواحدة هي للعروس ما زالت هذه العادة في تراثنا .

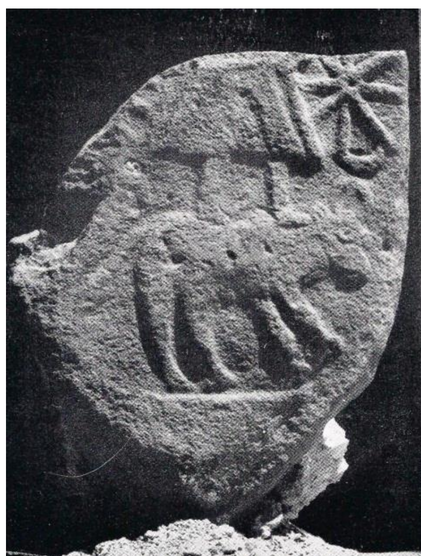
* *

سادساً- التراث الآرامي السرياني:

هناك حلقة غير مفقودة برأيي بين التراث الإبلائي – الأوغاريتي والآرامي إذ أنه امتداد له والذين أغنى هذه المنطقة في الألف الأولى قبل الميلاد بتراثه الثقافي وفنه المعماري ، وإن كان الآراميون موجودين في سوريا منذ القرن ١٥ ق. م . من ممالكهم **اجوشي** وعاصمتها **أرفاد** = تل رفعت الآن في شمال حلب والتي كانت تضم في وقتنا الحاضر مناطق عفرين – اعزاز – الباب – السفيرة – وجبل سمعان . وكذلك مملكتا آفس – وحزرك في محافظة إدلب اكتشف في النيرب جنوب حلب شاهدة قبر [هي في اللوفر الآن - فرنسا] فيها تلميح الى من يزيل هذا القبر ويعرض جسده للنقل الى مكان آخر ستلعنه الآلهة وتبيده وزرعه

[أهله ونسله] وإذا صان هذه الجثة فالآلهة أيضاً سيحموه ويصونوه ، مثل هذا التعبير وجدناه في الآثار الأخرى في العهد البيزنطي أي بعد أكثر من ألف عام – ولاحاجة لعرض الأمثلة فهذا له موضوع آخر – بل كذلك في الآثار الإسلامية ما زالت هذه اللعنة في نبش القبور وكثير من المواقع المتأخرة في العهد العثماني استخدمت هذا النمط الثقافي ليس في القبور ، بل حتى في الخانات والمنشآت الاجتماعية .

وأما لهجتنا العامية الدارجة من درس اللغة الآرامية سيقول هي في أصلها آرامية بحدود ٧٥ % عربية آرامية ولكن أرجح بحدود ٣٠ % إبلائية ٣٥%



نصب الإله حدد واقفاً على الثور
وأمامه الشمس والقمر-متحف حلب

آرامية والأكادية كامتداد للإبلائية ٢٠ % كنعانية و ١٥ % من لهجات أخرى أيضاً عربية قديمة .

ومن المفردات الآرامية التي مازلنا نردد معاً معظم أدوات الفلاحة والمصطلحات الزراعية – والسريانية هي رديف بل هي الآرامية بذاتها

سرياني	عربي	سرياني	عربي

ي			
منيح	حسن	سكِرْ	أغلق الباب
مي	ماء	سحنة	هيئة
معس	عصر	سرد	غربل
مرطوط	رداء وفي المثل الحلبي شرطوط مرطوط اسمه قميص	ندر	النذر
		لبش	ثياب ومايتبعها
		سريجة	جوالق من خوص
مار – مارى	السيد – القديس	إمت	متى
مسكين	فقير – ضعيف	اتغندر	تبختر
مرمر	نغّص [أغنية فيروز مرمر زماني التراثية]	ابتلش	ابتلى آذى
		بز	ثدي أو حلمته
مدينة	بلدة	بعق	صرخ
مطمورة	مخبأة – كنز	برا	خارجا
معك	دلك عصر ويقال معك الغسيل	براني	خارجي
		جوا	داخلاً
نطر	حرس	جواني	داخل
ذكر	ذكر	جب	بئر
محبوكة	مخلوطة	جرامة من	عظم واللحم
نطر	حرس	ذندل	ولى
ناطور	حارس	واوا	وجع ألم

ناقوس	جرس	زبون	مشتري
نبش	حفر	زفرة	مايطفو فوق القدرمن الأوساخ
سرياني	عربي	سرياني	عربي
نكش	حفر	نيشان	علامة رسمة
نقز	آلم	زرب	سال والمزريب معروف

ولو انتقلنا الى مملكة يمحاض – حلب في الألف الثاني ق . م والتي حكمت في الشمال السوري لوجدنا أهم إله فيها هدد إله القوة والمطر والعاصفة... وكان له فيها أكبر معبد، اكتشف مؤخراً في قلعة حلب.

نقول حتى الآن هد الحيط = حطمه بقوة وهدّني المرض = أضعفني كثيراً ومرتي هدتني = أتعبتني (و) نهدْ حيلي = ضعفت كثيراً والمثل المشهور " ما في بالميدان غير حديدان = أصلها ليس هناك أقوى من حدد إله القوة والاسم الشائع حداد للمهنة وللشخص وفي عائلات حديد – حداد – حيدان وعند رسم الحدود نقول هذا حدي وهذا حدك ، وكذلك كلمة هدنة تعني توقف القوة والعنف إذن نحن نردد مفاهيم وأنماط مقالة منذ آلاف السنين .

وفي مصطلحاتنا العامية نقول (ماحدا لحدا) وهي سريانية بالعربية حدا = أحد ونقول (شيل لبشك) أي خذ عفشك فهو ثقيل علي وشيل في أصلها إبلائية من الشقلة والتي نستعملها حتى الآن ولبش سريانية = ثياب وما يتبعها ونقول (لبيس يامو) = إلبس ياأمي و (وين رايح .. بدي كش الحمام) = أين ذاهب ... وكش = طير – زجر طرد.

وفي اللاذقية من أهم أنماطهم المثالية لهجتهم الدارجة والمتميزة عن غيرها فهي في أصولها كنعانية مثل عيّن = أنظر بينما نحن نلفظها شوف = أنظر وهكذا بامكاننا القول إن لغتنا الدارجة لو جمعناها مع بعض لكانت مزيجاً من حضارتنا الواحدة ، تفاعلت مع بعضها وشكلت اللغة العربية عبر العصور .

ونختم محاضرتنا بأنشودة شعبية في الأعراس نرددها ولا نفهم معناها مع أنها أصيلة في تراثنا الحضاري والكثير منا ينقلها ويسجلها دون تفسيرها بكل أسف :

ولك اله يساوى	يسهل ويوفق
دوص دوص	افرح وابتهج
مبروك [1] منيح	مرض وسار
هي بيبا[2] هي	هلهــلة

لفظة هللويه = سبحوا ورتلوا

وتفسيرها العام :

فليوفقك الهي ، افرح وابتهج ، فانه قران نعم القران، أو لأنه زواج مرضٍ وسار يأأحباء هللوا وأما فرحتنا بالعريس صلي على (عيسى - محمد) زين – زين – مكحول العين – واللي يعادينا الله عليه ...) هنهونة أصلها هونايا = تهنئة.

قد وضحنا معنى أصل كلمة زين إنها من اسم الإله الإبلائي زوينو = القمر أي أن عريسنا حلو كالقمر . ولنا مداخلة نفخر بها واكتشفناها أيضاً أن اسم العراق قد جاء من إبلا فاسم احد ملوكها (ايراكدامو) ولو حللنا اسمه لوجدناه مركب من كلمتين " دامو " الثانية شرحناها ونعني المحمية من الآلهة (Blood دم). والأولى "ايراك " هي = عراق وتعني الأرض الخصبة أي الأرض المعطاء كالدم للجسد والمحمية من الآلهة. وقد يكون هذا الملك قد غزا تلك المنطقة فسميت باسمه دون أن ندري ، مما يدل على التأثير الحضاري لإبلا في بلاد الرافدين. إذن ألا تعتقدون معي الآن ، وتسرون كما سررت لكل هذا التوضيح حول الأنماط المثالية الحضارية والتي كونت شخصيتنا .... وتوضح لكم أصولها .

وقبل الختام أدعوا الله أن يساعدني في الزواج بـ إبلا ثانية.. فمن هي أقول لكم:

---

[1] زواج ونقول مبروك للعروسين حتى الآن – جعى بوشنا اهتف واصرخ أو اهتفوا بقوة

[2] أصلها سريانية = يا أحباء

أن اسم إبلا = عبلاء = عبلة وتعني الشريط الضيق من الحجارة البيضاء، يحد أرضاً سمراء كما تنص عليه المعاجم العربية ... وهي في الواقع الجغرافي كذلك ... فالصخور في جنوبها وللشرق سوداء وفي غربها وشمالها بيضاء .. وفي ادبنا العربي قصة عنتر وعبلة معروفة هو أسمر وهي بيضاء . الاسم الأول موجود في حضارة الآراميين إذ كان عندهم ملك يدعى عترسمك (مملكة أجوش) وعبلة اسم إبلائي إذن عنتر الآرامي يريد الزواج من عبلة الإبلائية الأول أسمر والثانية بيضاء ، سبحان الله هما كانا كذلك وفي حضارتنا أيضاً وبنفس المعنى المفهوم، فهل هذا تزاوج حضاري حققه القدر كما حقق قدر عبلة لعنتر ... لكي أقول له دعها فأنا أحق بها ... لأنني حفيد هذه الحضارة المتمثلة في تراث مجتمعي الحي فوق هذه الأرض لقد كان أحد ملوك دمشق الآرامي (برهدد) وتعني ابن الاله هدد أي ابن القوة والجبروت ... وأنا أقول لكم دعوني أصل الى (بر) الأمان في نهاية البحث قبل أن يحل التعب بي و(بر) هنا تعني ابن فأنا كذلك، وحقاً ابن أصول حضارة الشمال السوري !

** **

المراجع :

١- مجموعة من الباحثين : أضواء جديدة على تاريخ و آثار بلاد الشام دمشق ١٩٨٩

٢- د . علي القيم : امبراطورية إبلا دمشق ١٩٨٩

٣- ماتييه وغيره : إيبلا – عبلاء الصخرة البيضاء دمشق ١٩٨٤

٤- قوصرة – فايز : من إبلا إلى إدلب – حلب ٢٠٠٤

٥- مجلة عاديات حلب العدد ٧ – ٨ – ٩ – ١٠ جامعة حلب

٦- كلينغل – هورست : تاريخ سوريا السياسي دمشق ١٩٩٨

٧-أرشيف إبلا العام .

٨-الخازن – نسيب وهيبة: من الساميين إلى العرب. بيروت١٩٨٠م

٩- داود – أحمد يوسف: تاريخ سوريا القديم

١٠- أقدم ما عرف عن تاريخ حلب- صبحي الصواف -

١١-أيوب – برصوم: الأصول السريانية في أسماء المدن والقرى السورية وشرح معانيها. حلب ٢٠٠٠ م.

١٢-الحلو - عبد الله : تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب. بيروت ١٩٩٩ م.

١٣-اسحق ساكا : السريان ايمان وحضارة ٤ أجزاء حلب ١٩٨٣ م الصواف.

١٤-اغناطيوس زكا الأول عيواص : كنيسة أنطاكية السريانية حلب ١٩٨١ م

١٥-عبد الهادي نصري : شمس آرام شمس العرب حلب ١٩٨٦

١٦-الزبيدي: تاج العروس في شرح القاموس- عدة مجلدات.

١٧-صبحي صواف : تاريخ حلب الجزء الأول قبل الإسلام – حلب ١٩٧٢ م

١٨-غريغوريوس صليبا شمعون : الممالك الآرامية حلب ١٩٨١ م

١٩-د فاروق اسماعيل : اللغة الآرامية القديمة حلب ١٩٩٧

٢٠-د.فيليب حتى:تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ جزء بيروت ١٩٨٣

٢١– باولو ماتييه وغيره : مملكة إيبلا وعلاقاتها الدولية روما ١٩٨٣

٢٢- شيفمان : المجتمع السوري القديم دمشق ١٩٨٧ .

٢٣ – عيد مرعي إبلا: تاريخ وحضارة دمشق ١٩٩٦

24- Archi – Alfonso : The role of Women in Society of Ebla – Rome

وغيرهـــــا من المصادر والمراجع والمجـــــلات

المرأة في إبلا

١- تمهيد : لم يكن المجتمع الإبلائي أقل من غيره من المجتمعات ، بل العكس كان متقدماً على غيره في موقع مكانة المرأة التي احتلت أرفع الرتب في القصر الملكي وخارجه . تسمى المرأة عندهم دام ويسبقها إن سيد – سيدة والتي تعني السيدة دام ، هذه الكلمة المشتقة من اسم الإله دامو = دم Blood / مما يؤكد على صلة المرأة بالآلهة وقدسية مكانتها ، وفي الرومانية استخدمت هذه الكلمة لاسم المرأة دومنا ، وأطلق على جوليا دومنا الحمصية الأصل في العهد الروماني . . وإلى اليوم يطلقون على السيدة كلمة دومنا وعلى السيد دومنول ، وفي الفرنسية لقب السيدة مدام . . إذن الاسم الإبلائي ما زال سائداً إلى اليوم .

وهذا الاسم ما زال موجوداً في موقعين : بلدة بداما في محافظة إدلب ، وقريه بداما في محافظة اللاذقية. فأصل الاسم في جوهره يشتمل على صلة الرحم والقربى والدم الواحد .

* *

٢- مكانة المرأة في القصر والمجتمع :

تدعى الملكة بالإبلائية ملكتوم – التأنيث في الإبلائية بالتاء – المرادفة لـ شاراتوم الآشورية و نين السومرية أي ملكة ، و لا يعني هذا أن الحكم بيدها ، بل هو لقب بالإسم كزوجة للملك .

كانت السلطة الملكية موزعة بين ثلاث : الأولى بيد الملك ، ويدعى بالإبلائية مَلِكوم ، الثانية بيد الوزير المساعد له ، والثالثة بيد امرأة وهي أم المــلك تدعى (آماكال إن) = السيدة الأم كال .

هذه الملكة الأم قد تنفذت لعدة سنوات، كما ورد في النصوص أسماء أميرات في إبلا منهن من تزوجن بحكام آخرين ، كالأميرة زائشة / عائشة ابنة الملك – إبي سيبش ، الأميرة تركبو ، والأميرة تيشمار – دامو الأميرة

إن – اوتو ، و الأميرة ماشيجيباعوت ، والأميرة تخادينو زوجة الملك (إركب - دامو) ماتت قبل زوجها بخمس سنوات . لذلك بحث عن محبوبة له حتى وجدها تدعى (ديوسيكو) لكنها لم تحصل على لقب ملكة ، ومع ذلك تمكنت من تنصيب ابنها (ايشار – دامو) ملكاً ، رغم صغر سنه . . . بعد عشر سنوات تزوج من الملكة (طابو – دامو) . . واسم طابو موجود للآن نعت للسجل العقاري . استمرت سلطة ونفوذ أم هذا الملك خمس سنوات بعد زواج ابنها. كانت الأسرة الملكية محبوبة ، إذ تقدم لها الهدايا وخاصة إلى أم الملك والوزير و لأبنائهم وبناتهم وزوجاتهم

هناك وثيقتان ورد فيهما ذكر المرأة : ١١ إمرأة عاملة في خدمة الملك و ١٤١ إمرأة يقمن بأدوار أخرى . دليل واضح على دور المرأة في القصر وخارجه . بينهن ١٢ مرضعة تسمى عندهم gadu = كادو (وهي كلمة يستخدمها الرومان بمعنى هدية) .

١٩ – ٢٠ مغنية تسمى عندهم (نارمن) وهو اسم شائع اليوم نيرمين=مغنين

٤ لوكا . . . ؟

١٦ عاملة اسطبل تسمى عندهم (إرجِجير)

٨ حاجبات يدعين (كُدِساك)

٤ عاملات للحديقة .

٢٢ مشرفة على مجموعات النساء ، تسمى عندهم (إب إب)

٢٠ آم – آ – آم

٣٠ – ٣٣ نساء مسنات يدعين (دام آبا)

ثم ٩ نساء أخريات . .

وفي مصر تدعى كبيرة السن أو المربية آبة وهي إبلائية في الأصل ، في الوثيقة الأخرى أكثر من ٩٠٠ خياطة يدعين (تك – نو – تاك) وتسع نساء يطحن الحبوب يدعين (دام – ككن)أما النساء العاملات في القصر فيدعين (أل – توش) ويعملن بالقصر (سا – زا) وعدد أقل يعملن في الجوار من القصر .

كان ينظر لأم الملك كغيرها من نساء الملوك المجاورة وأقرانها اللواتي يحملن رتبة دينية ، قد يسافرن إلى مراكز أصغر لأسباب دينية .

أما الملكة فقد كان ينظر إليها وإلى أم الملك ولسيدات أخريات كأنهن المقربات من الآلهة ، لذلك حظين بخادمات (إناث) معينات خصيصاً لخدمتهن . . برز منهن (دوسيكو) أم الملك وأخوات الملك اللواتي عشن في البلاط الملكي كـ اززادو = آر وتعني خصب عطاء جنسي ، وزادو تعني العطاء والطعام أي اسمها العطاء الجيد ، و دينيب- دولوم = زينب دلال – دلو أو بناته المدعوات بلهجتهم (دومو – مى – إن) = سيدة من دمي؟) وهذا الاسم مازال شائعاً (دمية) وتعني الفتاة الصغيرة . ومنهن (زوجالوم) التي كادت ستصبح ملكة حران في الشمال الشرقي من الرقة (في تركيا الآن) واسم زوجالوم اليوم نستعمله بلفظ زوجة .

هناك إحصائية للنساء المقيمات في القصر ١٥ – ٢٠ و أخريات عشن في أماكن أصغر خصصت للإقامة الملكية ، وذكر وجود عشرين صبية سيلتحقن بغيرهن بعد بلوغهن سن الرشد ، وهذه إشارة لتدريب الفتيات على العيش في القصر بعد دخولهن مدرسة خاصة ! !

ومن الملوك الذين أعطوا المرأة دوراً هاماً في المجتمع الإبلائي (إركب– دامو) في عهده المتميز كان يوجد حوالي خمسين امرأة لهن دور مميز فيها، ومنهن من كن يعملن لدى سلفه الملك (إغريش – خَلَب) .

ورد في النص الأول العائد لحكم الملك (إركب – دامو) ٢٦ امرأة من المرتبة الأولى و أخريات ٢٠ + ٥٢ إمرأة . وفي النص الثاني ٥٣ امرأة من المرتبة الأولى و ١٠٧ وصيفات ، كن يقمن بدورهن حسب مكانتهن الاجتماعية ، وطبيعة تعاملهن مع الموظفين ، كتسليم الملابس من قبل النساء كـ نساء الملك اللواتي يقمن في القصر ، و أخريات في بيوت أقل ، ويبدو أن أخوات الملك لا يعشن مع نسائه ، وكأنهن يعشن فيما يسمى (الحرملك = محجبات عن البقية من النساء) وتحركاتهن محدودة يتقيدن بآداب المُلك ، والعرف الملكي المتشدد ، رغم هذا التشدد الملكي فقد سمح لأميرات إبلا بالزواج لأماكن أخرى بعيدة كـ كِشِيدوت أخت ملك إبلا (ابريوم). أما النساء الأخريات ، فهن كالجواري الخاصة بالملك و الوزير وذوي الشأن في البلاط الملكي . وكان عندهم ما يسمى عندنا اليوم (الكبارية) من النساء المسماة عندهم dama a ba = داما آبا = المرأة الأب = نساء الكبار = زوجات النبلاء اللواتي يجلسن قرب عرش الملك ، كما كن يرافقنه في رحلاته ، عددهن بين ٢٩ – ٣٥ يعد لهن مكان إقامة خاص بهن يدعى (بيت المسنين = الكبارية) .

بعد هذا العرض العام لمكانة المرأة في بلاد إبلا ، لنا عودة إلى عرض حالات خاصة ، لها بصمتها الحضارية فيها ، وموقفها المميز.

*   *

٣- الولادة :

أهم هدية تقدم بمناسبة الولادة هي للآلهة أولاً ، فهذه والدة الأميرة تيشته–دامو تقدم الأضاحي للآلهة ، ولابنتها مشبكين من الفضة ، ولكل منها رأس من الذهب وهدايا أخرى للوليد . كما قدمت قرط أذن لأحد موظفي ابنتها المدعو إنا بعل . جميع الهدايا قدمت لأم الوليد في مدينة يأب ، والتي تم فيها العرس ، ولم يحدد موقع هذه المدينة بعد !

كما ورد في نص أن ملكة بورمان – أصلها أميرة من إبلا – وبمناسبة ولادتها تتلقى من بلاط إبلا ألبسة من نوع زارا ومشبكين من الفضة وثوب لطفلتها .

*   *

٤- المرأة والدين :

سميت عبلا بمدينة المعابد لكثرتها ولوجود عدة آلهة فيها ، مجمعها يضم عشتار والتي لها معبد خاص باسمها معبد عشتار ، رمز الجنس والعواطف، والتمثال المكتشف في عام ١٩٦٨ عليه كتابة : " هذا الحوض تقدمة لمعبد الربة عشار ، من ابيت ليم بن أغريش حيبا ، ملك من سلالة إبلا . . . في السنة الثامنة لعشتار"

كما أن لها شهر باسمها (شهر عشتار = ايتو – أما – راما .) تشاركها الربة عناة (عناية) = ربة الحب وهي أيضاً آلهة الخصب في مجمع الآلهة الكنعاني. عمت الوطن العربي بأسماء مختلفة كمصر قرن١٩ – ٢٠ ق . م فرمسيس الثاني أطلق على ابنته اسم بنت عناة ، لذلك هذا الاسم مشهور في مصر إلى اليوم (عنايات) مع أن مصدره إبلائي . وقد أثر الفكر الإبلائي حتى على التوراة ، فعناة اسمها موجود كشريكة يهوه عوضاً عن بعل، إذ ورد اسم يهوه مركباً من عناة يهوه . ولم تكن المرأة الإبلائية بعيدة عن ممارسة الخدمات الدينية ، إذ تسمى المرأة الخادمة في المعبد (باشيش – مي) إحداهن تدعى (إنا – دوتو) و ما زالت كلمة باشيش

مستخدمة إلى اليوم ، بتحوير إلى بقشيش أو بخشيش ، وتوظف في نفس المهمة التي كانت في إبلا. ومن الربات (ادم – توم) تقدم لها ذبيحة الضأن في الشهر السابع من السنة ، وهناك ربة النار (إي – سا – تو) إذ تقدم الأميرة كِشِدوت الذبائح لها في شهر ١١ .

تسمى المرأة الخادمة للآلهة عندهم dam-ding = امرأة الإله ، أي هي كاهنة (ادابال) في حرمين رئيسيين خصصتا له ، تقدم الخدمات امرأتين كاهنتين من ضمن أخوات أو بنات الملك ، ونفوذهما امتد إلى غرب إبلا . . . . كما كانت المرأة تعرف الوضوء ويسمى عندهم وضوؤم .

أما الربة اشخارا فقد كان يقدم لها الأمير إراك – دامو الذبائح بمناسبة شعائر الطهارة ! وكذلك أحد شروط الزواج المتفق عليها بين ملكي إبلا وكيش أن يقدم الأخير أخته لتخدم في أحد المعابد المجاورة لإبلا . هناك نص يذكر كاهنة اسمها سارين – دامو (سارة الدم) تملك ٦٢٤٠ هكتاراً ، بعضها بعلية وبعضها مسقي ، مزروعة بأشجار الزيتون و كروم العنب والحبوب هل هذه الملكية المسجلة باسمها هي خاصة بها ، أم هي وقف للمعبد – كما هو السائد في معابد الشرق – وهي مشرفة عليها ؟ ! !

ورد في مرسوم ملكي حول مستوطنات لها حراسة احداها كانت في عهدة زاكير – ليم ابنة يعريك – دامو الكاهنة . . إشارة واضحة لإشراف الكاهنات على الأراضي الزراعية .

*   *

٥- طقوس الزواج :

أهم ظاهرة اجتماعية هي الزواج ، وجوهره المهر والعقد والاحتفالية ، زواج كيشدوت قدم فيه مهر ضخم ومشروط بالمقايضة وكذلك زواج (زا – ني - هى – مارى) الإبلائية من ابن ملك أبارا ملك آشو ، تم تقديم منسوجات للعروس ووصيفاتها ، فضلاً عن منسوجات جلبها والدا العريس ملك أبارا إلى بلاط عبلا . ويذكر النص الإبلائي حصل على بعض هذه المنسوجات المدعو عبدو جاميش ، وهو الذي صب الزيت فوق رأس العروس ، وهو طقس قديم في تراثنا يرمز جنسياً إلى منى الذكر ! ! !

نص آخر بمناسبة زواج بوركاك من تيشته دامو وهي إحدى بنات ملك إبلا، قدم بمناسبة زواجها هبات من مشابك فضية وذهبية ، وليست لها ، بل لكبار سيدات القصر أزيمو زوجة الملك ابريوم وبناته .

كان يحق للملكة المدعوة ملكتوم القيام بطقوس الزواج الشرعية ، ويقدمون الشراب بهذه المناسبة ، وكان مهر الأميرات الشهيرات المدن والقرى دلالة على مكانتهن الكبيرة (كِشِدوت – تيشماردامو– ماشيجيباعوت– تخاديتو – تركبو).

وقد يتم الزواج داخل الأسرة الملكية أو بين موظفي البلاط لكي تزداد أواصر الولاء والمحبة بينهم ، كما حدث في عهد الملك ابريوم ، إذ ابنته دحيرملك وابنة آخر تدعى ماؤوت و أخرى ريدؤوت يتخذن من موظفي البلاط أزواجاً لهن،وكذلك أبناء الملك يتزوجن من بنات موظفي البلاط ، فالسيدة دامور– داشلي هي كنة الملك وابنة المدعو ريتي الذي يشغل وظيفة ناظر القصر .

وهل هذه الكنةهي نفسها التي قدم الملك الأضاحي للآلهة بمناسبة ولادتها؟

قد يقدم هدية للآلهة بمناسبة الزواج ، يشير نص إلى وجود مبنى ديني في بلدة بنش إلى الشرق من إدلب (شمال – غرب إبلا) أطلقوا عليه اسم إى ما – تم / - موت – ام) = مكان الموت الرئيسي ، أي خاص بملوك إبلا الذين يدفنون في نيناس = بنش إذ كان فيه تمثال الملك مع الملكة قدم بمناسبة زواج الملك ايشار – دامو من تابور – دامو ، قدمه الوزير ابريوم وزنه ٣١ غ من الذهب . إن المهاداة عادة شائعة في إبلا ، كما يبدو ، في المناسبات المختلفة وخاصة الملابس ، في حالات الزواج وولادة طفل والوفاة، وتكون الهدية حسب منزلة المهدى إليها ، من أخوة الأم الملكة أو أخواتها حسب بعد القرابة . . وفي زيجاتهم الملكية ، خاصة من قبل من هم أقل مرتبة من الأسرة الملكية الحاكمة، وتحسين مرتبتها عندهم ، أو أخرى لتعزيز نفوذها ، وقد كان أثمن قماش في إبلا يدعى زارا ، ورد في النص : " رداء واحد من نوع زارا مشبكين من وزن عشرين مثقالاً من الفضة ، صنعتها والدة ابى زكير في مدينة جيتين في يوم زفاف ابنة ابريوم " إشارة لهدايا متميزة وقيمة تقدم لابنة حاكم إبلا .

و أما تعدد الزوجات فقد كان معروفاً ، ولم يكن منتشراً كما في أوغاريت ، فالأخيرة بسبب موقعها البحري وغياب رجالها ،بينما في إبلا الحياة الاقتصادية مزدهرة ، والاجتماعية يسودها المحبة ، مرة أحبطت الملكة محاولة زوجها الملك الزواج مرة ثانية من غيرها ، في إشارة إلى تعدد الزوجات و إن كانوا يفضلون الزواج بواحدة .

١ كانت الثروة الحيوانية وفيرة في مملكة إبلا !

٢ وكذلك في الشريعة الإسلامية رجم الزاني !

في نصوص الشرق القديم وفي إبلا بعض التشريعات المتصلة بالعلاقات الجنسية غير الشرعية ، عقوبة من يضاجع امرأة غير متزوجة غرامة ٣ ثيران [١] تدفع لولي أمر الفتاة وجريمة اغتصاب العذراء الرجم حتى الموت[٢]. ومثل هذه القوانين تسبق قانون حمورابي الشهير بحوالي ٥٠٠ عام . هنا دلالة على حرمة الأسرة واحترام آداب المجتمع الإبلائي .

* *

٦- الزواج المتبادل – دبلوماسية الشرق القديم :

لم يعرف عن إبلا أنها (دولة) عسكرية بل هي مملكة بنت علاقاتها على أساس اقتصادي واجتماعي ، و أهم هذه الظواهر الزواج ، ويبدو أن أميرات إبلا كن مرغوبات لدى جيرانها ، وحتى الأبعد في العراق مثلاً ، من أشهرهن كِشِدوت أخت الملك الإبلائي ابريوم . أعطى موافقته على زواجها من ملك كيش في بلاد ما بين النهرين (العراق اليوم) وعادة المهر قد كانت موجودة، إذ كان مهرها ٩٧٢ جاموس و ٩٣٥ عجل حولي و ٧٦٨ ثور مسمن للذبح و ٣٨٨ ثور لجر المحاريث و ٢٤١ بقرة ولود و ١٨٦٠ رأس من الغنم و ١٥٩ دابة من البغال محملة بالهدايا و خمسة خنازير وتسعة عشر إيلاً ، و أربعة عشر دباً ، وفرس واحدة هي للعروس كي تنقل عليها وتتم الزفة حولها – ما زالت هذه العادة في ريفنا – سلم المهر في الشهر الأول من السنة التي سميت سنة زواج كِشِدوت وهو اسم العروس ، لكن شعب إبلا لم يرض بذلك إذ طلب أكثر من ذلك ، بأن تقدم أيضاً أخت ملك كيش (زانيب دولوم = زينيب دولو = دلال لتكون كاهنة تخدم في معابد إبلا . وهنا نجد مفهوم المقايضة العادة الشائعة إلى اليوم . في نص ألالاخ (تل عطشانة في سهل العمق) ذكر لزواج ملكي تم بين ابن ملك ألالاخ المدعو (عمي تقوم) وابنة ملك إبلا واعتبروه من الأحداث الهامة بحيث صار وسيلة للتأريخ فالنص يقول حرفياً : في السنة التي أخذ فيها الملك عمى تقوم ابنة والي إبلا زوجة لابنه (شنت عمي تقوم لوغال ينومامرت عامل مدينة إبلا أ – نا ، دومو – أ – نى ، أخيرو) هذا الزواج

في الألف الثاني ق . م بينما كشدوت في الألف الثالث ، وهذا دلالة على تقليد ساد ألف عام، وتذكر نصوص أخرى اسم ابنة الملك (زا – ني – هي – ماري) – وبرأي اسمها (مريم النزيهة) بالعروبية القديمة،وتصفها كزوجة لابن أبارا ملك مدينة آشو. وثمة أميرة اسمها (تارام اورام) من بلاط إبلا، ويصفها النص بأنها ابنة عبيل كين وكنة الملك اورنامو ملك أور في العراق(٣)

كما أن ابن ملك ألالاخ الحلبي أميتا كوم قد زوج ابنه من ابنة ملك إبلا .

الزواج الملكي بين مملكتين متصاهرتين ، اعتبر حدثاً هاماً ، وتقدم فيه الهدايا : قماش – زيوت – زينة ومجوهرات .

كما أن الملك الإبلائي (إركب دامو) بعد نجاحه في تخليص ايمار من سيطرة ماري (عند الفرات في الجزيرة السورية) ، وليضمن توطيد العلاقات صاهر ملك ايمار تيشا– ليم (قد تكون ابنته) لتتزوج من (روزي – دامو) ملك ايمار.. وفي نفس الوقت أيضاً تزوجت(داتي – تو) من ملك لومنان وهي مدينة لم يحدد موقعها بعد .

كما أن الملك ايشار دامو عزز سياسته في أسلوب الزواج ، إذ تزوجت الأميرتان زيميني – كوبابّار - / أو / بركو من ملك بورمان (٤) في زمن السنة العاشرة لحكم الوزير إبريوم، وكذلك زوجا لوم من ملك حران . العروس الأولى تلقت هدايا من المنسوجات ، ثم تصبح ملكة بلدة بورمان ، وتتلقى ألبسة من نوع زارا وعلى مشابك من الذهب والفضة .

كما أن إبنة ايشار – دامو وتدعى داجريش – دامو قد زوجت لأمير ووريث عرش نجر،وهي ولاية اقليمية محلية تابعة لإبلا تسيطر على منطقة الخابور، أيضاً ملك بلدة نيرار – لم يحدد موقعها – تزوج من أميرة.وقد تكون تحصلت على هدايا من بلاد أهلها . . وحصلت على هدايا منسوجات ، سلمت إلى عريسها ، خلال مروره بإبلا في عودته من رحلته إلى بلدة آرمي .

لم تكن أميرات إبلا المتزوجات للغربة بالمتنكرات لأصلهن الإبلائي ، بل كن على تواصل مع أهلهن ، فالأميرة الإبلائية المتزوجة من ملك حران قد عادت إلى إبلا لولادة طفلها الملكي الأول ، وكذلك ملكة إيمار / مسكنة حالياً عند الفرات / التابعة لإبلا اسمها (تيشا - ليم) . زارت البلاط مرارا، إحداها لتشارك في طقوس زواج الملك (ايشار – دامو) من زوجته

زوجالوم . ايشار هي بشار اليوم . أما اسم (تيشا – ليم) تيشا = تش نقولها بالعامية للأطفال بمعنى زيارة ، وليم = اسم شائع تاريخياً في المنطقة فملك

---

[٣]-إبلائية، كنة بالإبلائية (كلانوم) وهذا ما يؤكد على تلاقي العربية بالإبلائية .

٤- بورمان نرجح هي موقع تل الرمان / ببرمان غرب إدلب وهو تل أثري غني باللقى الأثرية ؟

يمخد – يمحاض = حلب في النصف الأول من الألف الثاني ق . م اسمه يريم ليم .



يريم ليم ملك ألالاخ
(متحف أنطاكية)

كان مهر زواج الأميرة الإبلائية – بموجب مرسوم ملكي – بلدة وهي ايمار عند الفرات، وفي نص زواج إحدى بنات ملك إبلا المدعوة دامور داسينو تزوجت من ملك بلدة دولو !

*　　　　　　*

٧- طقوس الوفاة :

لم تكن المرأة الإبلائية بعيدة عن أي نشاط إداري أو اجتماعي ، إذ هي عنصر فعال ومشرف حتى في حالات الوفاة .

بعد موت الوزير (ايريوم) قدمت الإدارة الحكومية عطايا لإجراء طقوس التطهير : أولاً : - لإبى – زكير ابنه ووريثه ثم لأم الملك ويتينب دولوم = زينب أخت الملك و الأميرة (دام - دنجر) . كما وجدنا تضامناً بين النساء حين ماتت (دوسيكو) إذ سجلت حسابات تلك السنة في البدء اللباس الجنائزي والحاجات الجنائزية ، ثم العطايا الشخصية المقدمة لها من الملكة، وفي الأخير ما قد تقدمه السيدة الأولى في البلاط بعد موت حماتها المزعجة؟ كما أن (داتي – تو) ملكة لومنان زارت (الحرم المقدس) القريب من إبلا، وكذلك دوسيكو حضّرت عطية تقدمها للحرم المقدس عند موت هذه الملكة كانت الكاهنة (طيرين – دامو) – ربما أختها – قد قامت بإنجاز طقوس التطهير في إبلا .

وتقدم القرابين من قبل ثلاث نســـاء الملكة مثلاً ، ثم الأميرة كِشدوت وزاعشة (عائشة) ابنة الوزير (إبي – زكير) ، ولم يكن لهاتين الشابتين أية مرتبة كهنوتية لكن مكانة كشيدوت تعادل أخيها الوريث للعرش (اراك – دامو) وهي التي تزوجت فيما بعد من ملك كيش في العراق . .

* *

٨- المرأة الإبلائية والمُلكية :

رغم قلة النصوص التي تشير إلى ملكيتها فقد كانت تتملك الأراضي ، ففي وثيقة عن الأراضي المدارة بإشراف القصر ذكر لأرض مزروعة بأشجار الزيتون الموزعة بين عدد من القرى ، الملك ثم الملكة والوزير (آروكوم) ثم النبلاء و أخيراً مراقب الصناع . . وبما أن الملك (ايشار – دامو) قد كان قاصراً فقد كانت أمه (دوسيكو) ترافقه في تنفيذ سلطاته بوحدات العمل يمكن القول حظيت بعضهن في المجتمع الإبلائي بمرتبة عالية ، واستفدن من أراضي القصر لصالحهن الخاص ، منهن الكاهنة (دام – دنجر) في معبد الإله (أدابال) الذي كان معبده (حرمه) المقدس الرئيسي في كل من (لوبان) ولاروجاد و الواقعتان خارج إبلا، ونحن نرجح الأولى في إدلب/ لوبان والثانية في سهل الروج ، إذ تشير وثائق أخرى إلى وقوعهما قرب إبلا و تحت إدارتها.

أما الزينة فلم تكن في اللباس فقط ، بل أظهرتها بعض الأختام تحب الزينة، ترتدي مئزراً ، وشعرها مضفور ، وتتزين بالحلي المبرومة والقرط والخاتم

وأخيراً وليس آخراً ، كل هذه المكانة للمرأة الإبلائية ، لم تحظ به غيرها في الممالك الأخرى و إلا لم تذكرها الرقم لو كانت على هامش المجتمع بل هي في بنية المجتمع ساهمت في حضارة زاهية سادت ألفي عام ! !

المجوهرات والحلي في إبلا

١- **حلية الدوائر الثلاث**. في إبلا حلى ذهبية ومنها هذه بمقياس١١سم شكلها في قطعة متطاولة منقوشة بخطوط ذهبية مجدولة، تتدلى منها ثلاث قلادات دائرية مزينة بنجمة البحر، ولآلى ست في كل منها، يحيط بها إطار من الحبيبات الذهبية. اكتشفت في قبر الأميرة، وترقى إلى الألف الثاني ق.م هي في المتحف الوطني بحلب. مدورة الرصيعة الذهبية في إبلا اكتشفت هذه القطعة الجميلة بمقياس٣سم من الألف الثاني ق.م.هي في متحف حلب.



إبلا- حلية الدوائر الثلاث

٢- دبوس الملابس:

إبلا (تل مرديخ) مدفن تحت الأرض. العصر السوري القديم، الربع الأول من الألف الثاني ق.م. من الذهب. الطول ١٧,٣سم. متحف حلب.

يتألف هذا الدبوس الطويل من قطعة واحدة، وقد فتل القسم العلوي منه ذو الأضلاع الأربعة، والمحزز بخطوط رفيعة طويلة، وأما رأس الدبوس فينتهي بنجمة ثمانية الرؤوس.



إبلا- حلي في مدفن سيد الماعز



إبلا- دبوس ذهبي

٣- **أساور ذهبية:** إلى اليوم نشاهد هذا الشكل بما يسمى(المبرومة) نقوم بصناعته مع أن شكله إبلائي من الألف الثاني ق. م ومن الذهب المجدول كشريط سميك مطرف في نهايته تطريفاً دائرياً هي في المتحف الوطني بحلب. مكتشفة في قبر الأميرة (٦،٥سم) داخل كهف صغير



إبلا- أساور ذهبية

٤- قطعة حلي على هيئة الحلق:

إبلا (تل مرديخ) مدفن تحت الأرض. العصر السوري القديم، الربع الأول من الألف الثاني ق.م. من الذهب. القطر ٢,٩-٣,١ سم. متحف حلب .لم

توجد إلا قطعة واحدة من هذا النوع من الحلق. ويعتقد المكتشف أنه حلقة للأنف، إلا أن شكله يرجح كونه قرطاً للأذن، ولا سيما أنه لم يثبت وجود حلقات للأنف. صنعت الحلقة من طبقة ذهبية سميكة، وحفر عليه نقش على هيئة معين، ووضعت عليه حبيبات هبية صغيرة، وفي هذا الأسلوب التقني المعروف منذ عصر السلالات الملكية الأولى، كانت قطع صغيرة من الذهب تصهر في مسحوق الفحم الحجري، بحيث تتكون حبيبات صغيرة، ويكمن الفن هنا في صهر الحبيبات، على الطبقة الذهبية دون أن يحدث تشوه ما، في الحبيبات أو في الطبقة الذهبية. وقد اكتشفت في (بيبلوس) جبيل وغزة أعمال حلي مشابهة، عليها حبيبات، وضعت بمهارة ودقة.

اما هذه سطحها مزخرف بحبيبات على شكل معينات ،تتجلى في تقنية زخرفتها مدى مهارة الحرفي تستعمل للأذن والأنف.مكتشفة في قبر الأميرة .



إبلا- حلق ذهبي

٥- قلادة العنق:

إبلا (تل مرديخ) مدفن تحت الأرض. العصر السوري القديم، الربع الأول من الألف الثاني ق.م. من ذهب ولازورد، وجمز (مرو بنفسجي). الطول: ١٠,٢سم. العرض: ٢,٥ سم. متحف حلب.

تتألف هذه القلادة التي نظمت حديثاً من: ٢١ درة، كرة ذهبية بشكل الرمانة، ودرة جمزية، وواسطة مستطيلة الشكل مؤلفة من حجر كبير لازوردي غير ثمين موضوع في إطار من الذهب.



إبلا- قلادة العنق

٦- العقد المزخرف بكوز الصنوبر: مكتشف في قبر سيد الغزلان ٢٢سم.صنع من الذهب والكريستال الصخري ومن حجر من الكريم نصف ثمين على هيئة كوز الصنوبر بمعلقتان بسلسلة ذهبية ذات حلقات دقيقة جداً ١٧٥٠-١٧٠٠ق.م- متحف حلب

٧- الخاتم الملكي: هو مكتشف في إبلا في قبر ملكي، يرقى إلى ١٧٥٠-١٧٠٠ق.م في المتحف الوطني بحلب هو على شكل رسومات نباتية كالزنبق مطعمة بقطع ملونة من المعجون الزجاجي تشكل إطاراً لخنفس. هو في رسمه يدل أنه من مصر ومهدى من بلاد النيل إلى إبلا



إبلا - عقد كوز الصنوبر



إبلا- خاتم ذهبي

٨- الرصيعة الذهبية: ومن الحلي المميزة وكأنها في شكلها صناعة اليوم، تلك (الرصيعة الذهبية) في إبلا والتي ترقى إلى الألف الثاني ق.م.فى متحف حلب. هي من ذهب لازورد دائرية مزينة بخطوط ذهبية نافرة لتشكل بالوسط دائرة

زينت باللازورد وخيوط ذهبية منحنية لتشكل أربع لوزات نزلت باللازورد يحيط بها حبيبات ذهبية نافرة، وهي من حلي الأميرة تدل على مدى تطور فن الصياغة في إبلا. مقياسها ٣سم

٩- **أزرار ذهبية**: مكتشفة في قبر سيد الغزلان (٢.٤سم).هي ستة بأربع ثقوب من ثياب أميرية دلالة على غنى أهل إبلا



إبلا- الرصيعة الذهبية



إبلا- أزرار ذهبية

المراجع :

١. مجموعة من الباحثين : أضواء جديدة على تاريخ و آثار بلاد الشام دمشق ١٩٨٩

١- د . علي القيم : امبراطورية إبلا دمشق ١٩٨٩

٢- ماتييه وغيره : إيبلا – عبلاء الصخرة البيضاء دمشق ١٩٨٤

٣- قوصرة – فايز : من إبلا إلى إدلب – حلب ٢٠٠٤

٤- مجلة عاديات حلب العدد ٧ – ٨ – ٩ – ١٠ جامعة حلب

٥- كلينغل – هورست : تاريخ سوريا السياسي دمشق ١٩٩٨

٦- علي القيم : المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة دمشق ١٩٨٧

٧- أرشيف إبلا العام .

٨- خياطة - وحيد : المرأة والألوهية – اللاذقية ١٩٨٤

٩- Archi – Alfonso : The role of Women in Society of Ebla – Rome

١٠-ى الآثار السورية- مجموعة بإشراف عفيف بهنسي. فيينا١٩٨٥

١١-لبيب عبد الساتر: الحضارات. بيروت ١٩٧٤

١٢-علي أبو عساف: فنون الممالك القديمة دمشق١٩٩٣

١٣-علي أبو عساف: آثار الممالك القديمة دمشق

١٤-عيد مرعي إبلا: تاريخ وحضارة -دمشق ١٩٩٦

تل طعينات في سهل العمق

لعل تل طعينات أحد التلال الأهم بعد تل عطشانة (آلالاخ) في سهل العمق في القسم الجنوبي والجانب الشمالي لنهر العاصي وعن قرية جسر الحديد بـ ١،٥كم ، نسلط الضوء عليه لأول مرة .



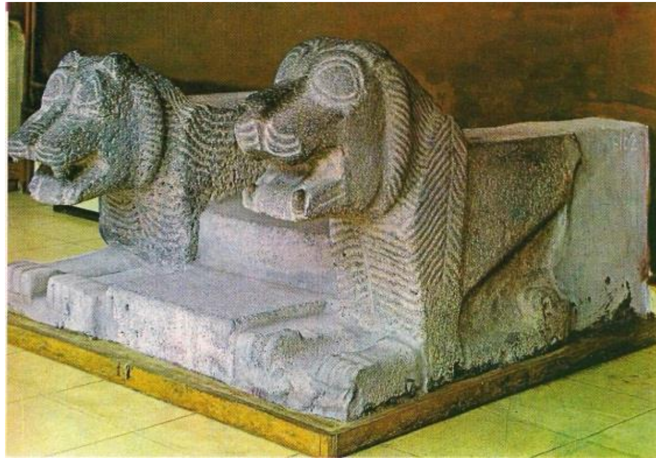
سهل العمق- تل طعينات صورة جوية

بدأت الحفريات عام ١٩٣٠م من قبل جامعة شيكاغو الأمريكية ، وبموجبها تم معرفة الاستيطان الطويل من العصر البرونزي المبكر (حوالي٣٢٠٠-٢٠٠٠ق.م) والعصر الحديدي (١٢٠٠-٦٠٠ق.م) ، وتبين أنه من بقايا Kunuluq التي كانت عاصمة لـ باتينا Patina وهي دويلة صغيرة وقوية ومستقلة ، وهي التي تحكمت في المنطقة (في القرن التاسع والثامن ق.م) .



سهل العمق- تل طعينات سويات التنقيب

أظهرت الحفريات في عدة قصور كبيرة أنها كانت تدعى (بيت هيلاني) الملكية على شكل معابد Megaron – temple وقواعد الأعمدة المستندة على شكل الأسد ،كانت تزين المدخل الأمامي للمعبد ، وهي معروضة في متحف أنطاكية .



تل طعينات - أحد اساسي العمود في مدخل رواق قصر هاتينا

القرن٨ ق.م-متحف أنطاكية

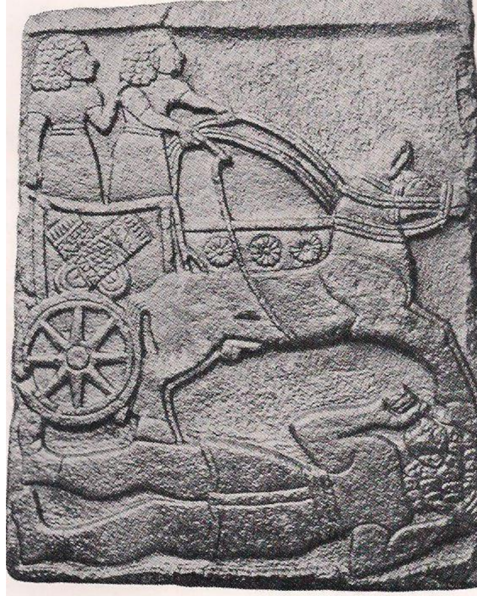


تل طعينات - أسدان من البازلت يتقدمان مدخل المعبد
القرن٨ ق.م-متحف أنطاكية

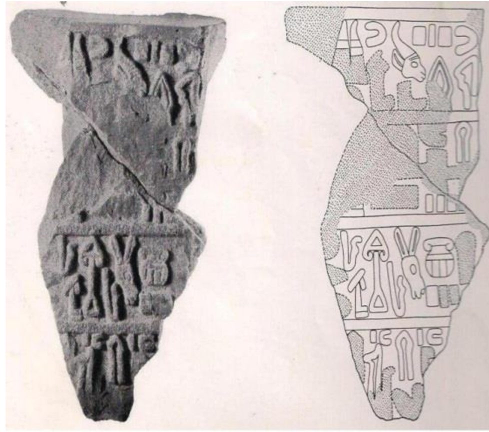


تل طعينات- قاعدة عمود استنادي في المعبد-متحف أنطاكية

كما عثر على هياكل عظمية وكتابة مرسومة ترقى إلى العصر الحثي الأخير ، وهي أيضاً في متحف أنطاكية بدءاً من عام ٢٠٠٢ بدأت جامعة تورنتو القيام بالبحث في هذا التل ، بعد توقف ستين عاماً **!!** وتم الربط بين الحفر القديم والحالي ، ولتبدأ الخطة في عام ٢٠٠٤ إلى الآن، والهم الأول للتنقيب الأثري في استخدام الأساليب العلمية الحديثة ،و السؤال الأولي عن التحول الثقافي من عصر البرونز إلى الحديدي **؟!**



تل طعينات- عربة يقودها فارسان تدهس عدواً القرن٨ق.م



تل طعينات- نصب نقر عليه رسوم رمزية-القرن٨ ق.م

مرحلة المرور هذه في ما بين النهرين تشهد على انهيار الامبراطوريات الكبيرة في كل من مصر والحثية في الأناضول (هاتوشا / بوغازكوي) لقد كان لسهل العمق دور بارز ، وطوال عصر البرونز(حوالي ٢٠٠٠-١٢٠٠ق.م) كانت

مملكة موكيش هي الأقوى ، وكانت مدينة ألالاخ في تل عطشانه والممتد إلى جانب تل طعينات (عوينات) عاصمة لهذه المملكة.

دخلت ألالاخ في عصر البرونز ضمن مراقبة الامبراطورية الحثية ، وعند انهيارها حوالي ١٢٠٠ق.م انهار أيضاً التوطن السكني لمدينة ألالاخ ، وبالتالي نهايتها ، وليبدأ عصر الظلام (١٢٠٠-٩٠٠ق.م) ليستمر عدة قرون قبل بدء بروز مملكة باتينا Patina في القرن ٩ ق.م ، وبقي السر كبيراً ومطرداً .. بموجب الحوليات القديمة ، ومن بينها أساطير أبطال (هوميروس) تم وصف هذا العصر بالفوضى السياسية ، التي سببتها الأقوام البحرية المدعوة بـ مجتمعات الفايكنغ في البحر المتوسط ، والتي كانت غير معروفة وغامضة ، والرأي السائد أنها قدهاجرتمن بحر ايجه ! في عصر الظلام هذا لم تكن الثقافة الفنية (في عصر البرونز) وكذلك العادات المدونة ، والدولة القوية ، موجودة ، إذ تأخرت الثقافة في البروز لتوالي الحروب بين القبائل ، والخصومات الطائفية والتفرقة السياسية ، والتي كانت الأميز في عصر الظلام، ولكن رغم كل ماطرح سابقاً ، فإن **نتائج الأبحاث الأثرية المتزايدة والمكتشفة الآن ، قد غيرت معلوماتنا عن التاريخ القديم .**

مما يلفت النظر ، تغير السياسة الفوضوية واستمرارها ، مع أن العلماء قد قبلوا أن الدول الحثية الأخيرة (في الألف الأولى) قد تابعت لغة وثقافة أسلافها في الأناضول في عصر البرونز ، مع قبولهم شجرة الملوك الكبار في كركميش [١] (جرابلس) في أنها كانت جسراً لهم في هذه الحقبة .إن الكتابة الملكية التي عثر عليها منذ زمن ليس بالبعيد في قلعة حلب ، دلالة على تغير التاريخ في هذه المنطقة ، وأما الحفريات في تل طعينات فما زالت مستمرة ، لكن النتائج لم تتم بعد !

لامجال للشك في أنها ستغير نظرتنا إلى ماسمى بـ عصر الظلام ،وخاصة في المرحلة المقبلة ، إذ اشارت الحفريات في التل أنها كانت عاصمة لمملكة كبيرة أدارت المنطقة، تحدها حماه من الجنوب و حلب من الشرق ، وإلى الشمال إصلاحية ، وقد أظهرت نتائج الحفر في نفس الوقت على توطن سكني في التسعينات بدأ بعد انهيار ألالاخ مباشرة في ٩٠٠-١٢٠٠ق.م في العصر الحديدي المبكر .

أما كيف انهارت ألالاخ فغير معروف ؟!

قد عرف وجود تأثير ايجه في طوابق السكن العائدة لعصر الحديد المبكر في التسعينات .

أظهرت كتابات الرسوم للقصر الغني بالطرز الحثية الرمزية ، مباشرة فوق طبقات العصر الحديدي المبكر .

رغم بقاء الغموض في التفاصيل التاريخية ، لكن الكشوف ستزيح في حفريات الآثار الستار عما سمى بـ عصر الظلام .

الحفريات منذ بدايتها اثبتت وجود مملكة قوية ظهرت بعد الإمبرأطورية الحثية العظمى ، والتي انهارت في نهاية عصر البرونز في سهل العمق، لكن الأهم أنها أديرت من قبل ملوك يحملون أسماء حثية ، والاحتمال الأقوى أنها اسندت إلى أحد ملوكها في أصله حثي من هاتوشا [٢]

لعل الكشف في تل طعينات في البداية ، وعمليات الحفر تخبئ الكشوفات التي تثير حماسنا، وتقدم لنا هذا الميراث الثقافي في المنطقة .



تل طعينات- بعثة التنقيب

(١) كركميش (جرابلس) : يقصد أنها كانت عاصمة محلية تمثلهم في الشمال السوري ، وخاصة في علاقاتها مع مملكة أوغاريت .

(٢) هاتوشا (حاتوشا): عاصمة الحثيين في الأناضول .

المراجع

(1) FatihCimak : Antioch on the Orontes – Istanbul 1994

(2) Hatay Museum And Environs – Ankara

(3) Hatay . 14- Nisan 2008

٤ - مجلة دراسات تاريخية-جامعة دمشق العدد ٧١-٧٢ عام ٢٠٠٠ و٩٩-١٠٠ عام ٢٠٠٧

٥- مجلة مهد الحضارات- دمشق

٦-عمار عبدالرحمن : ألالاخ. دمشق ٢٠٠٩

٧-ليوناردو وللي : ألالاخ (مترجم) دمشق ١٩٩٣

الفينيقيون _ العرب ،و اكتشافهم أمريكا

١ - تقديم :

كانت السير الشعبية في العصر الوسيط ، تروى في المقاهي ليستمع الناس إليها ، تحدثهم عن أمجادهم و بطولات قادتهم ، فكانت سيرة عنترة و ألف ليلة و ليلة و الظاهر بيبرس و الهلالية .. لكن هناك سير أخرى كانت تروى لأسلافنا القدامى كـ سيرة جلجامش و الطوفان و أوروبا تحت اسم أسطورة .. و نحن نقدم ملخصاً للأخيرة إذ تضمنت جزءاً من التاريخ السوري القديم ، أثبتته اللقى الأثرية .

٢ - اسمهم و صورتهم العالمية :

لم يكن الفينيقيون إلا جزءاً من الشعب السوري ، و قد أطلق اليونان عليهم اسم phoenix أي أحمر أرجواني ، و لكنه في مصدره القديم (السرياني) من فعل فنق = ترفه – ساد تنعم و كذلك يرد في " محيط المحيط " من فنق ، تنعم ، ترفه (١) ، هذا الشعب ساد في البحر المتوسط ، و دار حول إفريقية (٢) ، و أقام المستعمرات في الشمال الافريقي و في ايبريا (إسبانيا و البرتغال) و في الخليج العربي ، و خلط المعادن ، و ابتكر الأبجدية ، و نشرها ، و أبدع صناعة السفن ليتعلم الجميع منه هذه الصناعة ، هو الذي اكتشف مجاهل المحيط و وصل إلى القارة الأميركية .

٣ - أسطورة أوروبا :

كانت صور الفينيقية إحدى أهم المدن و العاصمة الأولى لهم ، قد قدمت للعالم بعد أبجدية جبيل ، فكراً و سلوكاً حضارياً ، نوجز ما تقوله الأسطورة : حين كانت الأميرة السورية أوروبا بنت أجينور ملك صور ترقد في سريرها ، شاهدت كابوساً بأن امرأتين (قارتين) تتنازعان ملكيتها الأولى آسيا قائلة لها " إني أملكها لأني ولدتها " أما الثانية بأنها ستملكها ، لأن الرب زيوس سيهبها لها وعداً منه، و في الصباح خرجت الصبايا للتنزه معها في المروج قرب البحر ، كانت كل صبية تحمل سلة، إحداها اسمها أوروبا و سلتها من قصب الذهب ، تزينها نقوش لمشاهد من حياة الآلهة ، أما زيوس حين لمح فتنة أوروبا ، تقمص شخصية ثور قبل أن يظهر نفسه لأوروبا ، و لمظهره و لطفه اقتربت الصبايا منه يداعبنه ، و يتشممن

رائحته العطرة . ما أن لمسته أوروبا حتى انحنى لتمتطي ظهره ، نهض و قفز بها نحو البحر ..



لوحة فسيفساء تشير إلى الأميرة أوروبا محمولة
على ظهر ثور(وهو الرب زيوس) (متحف بيروت)



لوحة فسيفساء اختطاف أوروبا إلى جزيرة كريت – سوريا – صرين



لوحة فسيفساء اختطاف أوروبا إلى جزيرة كريت – الجزائر – مدينة جميلة

أما آلهة البحر والتي تركب الدلافين و تصوت بالأبواق ،فقد قادهم بوزيدون بنفسه، و هو إله البحر و شقيق زيوس .. اختطفها زيوس لحبه لها ، و ذهب بها إلى جزيرة كريت و هناك تزوجها . أنجبت منه أولاداً أشهرهم مينوس و رادامنتوس . الاسم الأول هو اسم عربي (مينا) حمله أمير في شبه جزيرة العرب عبر البحر إلى وادي النيل و صار ملكاً (مينا أبيض) ، و في اسم تل منس قرية شرق معرة النعمان في محافظة ادلب ، و اسمه كذلك في مينا البيضاء شمال اللاذقية ، و اسم رادامنتوس موجود في اسم جزيرة أرواد / آراد / آرادوس، لكن يظل اسم أوروبا هو الأشهر . قرر ملك صور أجينور / أشنار إرسال أولاده : فينيق و قدموس ، و كيليك، ليبحثوا عن أختهم أوروبا .. بحثوا عنها دون جدوى .. فاستراح كل منهم في مكان في الشمال كيليك فنسبت إليه كيليكيا، و استقر فينيق في الساحل فنسبت إليه فينيقيا . أما قدموس فلم ييأس، إذ تجول بين كريت (حيث تزوجت اخته اوروبا) و مالطا ثم ذهب إلى اليونان، و في معبد دلفي وقف يستشير الرب أبولو [يقولون اسمه يوناني بل سوري = وجه الرب] أجابه ستجد عجلة تتبعها حيث تتوقف لتستريح ، و هناك تبني المدينة .. و هكذا أسس قدموس قلعة قدميا (كادميا) = مدينة ثيبا (طيبه) بمساعدة سوريين،و

أصبحت جد القدامسة في اليونان.وهو الاسم الذي أطلقه هوميروس على سكان طيبه،وقد أكد الباحثون على أن قدموس قد نقل الأبجدية الفينيقيّة إلى اليونان، وكما أكد أحد الباحثين اليونانيين في الحضارة اليونانية العتيقة بالقول: أنّ قدموس قد جلب معه عناصر الحضارة و بعضها كحروف الكتابة تم البرهان عليها تاريخياً و أثرياً [٣]

تقدم لنا هذه الأسطورة :

أولاً : صورة عن فكر إنسان هذه المنطقة الطموح صاحب التحدي ،

ثانياً : أن هذه المنطقة قد كانت مطمعاً لتختطف أجمل نسائهم (هنا تشبه أسطورة أبولو ودافني في أنطاكية) ،

ثالثاً : الثقافة السورية – الفينيقية هي التي أعطت هذه الأسماء فاسم أوروبا اسمنا ، و ليس من بضاعتهم ، فنحن الذين صدرنا الثقافة إليهم و علمناهم الأبجدية ،

رابعاً : إن البحر المتوسط قد كان بحراً عربياً سورياً ، ليس من خلال هذه الأسطورة بل في إيجاد الثقافة السورية المتوحدة، و المستوطنات و المستعمرات الفينيقية – هؤلاء لهم الفضل بأنهم هم الذين مهدوا لما سمي فيما بعد بالعالم العربي.[٤] . قدموس هذا من أبناء الساحل السوري – و مايزال اسمه في بلدة القدموس – منطقة بانياس – هو ناقل الأبجدية معه إلى اليونان و يعني اسمه بالسريانية و الفينيقية (المقدام – البطل) . أما أخته أوروبا فقد أطلق اسمها على البلدان الواقعة على الشواطئ الشمالية للمتوسط ،ويصبح أشهر اسم في العالم، و يعني بالفينيقية الغرب. أما والدة الملك أجينور فقد كانت تسمى ليبيا ، و هو الاسم الذي أطلقوه على الشمال الإفريقي كله . لماذا نقر بقصة نوح و لا نقر بقصة الملك السوري أجينور و أولاده العظام ، مع أن المكتشفات الأثرية أكدت واقعية هؤلاء الأبطال ، و حياتهم ليست بأسطورة ، إذ اكتشف في طيبة اليونانية أختام سورية و غيرها تعود لعائلة قدموس ، و معظم الميثولوجيا الإغريقية هي من وحي فينيقي . و أن قلعة قدميا (عندهم) هي نسبة إليه إذ هدمت نحو عام ١٢٣٠ ق.م .



ميدالية أوروبا وزيوس



ختم يرمز إلى قدموس يعلم
أهل طيبه الأبجديّة الأولى

٤ ـ الملاحة العربية قبل كولومبس :

تعلمنا في المدارس أن قارة أمريكا مكتشفها خريستوف كولومبس ، و لكن اليوم بعد العثور على وثائق خطية و آثارية ، تلغي هذا المفهوم المغالط للحقائق . في الاحتفال المقام في إسبانيا عام ١٩٩٢ بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على اكتشاف القارة الأمريكية ، أثير موضوع من وصل أولاً ؟! كل يدعي أسبقيته في ذلك الفايكنغ (النروج و الدانمارك و السويد و كندا) أصروا في هذه المناسبة على اكتشافهم لها ، و حجتهم أن كولومبوس استعان بخريطة ترقى إلى القرنين العاشر و الحادي عشر تشير إلى وجود جزيرة ضخمة ، و أنه قد تم العثور على بقايا بيوت الفايكنغ في كندا ، و أصبحت كتب التاريخ عندهم تشير إلى رحلاتهم قبل انتهاء القرن العاشر الميلادي . و لكن تساؤلنا ، هذا الشعب الذي لم يسجل التاريخ له السبق والتفوق في علم الملاحة ، بل القرصنة ، هل جاءت خبرته من فراغ ، أم هناك من سبقهم في ذلك ؟!

أليس العرب من توصلوا إلى صناعة البوصلة = بيت الإبرة في القرن الخامس الهجري / أواخر القرن السادس عشر الميلادي ؟! ألم يثبت أن عرب الأندلس خاضوا البحار و حاولوا كشف مجاهل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وألم يرد ذكر للقارة الأمريكية في كتب الجغرافيين العرب كـ المسعودي في كتابه (مروج الذهب) و بعض المؤرخين يؤيدون هذا الرأي إذ يقول " و يذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار

و له أخبار من تمرد و خاطر بنفسه، و من نجا منهم و من تلف ، و ما شاهدوا منه و ما رأوا ، و إذ منهم رجل من أهل الأندلس يقال له خشخاش، و كان من فتيان قرطبة[٥] و أحداثهم فجمع جماعة من أحداثها و ركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط ، فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة . و خبره مشهور عند أهل الأندلس [٦] . لقد أيد المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي **عند العرب:** أن العرب قد قاموا بمحاولات عدة لكشف هذا المحيط ، و أرجع المغامرة المبكرة إلى القرن التاسع / أي الثالث الهجري [٧]. و يعتقد (دوخويا) و من شايعه حصولها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي و هي تسبق خبر المسعودي ، و أكد جميع من درس الملاحة العربية من الغربيين أن العرب أرسلوا من إسبانيا كثيراً من الرحلات البحرية إلى الغرب، ويعتقد (د . جفري) الأستاذ بجامعة أوتوا الأمريكية أن الرحالين العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل كولومبس بخمسة قرون ، و أنهم توغلوا في المحيط الأطلسي، كذلك أورد بعده الجغرافي الإدريسي (القرن ١٢) خبراً ثانياً في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " حول رحلة انطلقت من شبه الجزيرة الإيبرية ، حين تحدث عن مدينة أشبونه (لشبونه عاصمة البرتغال) واصفاً معالمها و دروبها ، و فيها درب يعرف باسم درب المغررين سبق أن قطنته جماعة من أبناء العمومة العرب الذين غامروا بركوب بحر الظلمات بدافع الكشف و الاستطلاع فعرف باسمهم .. ثم نجد ذكراً لهذه القصة عند حامد الغرناطي و ابن فضل الله العمري ، الخبر عند الإدريسي أن ثمانية شبان أبناء عمومة عزموا على ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه ، و إلى أين انتهاؤه .. فأبحروا مع الريح الشرقية .. و قد لقبوا بالمغرورين أي المخاطرين .. و في رأي (آدم متز) أنهم في أصل اسمهم ليس المغرورين بل بالمغربين أي الضاربين في مجال الغرب [٨]. و يروي الإدريسي تفصيلات ذات دلالة حول رحلتهم و تزودهم بالماء و الطعام لأشهر ، و أبحروا أحد عشر يوماً ، و وصولهم إلى بحر غليظ الموج ، قليل الضوء.. ثم أبحروا جنوباً اثني عشر يوماً إلى جزيرة الغنم ، فوجدوا لحمها لا يقدر أحد على أكلها ثم ساروا جنوباً اثني عشر يوماً إلى جزيرة فوجدوا فيها عمارة و حرث .. ثم أحيط بهم مراكب ليحملوا إلى مدينة على ضفة البحر ، فنزلوا بها ، و رأوا رجالاً شقراً طوالاً ، و لنسائهم جمال عجيب ، و بعد ثلاثة أيام من اعتقالهم جاءهم رجل يتكلم اللسان العربي ، و أخبروهم بقصتهم ، قائلاً لهم إنه ترجمان الملك .. و بعد لقائهم

الملك أخبروه أنهم اقتحموا البحر .. ليقفوا على نهايته .. كذلك أخبرهم الملك أنه أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، و أنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء .. و تعود المجموعة الثمانية لتحط في بلد قالوا أن سكانها برابر و أخبروهم أن لبلدهم مسيرة شهرين . درس هذه الرحلة بعض العلماء كـ : (كراتشكوفسكي) إذ قرر أن نزولهم كان على ساحل المغرب الأقصى . و من الباحثين (بيزلي Beazly) يعتقد أن الجزيرة الأولى هي ماديره Madeira و الثانية هي إحدى جزر الكناري canaries[٩]

والسؤال المطروح : من هم سكان تلك الجزر الذين وصفهم الإدريسي بأنهم كانوا ذوي بشرة حمراء و طوال القامة .. إلخ..

أليس هذا يؤكد أنهم ساروا أكثر من جزر الكناري و أنهم قد وصلوا إلى القارة الأمريكية ، و قد أكد هذا كثير من الباحثين الغربيين بالقياس إلى زمن رحلتهم . و إثبات آخر العثور في جزيرة ترينداد في البحر الكاريبي على مخطوط عربي كتبه الملاح موسى بن ساطع ، أحد البحارة الأندلسيين الذين رافقوا كولومبس ، يتضمن وصفاً مؤثراً لسقوط ملقه و غرناطه، و ينهي البحار العربي مخطوطه بقوله إنه " أصبح في جزيرة نائية عن إسبانية و سيعمل على تأسيس دولة عربية عوضاً عن الأندلس " و تدل المعلومات الواردة في المخطوط على أن محاولته باءت بالإخفاق . كذلك يروى أن شاباً عربياً عرف باسم اصطفان زار في عام ١٥٣٩ مناطق نيومكسيكو و أريزونه بوصفه دليلاً لأحد المكتشفين الإسبان . لقد كانت الأندلس النقطة المضيئة في حضارتها ليس في فن العمارة فقط ، بل حتى في علم الملاحة البحرية لسببين : الأول _ الإرث الحضاري الذي ورثه أبناؤها من الفينيقيين و خاصة الملاحة و بناء السفن ، و الثاني : أن المسلم الفاتح قد تعلم فن المغامرة و أصبح البحر المتوسط حينذاك بحراً عربياً كما كان سابقاً بحراً سورياً ، و تجول في البحار لنشر الإسلام، و إن هذا العربي اصطفان هو من بقايا الأندلسيين .. و أما مخطوط الملاح موسى بن ساطع فهو دليل قاطع على أن الأندلسيين بعد سقوط الأندلس قد فر منهم من فر ، و بقي من بقي ، و هو قد اختار المقام بعيداً ليستعيد بناء دولة عربية جديدة في ربوع الأرض الأمريكية، و لعلمه بوجود بقايا الأندلسيين فيها ممن سبقوه، و ما يشير إلى وجودهم .

((كان البحر المتوسط منذ بدء الحروب الصليبية ملكاً حلالاً للمسلمين أو وقفاً على ملاحتهم ، كان الإسلام قد خسر جزءاً كبيراً من إسبانيا و خرجت من يده جزيرة صقلية و الساحل الإيطالي .. و كثير من المصطلحات البحرية أصلها عربية .))[١٠]

هذه السيادة البحرية تطلعت نحو الغرب لتعوض ما فقدته ، لذلك لم يتوان (الخبراء العرب المسلمين) في وضع خدماتهم أمام كولومبس و غيره من المستكشفين ، و كما فعل البرتغاليون في كشفهم طريق الهند في استعانتهم بالملاحين العرب كـ (فاسكودي غاما) في إستعانته بـ (أحمد بن ماجد) . هؤلاء الذين جابوا البحار ، في الشرق و حول إفريقيا ، هل يقف طموحهم عن اكتشاف أمريكا ؟ لقد نشر (فان سيرتيما) الأستاذ في جامعة روتجرز الأمريكية في شيكاغو و المختص بالدراسات الأفريقية بحثاً أن المسلمين الأفارقة سبقوا كولومبس في اكتشاف أمريكا بزمن طويل . و في رأيه أن أحد سلاطين مملكة مالي الإسلامية بإفريقية استطاع الوصول إلى سواحل أمريكا حوالي عام ١٣٠٠ م ، أي قبل الكشف بمائتي عام[١١] و قد ذكر مثل هذا القول (شكيب أرسلان) و كذلك من قبل (ابن فضل الله العمري) أحد الجغرافيين العرب .

الإثبات الآخر فيما نشره عالم لغوي كبير من جامعة هارفرد الأمريكية عام ١٩٢٢ هو (ليو وينر) بعنوان (إفريقية و كشف أمريكه) أثبت فيه وجود كلمات عربية في لغات هنود أمريكه تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، دالة على تواجد عربي قبل كولومبس بقرنين[١٢] . و أن دخول هذه الكلمات في لغة الهنود الحمر يعود إلى عام ١٢٩٠ ميلادية .

كذلك ما نشرته الصحف الأمريكية عام ١٩٣٠ في أن أحد السائحين صادف في أثناء تجواله في البرازيل قبيلة غريبة الأطوار ، و العادات و اللسان . و أنهم يصومون شهراً في العام ، و يؤدون صلوات خاصة ، و إذا أقاموا صلواتهم غسلوا أيديهم و وجوههم و أرجلهم .. و حين سألهم عن أصلهم أجابوه : إنهم مع أجدادهم يقيمون في تلك المقاطعة منذ أمد بعيد[١٣] .

٥- كولومبس، و الملاحين العرب:

يمكن القول إن الأرضية الثقافية للملاحة العربية في الأندلس ، تؤكد بلا شك أن المؤلفات الجغرافية العربية ، قد كانت هي القاعدة الأولية لكولومبس ، و اطلاعه على بعضها ، مما حفزه للمغامرة فالأصفهاني

(توفي ٧٤٩ هـ) يحدثنا عن العالم الجديد فيقول " لا مانع أن يكون ما انكشف عن الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من الجهة الأخرى و إذاً لم أمنع أن يكون به من الحيوان و النبات و المعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع أو أجناس أخرى " وعلى قوله علق (د. أحمد زكي) بالقول " للأصفهاني فضل كبير على مكتشف أمريكا لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة و الاستدلال . و أما كولومبس فتخيل وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب " و أما (ابن فضل الله العمري) فقد أيد الأصفهاني في كتابه مسالك الأنصار . كذلك ذكر (أبو أحمد البيروني) في أحد كتبه الجغرافية "أن العقل يقضي بوجود جزء مغمور من الجانب الغربي من الكرة الأرضية".



كريستوف كولومبوس



وثيقة من القرن الخامس عشر توضح سفينة كولومبوس المفضلة وتصف الوثيقة تفاصيل الرحلات والحمولة

أما الطبيب و الفيلسوف الأندلسي (ابن رشد ت ٥٩٥ هـ) فقد أشار في كتابه (الكليات) إلى وجود أرض في غرب بحر الظلمات و يؤكد المؤرخ

(رونان) على أن كولومبس كان قد اطلع على هذا الكتاب ، قبل قيامه برحلته .. و قد اعترف كولومبس نفسه بذلك ، حيث كتب في مذكراته " أنه قرأ بعض الكتب العربية ، و المترجمة إلى اللغة اللاتينية ، و من بينها كتاب عربي من تأليف ابن رشد[١٤] . و الأهم أنه في المعرض الذي أقيم في إيطاليا احتفالاً بمرور ٥٠٠ عام على ميلاد كولومبس ، قد ضم في محتوياته كتاباً عربياً للإدريسي يتضمن قصة هؤلاء البحارة العرب الثمانية، و هل هذا الكتاب هو الذي أوحى له بالإبحار غرباً أو حمله معه في رحلته!!! و كذلك حين التقى بالهنود الحمر ، أمر ملاحاً عربياً بأن يكتب رسالة باللغة العربية ، لاعتقاده بأن الهنود الحمر كانوا يتحدثون في لغتهم بكلمات عربية أصيلة، و قد جاء في الرسالة " يا صاحب الجلالة – يقصد زعيم القبيلة الهندية – إن الملكة إيزابيلا ملكة إسبانيا و قشتالة ، تهديك السلام ، و تطمع أن يكون بينك و بين بلادك علاقات صداقة " و بعض قبائل الهنود الحمر و غيرها قد كانت تعرف العربية و كما وجد في المكسيك من دخول بعض الكلمات العربية في لغة تلك البلاد مثل الموسمية Mansoonو الطوفان Typhoon و يقول المؤرخ الصيني (هوى لين لى)، بأن البحارة العرب تمكنوا بسفنهم الكبيرة من عبر المحيط الأطلسي و وصلوا إلى أمريكا ، و نقلوا معهم الكثير من النباتات الأفريقية مثل البابای و الجوافة ، و الأناناس.

يقول عالم الآثار (شليدريك) إن سفن العرب أبحرت إلى كناري، و أزوارد، و إيرلندا، و فنلندا، و ذلك قبل كولومبس بمئات السنين، و يضيف شليدريك، بأنه يوجد في الجهة الغربية من فنلندا بئر ، يسمى " بئر عباس "

أما (برتن كيلدانة) ، فيذكر أنه عندما زار الريف المكسيكي وجد في لهجات السكان كلمات عربية مثل لفظ الجلالة (الله) ، Allah ، و نور hueul ، و حورية houli ، و بلد hand، و عود hufe ، و كحل Kohl .. و غيرها . و ثمة حكاية شعبية متداولة بين العامة في المناطق النائية لشرق أمريكا الجنوبية ، و تقول هذه الحكاية : إن جماعة من البشر أتوا يوماً من الشرق ، و دارت بينهم و بين السكان الأصليين حروب طاحنة، جعلتهم يتقهقرون إلى الجزر الشرقية القريبة من الساحل الأمريكي

و تقول الحكاية .. إن سكان هذه المنطقة كانوا يطلقون على زعيم هذه الجماعة كلمة " إله " العربية . و يقول الرحالة الأوروبي (ريشارد برتون)، إنه شاهد إبان رحلته إلى أمريكا الجنوبية الكثير من العادات و

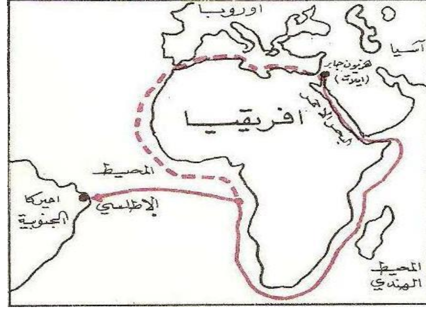
التقاليد التي تشبه تماماً عادات و تقاليد بلاد المورة (الأندلس) .. فالنساء محجبات ، و المنازل تفرش بالسجاجيد الإسلامية المميزة [١٥] .

و يميل (د . شاكر مصطفى) إلى أن العرب الأقدمين قد وصلوا إلى هناك قبل كولومبس ، ثم جاؤوا معه ثانية ، ثم دأبوا على المجيء بعده [١٦] ... لقد كان لعرب الأندلس الفضل على كولومبس ، و من تابع مسيرة الاكتشاف بعده ، و تسجيل بقاياهم الأثرية تلك في وجود كلمات أندلسية عند السكان إذ يقولون في ملاعب مصارعة الثيران (أوليه) و هي تعني (الله) ثم كلمة (أوشالا) و في أصلها (إن شاء الله) و ما إلى ذلك مما تركه عرب الأندلس في لغة سكانها الأصليين[١٧] .

٦ - الفينيقيون و قارة أمريكا :

هم الرواد الأول و الأقوى في البحرية و التجارة في حوض البحر المتوسط في تأسيسهم عدة مدن أهمها كيتيون في قبرص في القرن التاسع ق. م و قرطاج (تونس) عام ٨١٤ ق. م، و قد عرف عنهم حبهم للتوسع ، و الذي سبق الاستيطان الإغريقي ، و في شبه جزيرة إيبيريا و ترشيش شمالها أسسوا عدة مستوطنات أهمها قادس و آثارهم من القرن ٩ ق . م ، و كذلك مستعمرات على ساحل المتوسط الإفريقي كـ أوطيقا ١١٠١ ق.م . و لعل أهم مدنهم في إسبانيا ترشيش، و يرجح (موسكاتي) الباحث في الحضارة الفينيقية إلى أن الملاحين الفينيقيين قد توغلوا حتى أقصى الغرب في وقت مبكر يرجع إلى القرن العاشر ، و يكون من الواضح أنهم كانوا يستخدمون عدداً من المرافئ كانوا أقاموها هناك . و يتابع حديثه عن مستعمراتهم فيما وراء أعمدة هرقل (أي المحيط الأطلسي) بالقول : كانت مدن طنجة و ليكسوس و موغادور مستعمرات فينيقية أو فونيقية[١٨] .. و قد أظهرت اللقى الأثرية الدالة على ذلك العائدة إلى القرن السابع ق . م[١٩] و من أهم مستعمراتهم في الغرب ليكسوس Lixus على ساحل المحيط الأطلسي في نهاية القرن ١٢ ق . م ، و اعتبرت مع قادس مفاتيح المحيط الأطلسي ، و قد استعان بها القرطاجيون خلال رحلة حنون إلى إفريقيا الاستوائية في القرن الخامس ق . م فحصلوا على المترجمين لمساعدتهم ، و يخبرنا هيرودت بأن الفرعون (نِخاوالثاني) قد طلب من الفينيقيين حوالي نهاية القرن السادس ق. م أن يقوموا برحلة غطى نفقاتها.. إذ انطلقت من شواطئ البحر الأحمر إلى مستوطنات هرقل (مضيق جبل طارق حالياً) و استمرت

ثلاث سنوات، ودارت حول ليبيا (أي افريقيا) و عادت عن طريق المتوسط إلى مصر.وعندما وصلت مراكب الرحلة العاشرة غربي الشاطئ الافريقي، تمكنت العاصفة من أحدها ، ففصلته عن سائر المراكب وحملته التيارات المائية والرياح التجارية حتى شرقي البرازيل[٢٠].



مخطط رحلة نخاو أواخر القرن السادس ق . م

لم يكن أحد يستطيع تجاوز أعمدة هرقل ، خشية الولوج إلى المحيط الأطلسي، أما الفينيقيون فقد كانوا المغامرين الأوائل في تأسيس قادس وراء أعمدة (هركوليس) و هما الرأسان الضخمان عند مضيق جبل طارق ، لذلك يعتبر هؤلاء السوريون قد قدموا أعظم اكتشافاتهم بعد الأبجدية في نقل حضارتهم إلى العالم الجديد بل القديم عند السوريين ، و قد عرف (هوميروس) و (هسيود) عن وجود المحيط الأطلسي لأول مرة من الفينيقيين[٢١] و الذي سماه العرب بحر الظلمات .

بعد كل هذا العرض التاريخي و الآثاري ما الجديد أيضاً : هو اكتشاف لقى أثرية عليها نقوش كتابية ، تثبت ما قد تم عرضه ، فمتاحف مونتريال في كندا و نيويورك و هافانا (كوبا) و كاركاس (فنزويلا) و بوينس آيرس و لإبلاشا (الأرجنتين) تضم متاحفها الكثير من النقوش المكتشفة التي تؤكدأن الكنعانيين بحارة وصلوا إليها عام ٨٥ ق . م. و في البرازيل وجدوا الكثير من أسماء الأماكن و التي هي في أصلها من عندنا، مثل بثرويس أي صور الجديدة ، و أمازون (المجرى الذهبي) و برازيل (أرض الله) أو (أرض الإله إيل) و شت سيدادي (المدن السبع).

النص الفينيقي	المقابل بالعامية لشمال إفريقيا	المقابل العربي
هنا احنا بني كنعان م فرلم حقرة حمل اوش خبر حصل هك ؟ لا عنا ازيد حيا قتار في حيرم اناس تا بحر العلى كلوم أو على كان تر سنا تسعة أو عشرة – الحرامي ملك هنا عبيدو – لاح لا لوم ؟ عقوا لي دبر بهم شا جا اول الشع - عما هنا هي تا عسرة كي الحي حبي ما هي حر – اوستم سلم - اش بر نار فينا – حامي أو البر هنا ما غير بعل اولى ان – حتى خبر اللون – راح لم سنا م عشرة ماتم – كسنا ست ناس مبايح را تاسو – كي مت عسبط عبد هبلت أي عليه – اولمو على كانت أي حنانا	هنا احنا بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة موش حرام تحصلوا هكا ؟ ما تزدادش الحياة عندنا أكثر – في الهم الناس ستاع البحر – الحزن كلاهم – الحزن كاين – ترى السنا تسعة أو عشرة – الملك الحرامي هنا لوح عبيدو لاش ماهوش معاهم – اعرفوا اللي دبر بهم باش جا أول الشرع – الحما هنا عسيرة كيف الحي يحب الماء يلقاه حار – ولو كان هذا برك نصبر – ولكن اش هالبر النار تشعل فينا – حامي البر هنا ما غير بعل هو الي عان – حتى خبر الهون – راحتلهم السنا مع عشرة – بقينا ستا ناس مبيوعين – وانا نعسو – كيف مات عصبط – العباد هبلت عليه – قتل الحزن – كان موته حنانة عليه .	هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار ، أليس حراما أن نحصل هكذا ؟ لا تزيد الحياة عندنا أكثر – إن ناس البحر في الهم – الهم أكلهم – والحزن كائن وهذه السنة هي التاسعة أو العاشرة – الملك الحرامي هنا رمى بعبيده – لماذا ليس هو معهم ؟ اعرفوا أنه دبر بهم لكي يتوصل إلى أول مناصب القضاء – الحمى هنا عسيرة ، فإذا أحب الحي ماء وجده حاراً – لو كان هذا فقط لصبرنا لكن ما هذا البر ؟ النار تشعل فينا – البر هنا حام وما غير بعل هو الذي أعاننا – لا يصلنا أي خبر إلى هنا – رحلت عنهم السنة ومعها عشرة ماتوا – بقينا ستة أناس مباعين نقوم بالعسة – لما مات السبط أصاب العباد الاختبال عليه – قتله الحرن لكن موته كان حناناً إلهياً عليه

في البرازيل اكتشفت رخامة فوق قبر عليها نقش، يوضح حقيقة أولئك الذين اكتشفوا البرازيل حوالي عام ١٢٥ ق.م . إن الكتابة المنقوشة على الرخامة هي كتابة العصر الأخير من التاريخ القرطاجي و الملخص التوضيحي للنقش أن هؤلاء البحارة غادروا بلادهم (قرطاجة) يرافقهم الملك لإكتشاف هذه الأرض، غير أن ملكهم تركهم عائداً إلى الوطن و عين (عصبط) السبط ناظراً عليهم . ظلوا ينتظرون عودة ملكهم بالمدد و العون دون جدوى ، فغلب عليهم اليأس و طال الزمان عليهم عشرة أعوام مات فيها أكثرهم ، و لم يبق غير ستة أشخاص ، و مات ناظرهم السبط ، حتى ذهبت عقولهم من الذهول لوفاته ، و طالما تأخر الملك عليهم، اتهموه بتدبير مكيدة لهم في إرسالهم لاكتشاف هذا الصقع لهم، ثم تركهم ليتولى منصباً في أرض الوطن.

لعل هذا النقش يشير إلى أن هناك رحلات ذهاب و إياب ،بين عالم الشرق الفينيقي و عالم الغرب الأمريكي . و أما تحليل النص فقد ذهب كل باحث يدلي برأيه ، فإما أن الملك لم يعد لبلاده أصلاً و لم يتمكن من الإبحار ثانية أو أن قرطاجة قد دمرت ثانية ؟! (الأولى عام ١٤٧ ق.م) . أما تاريخ النص فقد ردوه من خلال الخط الفينيقي الأصلي و الفينيقي الحديث فالكتابة النقوشة على الرخامة هي كتابة العصر الأخير من التاريخ القرطاجي ،و أخيراً أستدل على أنهم كانوا يسمون أنفسهم بني كنعان و خاصة القرطاجيين، و لغتهم هي العربية المشابهة للعربية التي يتكلمها سكان المغرب العربي .[٢٢]

أما النص الأهم المكتشف في البرازيل في ولاية براهيبا (و هذا الاسم فيه معنى عروبي أرض / ابن) و نص الترجمة العام على الصخرة المنحوتة (بأن هذا التذكار الحجري قد أقيم من قبل الكنعانيين الصيداويين الذين أبحروا لتأسيس محطات تجارية في أماكن بعيدة و باسم الآلهة ابتدأت الرحلة في السنة التاسعة عشرة من حكم الملك إحرام ملكنا الجبار و قد نزحنا من أسبونغار على بحر القصب (البحر الأحمر) و بعد أن أبحرنا مع عمالنا و خدمنا في عشرة مراكب على طول الشاطئ الإفريقي تاهت سفينتنا عن مركب قيادة الأسطول فابتعدنا عن بقية السفن و وصلنا إلى هذا الشاطئ المجهول اثنا عشر رجلاً و ثلاث نساء بينهم أنا الفقير ماتو عشتار (خادم عشتار) فأقمنا هنا و ليكن الله عضداً لنا) [٢٣] ،هذا النص يقدم لنا دليلاً على أن المرأة الفينيقية كانت تخوض البحار مع الرجل،و أما اسم أحيرام فهو معروف في الحوليّات الفينيقية، خاصةً أحيرام ملك جبيّل (قرن ١٣ أو ١١ ق.م) .

و من النقوش الأخرى ما وجد على صخرة كبيرة تدعى (إيبو) و هي كلمات فينيقية فسرها عالم الآثار (بدرو لاشيز) فترجمها و نشرها في مخطوط كتبه عام ١٨٥٣ الكلمة الأولى هي



صخرة إيبو نقش عليها كلمات فينيقية

(نابو) و هو إله آشوري عبده الفينيقيون و كان له رأس كلب ، و اشتهر بصدق نبوءة كهنته للأشياء ، و هذا الاسم موجود في تراثنا السوري في أسماء قرى محافظتي حلب و ادلب: كفرنابو / كفرنبل / نبل و الكلمة الثانية هي (جلعاد) و هو الاسم الذي كان يطلق على سلسلة جبال تمتد من شرقي لبنان إلى الأردن و الكلمة الثالثة هي (نير) و هو الاسم الأول لقائد

عبراني يدعى نير ابن ابنير . هذه الكلمة تؤكد أن سليمان الحكيم كان يرسل سفنه لترافق السفن الفينيقية إلى البرازيل . و الكلمة الرابعة هي (جال) و كان جال ابن عبيد رجلاً معروفاً في شيشيم الاسم القديم لبلدة نابلس الحالية في الأردن .

ومن الآثار الفينيقية في البرازيل في نقوش منطقة (مورروداجافيا) و تعريبها: صور- فينيقيا – بدزير ،الابن الأكبر لجت بعل. و هنا إشارة واضحة إلى اسم بلدهم و مدينتهم و لأسمائهم السورية كبعل كبير الآلهة، وأنهم قد جاؤوا من تلك البلاد القاصية، و أنهم قد ذكروا اسم قرية لبنانية تدعى اليوم بزيزا ، وأما اسم بعل فقد ورد أيضاً في نص منقوش على تابوت ملك جبيّل أحيرام ، بأن صانعه هو (إيتو بعل بن أحيرام)



نقش لكتابة فينيقيّة تشير إلى مدينة

صور وفينيقيا مكتشفة في البرازيل

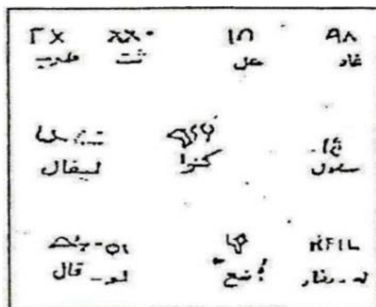
و هناك نقوش أخرى في وادي نهر الأمازون تؤكد أن الفينيقيين أنشؤوا مستعمرات فيها [٢٤].

و يرجع العالم (لاشيز) اكتشافهم البرازيل إلى سببين :

أولاً – وجود مجرى للمياه الدافئة يربط بين العالم القديم و شواطئ البرازيل كان الفينيقيون أول من اكتشفه ، و كانت سفنهم تعتمده لسهولة الملاحة فيه ثانياً – مهارة الفينيقيين في الملاحة و تقدمهم الكبير في تفسير مجاري الهواء التي كانوا يعتمدون عليها لتسيير سفنهم. وقد أورد العالم (لودفيغو شوانهاغن) تفصيلات وافية عن هذا الموضوع في كتابه " تاريخ البرازيل قبل المسيح بألف و مئة سنة " و أيضاً في محاضرته " جدودنا الفينيقيون هم أول من وطئ أرض أميركا و توطن البرازيل " فذكر أن منطقة في ولاية " بياوي " في البرازيل غنية بالآثار تعرف بمنطقة المدن السبع المتحجرة

تتجلى في نقوش للعيان بقايا بارزة للحروف الفينيقية ، و قد ذكر رئيس النادي الفينيقي في ريودو جانيرو أنه تم في مطلع الثلاثينات من هذا القرن (أي القرن العشرين) اكتشاف نقوش فينيقية هامة في منطقة صخور (كافيا) بالبرازيل ، و إن علماء الآثار أرجعوا هذه الكتابات إلى نحو أحد عشر قرناً قبل الميلاد [٢٥] .

لقد أقر مؤرخو البرازيل و العلماء للفينيقيين أنهم سبقوا العالم باكتشاف بلادهم ، و يشيدون بذلك عبر صحفهم .. و أشار المؤرخ المغربي المعاصر (عبد العزيز بن عبد الله) بالقول : فقد تأكد أن الفينيقيين .. قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات ، طافوا خلالها حول إفريقيا و وصلوا إلى البرازيل و أسسوا مملكة هناك مازالت معالمها قائمة إلى الآن . لقد أكد أكثر من باحث على وجود العرب في الشواطئ الشرقية للقارة الأمريكية .. ففي المنطقة التي ازدهرت فيها حضارة المايا (هنود أمريكا الوسطى) تم العثور على بعض الجثث المحنطة ، و قد وضع على وجوهها قناع من اليشم ، بنفس الطريقة التي كانت متبعة في دفن الموتى عند الفينيقيين (كأرواد و عمريت) .. كما عثروا على حبوب و غلات زراعية معروفة في البلاد الفينيقية ، و أما في الولايات المتحدة فقد عثر علماء الآثار على ما يسمى بصخرة (دايتون روك) على ضفة نهر تاثون في ولاية ماساتشوستس و عليه نقوش كنعانية /فينيفية/ بالأحرف الآرامية القديمة .



نقش لكتابة فينيقية على صخرة دايتن

كما تم اكتشاف أناس شبيهين بالفينيقيين يتخلل نطقهم بعض الكلمات السامية في وادي رونوك من أعمال فرجينيا في الولايات المتحدة .

و مما دعم نظرية الوجود الفينيقي في البرازيل ما اكتشفه (سترونغ) من آثار فينيقية في وادي (سكوهانا) بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة ،

استدل منها على أن القرطاجيين اكتشفوا أمريكا سنة ٣٧١ قبل الميلاد و استطاع أن يميز ٢٢ حرفاً فينيقياً فيما خلفوه من آثار ، كما استطاع أن يترجم من تلك النقوش سبعين اسماً لأمراء و ربابنة شواطئ أمريكا ، و أسماء بض المدن و الأماكن المعروفة مثل حلب و مالطة و سردينيا و قرطاجة و جبيل و صور و صيدا و ممفيس إلخ .. بالإضافة إلى اسم " ناند " إله الفينيقيين الذي كانت تقدم إليه القرابين . و يرجح هذا العالم أن أولئك القرطاجيين الذين يقدر عددهم بثلاثة آلاف نسمة توضعوا في ذلك الوادي ثم مالبثوا بعد أمد أن انقرضوا أو ذابوا بالاندماج مع سكان البلاد لقلة عددهم ، إذ لم ترفدهم قوافل أخرى. ومن مؤيدي هذه النظرية (جوزيف أيوب أوف الكيبا) من خلال كتاب صغير عنوانه " هل كان الفينيقيون أول من اكتشف أمريكا ؟ " و قد ذهب إلى هذا الرأي باحث أمريكي آخر اسمه (شارل ميشيلبولاند)

في كتاب أطلق عليه اسم : " جميعاً اكتشفوا أمريكا " All discovered " America " ، فأكد أن الوجود الفينيقي في القارة الأمريكية قد كان منذ عام ٤٨٠ قبل الميلاد حين خرج الملاحون الأوائل عن طريقهم البحري المعهود في البحر المتوسط باتجاه " ايسلندا " التي كانت تسمى في ذلك الحين " أولتيماتول " ثم رسوا بسفنهم آخر الأمر في منطقة " نيو انغلاند " على شواطئ العالم الجديد . و دليل بولاند على ذلك أيضاًتلك الكتابات الفينيقية المنحوتة في قطع من الصخور و الأحجار الأثرية التي تم اكتشافها بالقرب من " نورث سالم " و " نيو هامبشاير " في كهوف " باتي " و في " بنسلفانيا الجنوبية " على مقربة من " ميكانيكسبرغ ... " .

و في كولومبيا في العاصمة بوغوتا نشرت صحيفة ال تيامبو عام ١٩٦١ مقالاً لعالم اللغات القديمة (فون كندر) يقول إنه نجح في قراءة الرموز التي هي في الواقع كلمات فينيقية تروي قصة رحلة قام بها جماعة من الفينيقيين عبر أمريكا الجنوبية قبل ألفي سنة و الصعوبات الجمة التي واجهتهم في رحلتهم . و يذهب إلى أن هؤلاء الفينيقيين كانوا أول من اكتشف المحيط الهادي من السكان البيض في العالم القديم[٢١] .

و قد أكدت آراء المؤرخ الألماني (هيلدفيغ فيتزلير) بقوله:

الفضل في اكتشاف أمريكا يرجع إلى العرب قبل سائر الأقوام .

مجمل القول : إن عرب الأندلس قد عاشوا بين تراث الفينيقيين في مستوطناتهم في شبه جزيرة إيبيريا و قرطاج ، قد توارثوا خبراتهم عبر

عقود من السنين ، ليتابعوا عبور المحيط الأطلسي إلى قارة أمريكا ، و أنهم قد وضعوا خبراتهم و خدماتهم لدى المستكشفين من الإسبان و البرتغاليين فكانوا بحق قد قدموا للحضارة اكتشافهم أمريكا قبل غيرهم .

الهوامش

(١) أحمد داوود : تاريخ سورية القديم ص ٧٠٤

(٢) انظر مجلة (المعرفة) السورية العدد ٤٢٨ أيار ١٩٩٩ بحث بعنوان أول رحلة حول إفريقيا في التاريخ قام بها الفينيقيون لـ غازي جادة .

(٣) مجلة المعرفة العدد ٥٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٧ ص ٣٠٤

(٤) داوود : مرجع سابق ص ٧٠٧ – ٧١٢ و بهنسي : الشام و الحضارة ص ٥٣

(٥) من المصادفة أن كولومبس حين عاد إلى اسبانيا مكث مدةً طويلة في قرطبة ليرى ولديه، فهل تركهما عند أحد العلماء العرب أو البحارة الأندلسيين الباقين فيها، من الذين قدموا له إرشاداتهم و خرائطهم ؟!.

(٦) المسعودي مروج الذهب و معادن الجوهر ١ / ٢٥٨

(٧) عمر الدقاق : دور الفينيقيين و العرب في اكتشاف القارة الأمريكية بحث في مجلة عاديات حلب عدد ٤ - ٥ عام ١٩٧٨-١٩٧٩ ص ٨٠.

(٨) نفس المرجع السابق ص ٨٠ و هناك دراسة حديثة عنهم في مجلة المعرفة العدد ٥١٦ أيلول ٢٠٠٦ ص ١٧٤ بعنوان الفتية المغرورون لـ د . كارين صادر .

(٩) الدقاق: نفس المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٠) مجلة العربي العدد ٢٢٣ .

(١١) الموسوعة العربية دمشق ٢٠٠١ – ٣ / ٥٩٨ و مجلة الكويت عدد ٧٣ عام ١٩٨٨ ص ٩٠ .

(١٢) الدقاق ص ٨٥ نقلاً عن العربي ٢٢٣ .

(١٣) توماس أرنولد : تراث الإسلام ص ٥٢ .

(١٤) جريدة البعث العدد ١٣٤٦٨ تاريخ ٢٠٠٨/٧/٣١

(١٥) مجلة الكويت عدد ٧٣ عام ١٩٨٨ ص ٨٩ .

(١٦) مجلة الكويت: المرجع السابق .

(١٧) مجلة المعرفة كانون الأول ١٩٦٣ .

(١٨) الدقاق مرجع سابق ص ٩٠ .

(١٩) فونيقية /بونيقية مصطلح يشير إلى الحضارة الفينيقية التي أنجزت خارج الأراضي السورية كـ قرطاجة و شبه جزيرة إيبريا .

(٢٠) موسكاتي : الحضارة الفينيقية ص ١٦٦ و ١٧٧ .

(٢١) لبيب عبد الساتر : الحضارات ص ١٠٠ . و مجلة مهد الحضارات –العدد الثاني دمشق ٢٠٠٧ ص ٤٠وحتى ١٨٠/١

(٢٢) محمد الخطيب : الحضارة الفينيقية ص ٧٤ .

(٢٣) محمد جميل الحطاب : محاضرة له في جمعية العاديات في اللاذقية عام ٢٠٠٦.

(٢٤) مجلة أبيض و أسود : العدد ٦١ ص ٤٣ .

(٢٥) مجلة الأسبوع العربي العدد ٢٢١ أيلول ١٩٦٣ مقال الفينيقيون اكتشفوا أمريكا قبل كولومبس .

(٢٦) الدقاق : نفس المرجع ص ٧٤ .

(٢٧) مجلة أبيض و أسود : العدد٦١ ص ٤٣ .

(٢٨) مجلة الأسبوع العربي : نفس المرجع السابق

المراجع:

١- أحمد داوود : تاريخ سورية القديم - دمشق ط ٢ ١٩٩٧ .
٢- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر .
٣- توماس أرنولد : تراث الإسلام – بيروت ١٩٧٨ ط ٣ .
٤- جريدة البعث العدد ١٣٤٦٨ تاريخ ٢٠٠٨/٧/٣١م
٥- سباتينو موسكاتي : الحضارة الفينيقية – دمشق ١٩٨٨ .
٦- عفيف بهنسي : الشام و الحضارة - دمشق ١٩٨٦ .
٧- فيليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ٢جزء بيروت ١٩٨٢ .
٨- لبيب عبد الساتر : الحضارات - بيروت ط٩ ١٩٨٢ .
٩- مجلة أبيض و أسود العدد ٦١ عام ٢٠٠٣ .
١٠-مجلة الأسبوع العربي – العدد – ٢٢١ عام ١٩٦٣ .
١١-مجلة العربي رقم ٢٢٣ حزيران ١٩٧٧ .
١٢-مجلة الكويت العدد ٧٣ سبتمبر ١٩٨٨ .
١٣-مجلة المعرفة السورية عدد ٤٢٨ أيار ١٩٩٩ .
١٤-مجلة المعرفة السورية عدد ٥١٦ أيلول ٢٠٠٦ .
١٥-مجلة عاديات حلب العدد – ٤ – ٥ عام ١٩٧٨ – ١٩٧٩
١٦-مجلة مهد الحضارات –العدد الثاني دمشق ٢٠٠٧
١٧-محاضرات موسم ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ في جمعية العاديات باللاذقية .
١٨-محمد الخطيب : الحضارة الفينيقية - دمشق ٢٠٠٧ ط ٢ .
١٩-محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي - بيروت ١٩٨٢ ط ٢ .
٢٠-هنري س.عبودي : معجم الحضارات السامية - طرابلس لبنان ١٩٩١.

السـامية ،والسـاميون

السامية ،واللاسامية مصطلح أثار ويثير الجدل دائماً ، طالما التوراة هي المرجع للكثير من مؤرخي المنطقة الأجانب ، وحتى العرب وقعوا في مأزق الفهم الخاطئ لهذا المصطلح الذي ساد على غيره، رغم تحفظ الكثير عليه..

تسعى المؤسسات الصهيونية لتثبيت المصطلح كـ إشكال حضاري في المنطقة، والسعي لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يدين (معاداة السامية) وإلصاقه بالعرب خاصة وبالمسلمين عامة ، طالما هم يعادون الإسرائيليين.

أولاً – الســامية مصطلح لغوي :

أطلقه عالم اللاهوت شلوتسر المختص باللغات الشرقية عام ١٧٨١ م على (أسرة اللغات السامية) وهي مجموعة اللغات التي تكلمت بها الشعوب المنحدرة من أولاد سام بن نوح مستنداً إلى الجدول الخاص بأنساب نوح الوارد في التوراة ، والذي يقسم الأسرة البشرية إلى سام وحام ويافث(١).

وأما العرب عنده فهم من الساميين والحاميين ، معتقداً أنه وجد (الحل في نصوص التوراة نفسها ذات القدسية لأن الإصحاح العاشر من سفر التكوين يوضح ليس أصول اللغات الشرقية فحسب ، وإنما لغات جميع شعوب العالم) (٢)

من بعده Eichhrn إيخورن (١٧٥٢ – ١٨٢٧ م) كان أول المؤمنين بنظرية (السامية) وأول من ساعده في نشرها وتعميمها ولحق به القس رنك، ولأول مرة تضافرت جهود المستشرقين من علماء اللاهوت مع جهود مستشرقين من الدبلوماسيين في دراسة اللغات وخاصة اللغة العربية (السامية) من بينها . . تبعه آخرون فيما بعد وشكلوا (مفهوم النظرية السامية) (٣).

لو عدنا إلى أصول نظريتهم اللغوية من قبل ، من اهتم الغربيون بدراسة اللغات الشرقية لوجدنا علماء اللاهوت قد سيطروا على الدراسات في اللغات الشرقية وفي حضارات شعوبها ، واعتمادهم مع علماء التوراة نظرية الهولاندي (ريلاندوس) أن اللغة العربية هي لهجة من اللغة العبرية ، واحتدم الصراع في القرن الثامن عشر الميلادي بين ممثلي اتجاهين فكريين متناقضين في الدراسات الشرقية ، الأول : لاهوتي - توراتي تقليدي ، والثاني : تحرري في نظرته إلى دراسة اللغات وخاصة فقه اللغة العربية من بينها وإلى الإسلام (٤).

يمكن القول أن (شلوتسر) لم يكن يدرك أبعاد مصطلحه ، رغم أنه يقصد به التسهيل في الدراسة والتبسيط ، ولكن المستشرقين تبنوا مصطلحه لتطبيقه على شعوب المنطقة العربية والحط من قدر النبي محمد(ص) وليعارضوا المستشـرق (رايسكه) Raiske (القرن ١٨م) الذي كان معجباً باللغة العربية وبالتاريخ الإسلامي وبالنبي محمد(ص) فوضع مقدمة في التاريخ الإسلامي.

في القرن التاسع عشر الميلادي كان المستشرق الألماني اليهودي (ابراهام جايجر) أول من بدأ هذا الطريق في كتابة التاريخ الإسلامي ، ثقافته يهودية أرثوذكسية ، وضع علم اللاهوت اليهودي ، ليصرف دراسته حول المصادر اليهودية في القرآن في مؤلفه (ماذا أخذ محمد من اليهودية) عام ١٨٣٣ م وترك هذا المؤلف أثره إلى اليوم حول علاقة اليهودية بالإسلام.

من بعده تابع مستشرقون آخرون أهمهم (سبرنجر) الألماني الساخر بالنبي محمد(ص)، إذ طور النظرية السامية عند شلوتسر في بحثه عن وطن الساميين الأول ورسم أواسط شبه الجزيرة العربية مكاناً لهذا الوطن دون دليل مادي[٥]. وأما كرايمر (١٨٢٨ – ١٨٨٩ م) الذي جاء إلى حلب ليدرس الشرق ولغاته، قد تبنى (النظرية السامية) ولكنه كان قلقاً في تحديده (موطن الساميين الأول) مشيراً إلى أهلهم في الهضبة الآسيوية موطن الجمل مع أنه تأثر برواية التوراة في تحديد مناطق انتشار الساميين [٦]

بدأ الرحالة في القرن التاسع عشر يجوبون أرض شبه الجزيرة العربية وطالما تبنى بعضهم النظرية السامية ، حاولوا التثبت منها بعد دراستهم مجتمعات الأعراب ونظامهم القبلي ولهجاتهم ، وأضفى المستشرقون من خلالها على السامية مفاهيم عرقية واجتماعية وحضارية محددة لم تكن معروفة في بحوثهم ، منهم موسيل Mosil النمساوي و كايتاني Caetani الإيطالي [٧].

وهكذا بدأت تتحول هذه النظرية السامية من دراسات لغوية ولهجات لسانية إلى دراسات عرقية، ولعل (ارنست رينان) الفرنسي (١٨٨٣ – ١٨٩٢ م) أول مستشرق أوروبي يسير في هذا الاتجاه ، ليقع في مستنقع أخطاء علم اللاهوت والتوراة بأنهم عرق يختلفون عن العرق الآري ولذلك فإنهم بعكس الهندو – جرمان يميلون إلى التوحيد، وحيث أن العرب ساميون ، فقد بشر رينان قارئيه ومريديه أن (لا مستقبل زاهر للإسلام ولا بد أن ينقرض [٨] واعتبر سهول العراق ، البيئة الأولى للسامية الأم ووافقه الكثير على ذلك و إن كان قد سبقه إلى هذا الرأي الإيطالي جويدي[٩] .

وأما المستشرق سمث البريطاني (١٨٤٦ – ١٨٩٤ م) والذي ترسخت في بحوثه مسألة فهم تاريخ دراسة ديانة التوراة فهماً نقدياً . . . وضع مؤلفه حول ديانة الساميين متبنياً النظرية السامية لغة وحضارة وتاريخاً وآثاراً ، لكنه كان متشبعاً بديانة التوراة فمنح نفسه في مسألة تحديد اللغة السامية الأم وموطن الساميين الأول ، كما فعل المستشرقان الألمانيان سبرنجر وكريمر وقال إن شبه الجزيرة العربية هي مهد الساميين الأول [١٠] و أما نولدكه الألماني فخالف الجميع بأن الشمال الإفريقي المهد الأصلي للساميين و أما موسكاتي الإيطالي والذي رجح طرحه على غيره أن شبه الجزيرة العربية الموطن الأصلي للساميين الأول ، والسبب في خروجهم الجفاف [١١] .

ومن الأبحاث الطريفة والتي عدت إليها بحث نشر في مجلة الثقافة العربية في ليبيا [١٢] بعنوان نوح والصهيونية واللاسامية ، يعطينا الباحث مفهوماً جديداً لمنشأ السامية بقوله : هي مشتقة من كلمة سما بمعنى علا وارتفع . . . وعرفت الدولة البابلية هذا الإسم منذ القدم ، حيث أن أحد ملوكها عرف باسم أبو سامي (سامو أبي) وذلك قبل مجيء حمورابي . كذلك ملك في بابل رجل اسمه سامي ليل ، وهذا كله قبل مجيء رسالة إبراهيم الدينية ، أي قبل ظهور اليهودية وبني إسرائيل والنصرانية . وكلمة سام تعني ارتفع ، وهي مرادفة لكلمة ارم و آرام أي صفة للعلو والارتفاع ، ومنها كلمة سماء .

أول من أطلق هذا اللقب (ساميين) على مجموعة من الناس هم الفرس عندما غزوا بلاد الآراميين ، في القرن السابع ق . م . . . والفارق اللفظي بين العربية والفارسية بقلب حرف السين – شيناً – والعكس صحيح .

ومن هنا يكون أصل كلمة ساميين هو – شاميون – نسبة إلى بلاد الشام... وهي موطن الآراميين . استعمل الفرس والإغريق ثم تلاهم الرومان هذه الكلمة محددة للدلالة على منطقة بر الشام العربية... وعندما جاءت الحضارة اليونانية عبر – بابل – التقت بهؤلاء الشاميين واحتكت بهم بمثل ما احتك بهم السريانيون والفرس ، فانقلب الحرف الأول عند الفرس والسريان والإغريق ، واستعمل بدون تنقيط (س) فأصبحوا يعرفون باسم الساميين وفي العهد الإغريقي ، تعاصر كل من حزقيال الشامي ، وزرادشت الفارسي وأفلاطون اليوناني .. وكان أتباع الجميع يطلقون على حزقيال اسم (الشامي) وعلى مدرسته الفلسفية اسم مدرسة الشاميين . وعندما جاء عزرا (العزيز) بعد حزقيال وأراد وضع الأسفار الخمسة – كتوراة بديلة – للتوراة التي فقدها بنو اسرائيل ، فقسم مناطق العالم إلى

ثلاث وربط شعوبها مباشرة بفكر التوراة الديني ، عندما اعتبر أن نشوء المجتمعات – بعد طوفان نوح إنما كان من خلال نوح نفسه ، وأن جميع البشر هم من أبناء نوح نفسه – ولكنهم يتفاوتون – تكوينياً – فيما بينهم ، ولهم أفضليات وامتيازات على بعضهم الآخر ، فجعل العالم ثلاثة أقسام هي :

١. الآسيويون الأوروبيون .
٢. الأفارقة والملونون ، ويدخل فيهم العرب والبدو بدءاً من منطقة تبوك في الصحراء حتى البحر العربي في الجنوب .
٣. الساميون – وهم المنفصلون عن الصحراء العربية لجهة الشمال .

وعلى هذا الأساس ، زعم (عزرا) أن القسم الأول من أبناء (يافث) ابن نوح وهذه أول صفعة ترد للأوروبيين ، لأن كلمة يافث أو Yaphet وردت عند الإغريقيين موازية للجن والشياطين . كما اعتبر المصريين والأفارقة (الأحباش) والعرب السمر ، الصحراويين هم من أبناء (حام) ابن نوح ، وأخيراً اعتبر الساميين هم أبناء (سام) ابن نوح .

ولو عدنا إلى القرن الخامس ق . م ووقفنا مع التاريخ الحقيقي لظهور اليهودية ، والمتأثرة بالظواهر الدينية المحيطة بها أي أن مجموع الأسفار الخمسة التي وضعها عزرا في حدود ٤٥٠ ق . م ليست هي دين ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وأسباط وموسى ولذلك كان مجيء عيسى / ع / للقضاء على الفكرة اليهودية .

*　　　　　　*

ثانياً - العداء للساميين في الغرب :

لو قبلنا جدلاً بأن اليهود ساميون في مزاعمهم فمتى بدأ هذا العداء لهم ؟ هو قديم منذ أن وجدوا وانعزلوا عن المجتمعات الأخرى بحجة أنهم شعب الله المختار .

كان اليونانيون قد شعروا بالكراهية لهم ، بعد وفاة الاسكندر وخاصة في القرن الثاني ق . م ، وأحد الأسباب رفضهم المشاركة في الأعياد الوثنية العامة للمدن اليونانية ، وأنهم أسمى من غيرهم ولم يتقبل المثقف الهليني

توحيدهم ، لأنهم لم ينزهوا ربهم (يهوه) عن صورة البشر فهو في صفاته وأعماله مشابه لآلهة اليونان والرومان .

رواية في عهد الملك السلوقي أنطيخوس أبيفانس عن سجنهم أحد المواطنين اليونانيين في هيكل أورشليم لذبحه ومص دمه لصنع خبزهم وتناوله في عيد الفصح عندهم (وهذه لها مثيل في دمشق وكما سيرد) . . حوادث عدة أدت إلى العداء للسامية فيما بعد في العهد الروماني لاحتكارهم التزام الضرائب والأموال التجارية ومن الثابت تاريخياً أن اليهود استطاعوا النفوذ إلى مراكز القوى العالمية ، إذ اتبعوا (الاسكندر المقدوني) ولعبوا دورهم في القوة العالمية حينذاك . وكذلك حين استظلوا بالفرس ، وأتاحوا لهم فرصة العودة إلى فلسطين وبناء الهيكل (٥١٦ ق . م) لكنهم حين وجدوا الاسكندر غاب نجمه ، استبدلوه (بقورش) الفارسي ، فساعدوه باحتلال بابل عبر مؤامراتهم ضد السلطة العربية البابلية . وكذلك فعل (يوليوس قيصر) القائد الروماني بمكافأتهم على خدماتهم وكذلك ابنه فيما بعد .

وفي الاسكندرية كان لهم النفوذ الأكبر في العهد الروماني . . .

ويمكن القول أن الاستعمار الروماني قد تعهد بنفسه بدور معاداة السامية، خاصة في عهد القائد (بومبي) ٦٣ ق . م حين ساق إلى رومة عدداً كبيراً من الأسرى اليهود وأما يهود رومة ، فقد بدأ يتفاقم نفوذهم عام ١٩ م، مما حدا بالامبراطور طيباريوس قيصر إلى تفادي مواجهة اليهود بما يكرهون بصورة مباشرة ويحتال لتقليص نفوذهم بأسلوب ملتو . وحصل اليهود في الامبراطورية على امتيازات خاصة ، إذ كرمتهم الدولة الرومانية باعترافها بديانتهم الشرقية وغيرها ، لكنهم أرادوا الحصول على كل شيء ، امتيازات الطائفة الخاصة وحقوق المواطنة العامة . إذ اعتبر اليهود في الخارج أنفسهم يهود (الشتات) وأينما أقاموا فهم في أرض الأعداء .

وبدأ نشاطهم السري يزداد داخل العاصمة رومة لتفتيتها من الداخل ، وما حادثة حرق رومة في عهد نيرون عام ٦٤ م والتي التصقت به وألصقها بالمسيحيين ، مع أنهم قلة قليلة لا حول لها ولا طول ، ثبت تاريخياً وراء حرقها اليهود أنفسهم فـ بوبيا زوجة نيرون قد كان لها صلة وثيقة مع وفد كهنوتي يهودي جاء من أورشليم قبل الحرق وعاد بعده محملاً بالهدايا [١٣]
وبعد اعتناق قسطنطين الديانة المسيحية ، يعقد مجمع نيقية الكنسي عام ٣٢٥ م باعتمادهم الأناجيل الأربعة طالبوا آباء الكنيسة بمنع شيوخ اليهود من رواية تعاليمهم الدينية وتسجيلها في تلمودهم بوصفهم أعداء المسيح

ولعل تحليل (سارتر) المحامي عنهم والغافل عن جرائمهم عبر التاريخ في قوله :أن أقدم تهمة وجهت إليهم أنهم قتلة المسيح ، وكل مسيحي في أوروبا يشب ناظراً إليهم على أنهم قتلة أحفاد قتلة ، ولذلك يشب اليهودي شاعراً أنه في موقف مختلف عن الآخرين ، مستبعد مكروه – كما يقول – سارتر – ولن يقبل سكان أوروبة المسيحية انتماءهم إليهم ويسهب في وصف صورة اليهودي في المجتمع الأوروبي ، لكنه يرسم أيضاً صورة (عدو السامية) الذي يتميز بعداء خاص لليهود . ونتيجة هذا العداء ظهر فريق يدعو إلى إقامة وطن يهودي ودولة يهودية والرد على النفي قيام دولة تبرهن على ما يقوله خصومهم من أنهم لا يحبون الانتماء إلى الأوطان التي يعيشون فيها أصلاً [١٤] .

وأما المؤرخ العالمي (توينبي) في كتابه دراسة للتاريخ يقول (أن اليهود أصبحوا في وقتنا هذا أشبه بأثر متحجر من آثار مدينة ساحقة وأن اللاسامية في التاريخ المسيحي فرضت على المسيحية بواسطة اليهودية وليس بواسطة الهيلانية... وقد تحول اليهود إلى مضطهِدين (بكسر الهاء) (لأول مرة في تاريخهم منذ العام ١٣٥ بعد المسيح)

وأما الدكتور حسن ظاظا – والذي اهتم بدراسة اليهودية وطقوسها – يحدد ظهور اللاسامية إلى القرنين ١٨ – ١٩ في أوروبا ومنها إلى أمريكا ، بعد تفشيها في روسيا لدرجة أن حملات أنصار اللاسامية ضد اليهود تحمل اسماً روسياً هو كلمة (بوجروم) أي حملة النكال والقتل والتخريب ضد المجتمعات اليهودية [١٥] .

ولقد ازدادت موجة العداء للسامية في ستينات القرن التاسع عشر لدى الكاتب جوبينو في كتابه (دراسة عن عدم تساوي الأجناس البشرية) وأما المستشار الألماني بسمارك فكان يعتقد أن شعار العداء للسامية ضروري للقضاء على مزاحمة التجار وأصحاب المصارف ورجال الأعمال اليهود . وفي عام ١٨٨٢م عقد في أوروبة المؤتمر الأول لمعاداة السامية وصدر عنه نداء إلى جميع الدول والشعوب المسيحية وكأنها مهددة بخطر الموت من وطأة اليهودية . وبعد هذا المؤتمر انتشرت موجة العداء للسامية في عدد من البلدان الأوروبية . وتثبت الوقائع التاريخية أن منظري الصهيونية ساهموا في عملية (ابتداع) ظاهرة العداء للسامية . . . والعداء الممتد عبر ألفي سنة غير قابل للشفاء . .

هكذا صور المفكر الصهيوني (بنسكر) ظاهرة العداء للسامية . ووفق تحليله العنصري ، يود الوصول إلى هدفين اثنين :

١. الأمة اليهودية كانت موجودة دائماً بسبب قدم العداء للسامية واستمراره .
٢. لا حل للمسألة اليهودية إلا بتجميع اليهود في وطنهم القومي فلسطين لأن استئصال معاداة السامية من الطبيعة البشرية (غير اليهودية) أمر مستحيل[١٦].

وظهر أيضاً ما يسمى (العنصرية اليهودية) ، ولحل الإشكال بين الساميين واللاساميين ، طرحوا إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين هو الحل . وإذا كان العرب أو المسلمون يعارضون إنشاء مثل هذا الوطن فهم بالتالي لا ساميون ، وهكذا تحولت النظرية السامية من حل لمشكلة لغوية ، إلى مشكلة سياسية ذات جذور عنصرية، ومشكلة صراع وجود، وليس إلى نقاش لغوي!!

*　　　　　*

ثالثاً ـ موقف الشرق منهم :

لم يفكر الشرق بعدائهم ، إذ استظل اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، وكان لهم مراكز مرموقة في المجتمع إلى عهد متأخر، ورغم تآمرهم على الرسول /ص/ فإن القرآن حذر الرسول / ص / منهم ، ولكن اللاسامية ، كانت مجهولة بين العرب ولعل حادثة تعيين (بستنائي) اليهودي من قبل عمر رئيساً مسؤولاً عن الجالية اليهودية في العراق وإيران واستمرار هذا المنصب فيما بعد . . . هو اعتراف رسمي من رئيس دولة غير يهودية بسلطة روحية ورئاسية لطائفة من أهل الكتاب [١٧] .

ويؤكد علماء التاريخ اليهود على أن الإسلام قد تفاعل بنشاط مع الفكر اليهودي ، وموقف المسلمين المتسامح معهم يشهد به موسوعاتهم وخاصة في الأندلس ، وفي ظل خلافة قرطبة وصلوا إلى ذروة النفوذ والرخاء ، وفي أيام عبد الرحمن الناصر ، تولى العلامة (حسداي) بن شبروت ، الإشراف على الخزانة وكان قبل ذلك قد حظي برعاية الناصر بخدماته الدبلوماسية ، وكذلك عمل (حسداي) طبيباً خاصاً للناصر .

ووفد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة وكانوا يرتدون الزي العربي، ويمتازون بثرائهم . وفي غرناطة تولى الوزارة (يوسف بن نعزالة) وكذلك حظوا برعاية في ظل الدولة الأيوبية ، وكان طبيب الملك

الناصر صلاح الدين العلامة (موسى بن ميمون) اليهودي القرطبي ، وعين رئيساً للجالية اليهودية . وكان يدرس الطب والفلك والرياضة بالجامع الأزهر [١٨] .

وحتى بعد سقوط الأندلس ، لجأوا إلى الشرق في اسطنبول وغيرها من مدن الشرق العربي . . ومن الوثائق التي اطلعت عليها أن مدير المال لولاية حلب وهي كبرى الولايات العثمانية قد كان يهودياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . وأقر الكاتب اليهودي (رافائيل باتاي) في كتابيه العقل العربي والعقل اليهودي : (أن وضع اليهود في دار الإسلام كان على وجه العموم أفضل بكثير من وضعهم في أوروبة المسيحية . . والعرب لم يمارسوا أي اضطهاد أو ترحيل على نطاق واسع وسمي العصر الذهبي لليهود في اسبانيا حين اقتبس اليهود اللغة العربية وصبوا فيها كل مساهماتهم الفكرية) . بل إن الفكر العربي حررهم من اقتصارهم على دراسة دينهم وأدخلهم في مجال البحث العلمي . وفي ظل هذه الحضارة أنجبوا أكبر فلاسفتهم موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤ م) ولكنهم سرعان ما تخلوا عن العرب وتعاونوا مع الإسبان ويؤكد باتاي الفرق بين تاريخ اليهود في اسبانية المسلمة واسبانية المسيحية ، أنه بينما كانت في الأولى تتخلل حياة اليهود أحياناً فترات من الاضطهاد ، صار في الثانية يتخلل اضطهاد اليهود فترات متقطعة من السلم بين الحين والحين [١٩] .

لم يكن الشرق عنصرياً تجاه الساميين والعداء – إن وقع – فهو من ميولهم العنصرية وانهم شعب الله المختار وجميع الشعوب تستحق الفناء، ويمثلون هذا في طقوسهم الدينية – وكما ذكرنا سابقاً – حدث في دمشق ٦ / ٢ / ١٨٤٠ م إذ فقد أحد الرهبان الكاثوليك مع خادمه وتبين أن اليهود قد ذبحوه ليشربوا من دمه ، أو صنعوا من هذا الدم خبزاً يأكلونه في أحد الأعياد كما هي عادتهم ، وهكذا هاجم الناس اليهود في حاراتهم وفي معابدهم وأن يحرقوا البيت وأن يهدموا المعابد في دمشق وبيروت وفي ازمير بتركيا [٢٠] .

إنهم في كتاباتهم التوراتية يكرهون كل شيء يخص ملوك وشعوب العراق ومصر وسورية لأسباب سياسية أكثر منها عقائدية .. وهم يستقبحون الكنعانيين لأنهم من نسل شخص لعنه نوح أبوه لسبب يقال غير مقنع في التوراة [٢١] .

إن الشرق لم يكن صاحب هذه النظرية العنصرية ، بل هم أتباع المدرسة التوراتية وقد أشاد (بيير روسي) بالتسامح الذي كان طبعاً أصيلاً في النظرة الدينية الشرقية للإنسان ، كما نبه أن التعصب الأعمى هو إنتاج يهودي محض ، كرسه الغرب فيما بعد بغير هواده . (٢٢) بل إن الشرق قد دفع ثمن هذه النظرة في الحروب الصليبية ، وعودة إلى التراث الكلاسيكي لهذه الحروب نجد أن ما كان يستحوذ على عقول فرسان الصليب ويدفعهم إلى تحمل كل المشاق . . . المثل التوراتية الثلاثة : شعب الله المختار – الأرض الموعودة – الحرب المقدسة . . وغص الأدب الصليبي بالإشارات التوراتية وبمقارنات بين أبطال الصليب وأبطال التوراة مثلهم الأعلى . وكان القديس برنارد الأب الروحي لأوروبا الغربية خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر فأنشأ فرسان المعبد وأطلق عليهم الأحفاد الحقيقيين لبني إسرائيل وهكذا أصبحت صورة المسلمين في أدب الحروب الصليبية هي في كثير من جوانبها صورة أعداء بني إسرائيل كما وردت في التوراة (٢٣).

* *

رابعاً – مصادر التوراة :

كثرت الأبحاث والدراسات التي تؤكد أن التوراة لم تعد كتاباً مقدساً ، بعد نقدها ، مكتشفين فوارق في الأسلوب وتناقض في الروايات عن الحادث الواحد وتباين في الأوامر التي يفترض أنها من مصدر واحد كما يقول الدكتور أنيس فريحة - لقد كان الناس يعتقدون جيلاً بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراة (تكوين/ خروج / لاويين / عدد / تثنية) كتبها كلها النبي موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد في التوراة ذاتها . . والتوراة كلمة عبرية تعني توجيه وتعليم واعتراف بقدسية التوراة في القرن الخامس ق. م.. ولكن لم تبدأ دراستها النقدية إلا بعد القرن السابع عشر ، وخلصوا إلى أن الألف سنة بين ابراهيم وتدوين التوراة في تسجيلهم القصص القديمة (٢٤) ، ليست بالزمن القصير وأكد الباحث جورجي كنعان: أن أسفار التوراة المقدسة منقولة برمتها أو مسخاً عن الآداب والشرائع المصرية والكنعانية والبابلية (٢٥) . وقد خلص الباحثون إلى أن التوراة قد سطرت وكتبت منذ بداية الألف الأول ق.م وتبين أن ما ورد فيها قد أتى من بابل مع اليهود في السبي البابلي والذي تم في القرن السادس الميلادي.

وأما فراس سواح توصل إلى القول : نشوء التوراة وتطوره من أرضية ثقافية سورية وبابلية ومصرية . لقد بدأت المشابهات بين التوراة وآداب الشرق القديم تظهر، عندما بدأت الحضارات القديمة للمنطقة تتكشف من تحت التراب بواسطة الحفريات الأثرية [٢٦] . وقد ذكر الباحث فردريك ديليتشس في كتابه بابل والكتاب المقدس حقيقة الطوفان البابلي الذي عثر عليه على لوح فخاري مكتوب في مكتبة سردنبال في مدينة نينوى ويعود تدوينه إلى الألف الثالث ق . م وتعرض إلى المتشابهات والعلاقة الوثيقة بين رواية التكوين في العهد القديم ورواية التكوين البابلية [٢٧] .

وكذلك الترابط في مفهوم الخطيئة وإغراء الحية للمرأة . وهناك نصوص أخرى ثبت من خلال الكشوفات الأثرية أنها من تراث بلاد ما بين النهرين وتتمثل في أسفار التكوين والخلق والطوفان وأيوب وجنة عدن وقابيل وهابيل. أما النصوص الكتابية المكتشفة في أوغاريت فقد أخذ منها الكتاب المقدس وهكذا يمكن القول أن التوراة لم تعد وثيقة تاريخية ، وعلى المؤرخين الرجوع عن تواريخهم ، ونحن علينا إعادة النظر في تاريخنا مرة أخرى

* *

خامساً – نقد الآثار لهم :

لسنا في معرض محتوى التوراة فلسنا من أصحاب الاختصاص في ذلك ، ولكننا نستعين بالدراسات والمكتشفات الأثرية ، والتي أكدت أن التوراة هي نسخة من الأساطير والقصص العروبية القديمة .

وخير من قدم لنا بالوثائق الأثرية والتاريخية الباحث الفرنسي (بيير روسي) في كتابه (مدينة ايزيس – التاريخ الحقيقي للعرب) مؤكداً أن العبرانيين استطاعوا النفوذ إلى ثقافتنا وأنهم الأجداد الساميين لتاريخ الشرق ولتاريخنا نحن . . فلا العمارة ولا الكتابات المنقوشة على الآثار ، ولا الدساتير ولا القوانين تكشف أثراً قليلاً للعبرانيين . فعلى آلاف النصوص المسمارية أو المصرية أو مكتبة راس شمرا (أوغاريت) أو نينوى ، وحتى الروايات الارامية . . في ذلك كله لا تذكر كلمة (عبرية) . وأشهر ملوك التوراة وهما داود وسليمان لم يصبحا قط موضوع وقائع تاريخية ، وليس هنالك أبداً ذكر للملحمة وللوقائع الحربية المعزوة لعبور العبرانيين [٢٨] .

وأما موسى فقد رأى الآثاريون فيه شخصية مركبة عن سرغن الآكادي ، البطل الوحدوي الأول الذي وحد المشرق العربي في الألف الثالث ق.م ، ولذلك ركبوا قصته التوحيدية على موسى وخاصة قصة إنقاذه ومجرى حياته وقيادته شعبه . لقد اتضح بجلاء أن اسرائيل ابتدعت لنفسها تاريخاً ، ونسبت جذوره إلى أرض الرافدين (مسقط رأس إبراهيم في أور البابلية) والشمال السوري في حران ، والجنوب في كنعان ، ومن ثم في مصر ، وكل هذا التاريخ كتب في عصر واحد وزمن واحد بالتزام واحد ، هو إظهار شعب الله المختار . ..

وفكرة الإله الواحد من أور كلدان إلى أرض كنعان ، زيف تاريخي ذو أهداف سياسية لتبرير استيلاء اليهود على أرض غيرهم [٢٩] .

ومن اطلع على كتاب (حتى) (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) أو أي كتاب آخر لوجد أن مرجعهم الأول والأخير بل جميع هوامشهم تستند إلى التوراة ، مع أن الواقع الأثري قد أثبت بطلان وتناقض رواياتها ، ومثالنا أن رواية الخروج من مصر من بدايتها في مدينة(رعمسيس)إلى نهايتها عند شاطئ نهر الأردن ، لم تجد لها سنداً – حتى الآن – من شاهد تاريخي أو آثاري [٣٠] . لقد نقبوا كثيراً في الأراضي الفلسطينية ، فلم يجدوا غير معابد وقصور كنعانية وأما أوغاريت العربية الكنعانية فقد قدمت الأصل الحقيقي ليهوه ، ولأغلب مواد التوراة الأدبية والطقسية والفولكلورية ، وخلص الكثير إلى مصدرها الكنعاني [٣١] ، مع أن التوراة تستبعد الكنعانيين . لقد أثبتت المكتشفات الآثارية وأظهرت أن المنطقة العروبية هي واحدة ، منذ أن ظهرت الحضارة فيها ، فهذا عصر مسيلم نسبة إلى الملك العربي في كيش (العراق) والذي يتفق مع زمن أول سلالة أور الأولى حوالي آخر النصف الأول من القرن السابع والعشرين ق . م وأما منحوتات ماري فقد حملت كتابة عروبية قديمة وكذلك إبلا والتي أرجح هي أهم مصادر اللسان العروبي القديم ، تفرع إلى لهجات أوغاريتية وآرامية – سريانية وعبرانية وعربية . . وقد أشار الإمام ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام صفحة ٣ : " إن العربية والسريانية والعبرانية من أصل واحد " [٣٢] . وأكد قوله هذا كثير من علماء اللغات في القرنين الماضيين كـ (اولمستد) و (عبد الله فيلبي) و (دي جوج) و (اولسهوزن) و (نولدكه) مجمعين على قدم اللغة العربية وهي أصل اللغات السامية ، بل إن (دوسو) قال بصريح العبارة: إنحمورابي ملك بابل هو عربي [٣٣] . وأما كلمة عرب فلم

تكن شائعة في التاريخ القديم ، ولم يعثر عليها إلا في نص آشوري في عهد (شلمنصر) الثالث ٨٥٣ ق . م ولم تعرف صفة العربي وعاداته إلا في نص آخر ، في عهد(تغلات) فليصر الثالث ٧٣٨ ق . م . وبعضهم قال إن كلمة آرام ما هي إلا كلمة آراب = عرب وإن إبدال الميم بالباء لهجة معروفة عند العرب القدماء حتى قالوا: مكة وبكة" [٣٤]

نخلص إلى القول: ان العروبية هي اللغة الأقدم، وليست السامية (العبرية)

* * -

سادساً : آراء ومقترحات :

كثرت الدعوات إلى إيجاد مصطلح بديل عن السامية ، طالما كشفت التنقيبات الآثارية والوثائق التاريخية ، عن زيف التاريخ التوراتي إذ لا يعقل أن تحتفظ الأجيال في ذاكرتها بنص رواية شفوية عن نسب آدم ونوح حتى الألف الأولى قبل الميلاد، علماً بأن الإنسان لم يكن قد عرف أسماء العلم، فكيف بالأنساب التي يجهل أهميتها ، بل وجدنا في الرقم الأثرية أسماء أعلام غير مرتبطة بالنسب فكيف وثق التوراتيون نسبهم ؟ !

" وأما محتواها الديني فليس أصيلاً كما يدعون ، فهم في منفاهم البابلي قد وقفت عقيدتهم اليهودية والعقائد الأخرى (مردوك وآشور وزرادشت) . . . ولكن ظهور أشخاص بينهم مثل (عاموس وأشعيا و حزقيال وأرميا . . . إلخ) قد زرع في نفوسهم أمل تكوين الوحدة الدينية واللغوية ، لذلك طرحوا مقولات جديدة ، من الأفكار والعقائد الأخرى وأهمها شجرة الأصل والنسب التوراتية التي حددت لـ اليهودي نشأته الأولى وأصوله العرقية ، واستمراريتها بشكل منتظم من آدم مروراً بـ نوح و سام وانتهاء بأسباط إسرائيل . ولذلك يظهر أسباط إسرائيل أخيراً في هذه الشجرة في صورة مميزة عن سائر قادة شعوب الأرض وأعلامها صورة مميزة بأصلهم العرقي السامي المزعوم . وهنا حقق الكتاب غرضين في آن واحد :

١-تحديد أصل ملتهم العرقي ، ولو كان تحديداً مصطنعاً .

٢-نشر تصورهم الشمولي للخليقة وتأثيرهم المباشر في تصور الشعوب الأخرى لأصولها الأولى .

وهكذا حققوا الشعور المشترك فيما بينهم بالانتماء لأصل واحد على حد زعمهم في وحدتهم العرقية [٣٥].

وطالما تثبتنا من زيف شجرة النسب التوراتية ، والتي سميت خطأً بالعائلة السامية، فكذلك من غير المقبول طرح مقولتهم أو هناك لغة سامية ، بعد اكتشاف اللغة العروبية القديمة في كل من ماري وإبلا وأوغاريت وشعوبها والتأكد في علم اللغة المقارن تشابه الفرعونية والعربية في الكثير من المفردات والمفاهيم .

هم ينتهزون كل فرصة لتثبيت زيفهم ، ولكن الآثار تحبط محاولاتهم وخير مثال نقدمه في قضيتين ، وسنعرف لماذا حدث ما حدث في وقت الحدث .

القضية الأولى : المعروفة بالقضية (النقبية Negebite)

والمثارة بعد اكتشاف اوغاريت عام ١٩٢٩ م ثم تفسير لغتها " ولأن التوراة وحدها كانت قائمة – بشكل فعال – في الخلفية الثقافية والرصيد المعرفي لأولئك الدارسين ، فقد أثار اعتمادهم في تفهم لغة أوغاريت على الجذور المشتركة للألفاظ في اللغات السامية المعروفة ، وخاصة العبرية . . أثار إحدى القضايا التاريخية الشهيرة (في أسطورة كرت) واشترك فيها جماعة من علماء أوغاريت . موجزها أن (فيرولو) وجد بعض ألفاظ وردت في الملحمة أسماء اشخاص تاريخيين وأسماء أسباط من أسباط اليهود مثل تارح أبي إبراهيم و أشير و زبلون ، وأدوم في شرقي الأردن، والنقب الجزء الجنوبي الصحراوي من أرض كنعان القديمة . . وثبت أن هذه الكلمات لها معان أخرى ، والقضية ليست تاريخية بقدر ما هي أسطورة أدبية دينية . واستغل العلماء اليهود هذه الترجمة ، وحولوها إلى قضية سياسية ، استغلوه في خلق عقدة الذنب اللاسامية عند الأوروبيين ، رغم إجماع علماء اللغة الأوغاريتية على مخالفة (فيرولو) ومعنى لفظ Negebite ليس النقب بل النجباء وغيرها من الألفاظ التي خالفه فيها الآباء البروتستانت . تمت حركتهم هذه قبل إنشاء دولة إسرائيل ١٩٤٨ م، ليستفيدوا منها بأن أرض الميعاد، لها وجود تاريخي في سورية،وأنهم قد شاركوا في ميراث المنطقة [٣٦].

٢.القضية الثانية : رقم إبلا وتفسيراتها الأولية :

حدثت بعد حرب ١٩٦٧ م لتستغل في إثبات وجودهم التوراتي بادعائهم إبلا هي وطن العبرانيين ، وسببها القراءات الخاطئة للألواح بوجود إشارة إلى سدوم وعمورة وإلى كهنة توراتيين وغيرها ، هو التسرع بالتفسير الخاطئ وقرر

(بيغز) " انه لا ينبغي قبول الاقتراح الأولي القائل بربط لغة ألواح إبلا باللغة العبرية ، ولا سيما إذا تذكرنا بأن اللغتين يفصل بينهما أكثر من ألف عام [٣٧] .

وقد رد علماؤنا عليهم علمياً مؤكدين أن المدن المكتشفة ماري وأوغاريت و إبلا وغيرها لم تذكر في التوراة فكيف هي توراتية ؟

وحين ذكر بعض الأسماء المتشابهة مع أسماء التوراة ، فهي صفات لأشخاص لا يمتون بصلة النسب للعبرانيين ، بل العكس هم الذين استوحوا من أحداث وأساطير هذه المواقع توراتهم ، والأسماء هي متوارثة ومعدلة حسب اللهجات فـ اسم الملك (ابريوم) الإبلائي ترجموها ابراهام وغيرها بما يخدم أغراضهم السياسية ، ليتقولوا أنهم ساميون من نسلهم ، بل سكان إبلا عروبيون وليس العكس في رأينا ، إن اكتشاف لسان إبلا رد على أن هناك (عالم حضاري) يسبقهم بألف وخمسمائة عام بل يسبق طوفانهم وأساطيرهم !

وقبل اكتشاف محتوى رقم إبلا توصل الباحث الفرنسي (ببير روسي) إلى حقيقة عروبة الثقافة في المنطقة في قوله (إذا كنا عازمين على أن لا نستعير شيئاً من أحلامنا ، فيجب علينا أن نعرف العروبة كثقافة الشرق الوحيدة [٣٨] .

هو يدعو إلى أن يلغي المثقفون العرب هذا الدجل العلمي الذي بات تاريخهم ضحية له . كما يندد بما فعله علماء الغرب الموسوعيون حيال ذلك التاريخ ، وبما أسندوا إليه من أساطير توراتية موضحاً أن ذلك كله ادعاء وابتذال أحكام مسبقة ضد الشرق ، وأنها روح استعمار أبوي تحاول فرض نفسها) بل علينا أن نتكلم عن العرب ذلكم الشعب الحقيقي والذي يمتلك وجوداً اجتماعياً مستمراً ، وجوداً ثقافياً ولغوياً يعطي حياة وتوازناً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنوات . وأما الدين في نظر روس (ليس شيئاً آخر سوى توكيد وجود الروح وانسها بالإله خالقها . . إن الحيوية المدهشة والمستمرة لأديان الشرق القديمة تظهر انها كانت شيئاً غير مجموعة صور . والإسلام نفسه لم يغير شيئاً بل أكمل ! لقد استولى على قلب التراث العربي ليحاول التعبير عنه كاملاً [٣٩] .

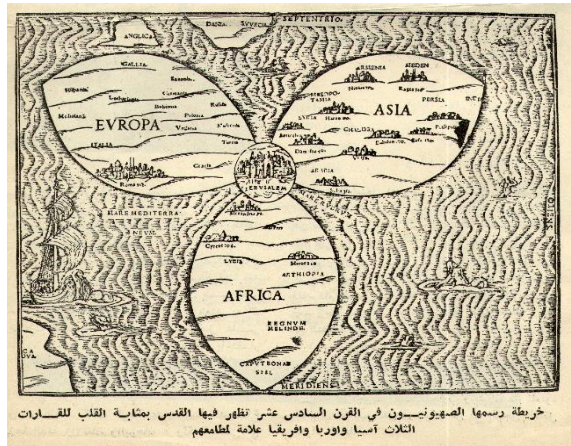
وأخيراً ما الحل وما البديل عن السامية والساميون ؟ !

- الباحث محمد عزة دروزة اقترح مصطلح (الجنس العربي)
- الباحث أحمد داود يفضل (العربية)
- الباحث د . جواد علي اقترح (الشعوب العربية)

- الباحث أنور الرفاعي اقترح البديل بـ (سامي / عربي)
- العلامة العراقي طه باقر يقترح (لغاة الجزيرة أو اللغات العربية أو الأقوام العربية أو أقوام الجزيرة) .
- الأب بولس بهنام يؤيد تسمية السامية لأنها قديمة جداً في تراثنا ترقى إلى ما قبل القرن السابع الميلادي وأول من أطلقها على مجموعة اللغات الشرقية هذه هو يعقوب الرهاوي المتوفي عام ٧٠٨ م [٤٠] ، ونرد على هذا بأن تسمية الرهاوي هي أيضاً مأخوذة من التوراة وكذلك الدكتور البير فريد نقاش يقترح الاستعاضة عن النسبة إلى سام بالنسبة إلى (الشرق) كأن يقال المشارقة وألسن المشرق ولسان مشرقي [٤١] ، ولكننا لا نوافقه على هذا الطرح رغم مبرراته للدلالة عليه كاسم يطلق على سكان هذه المنطقة إذ فاته أن الغرب يطلق على الصين اسم المشرق فكيف سيكون لسانهم مشرقي كلساننا !!
- الباحث اللغوي محمد خليفة التونسي لا يقترح ، بل يؤكد على استبدال السامية بـ (العروبية) ويوافقه د. علي فهمي خشيم (ليبيا) على مصطلح (العروبية) مؤكداً في جميع أبحاثه على ذلك بالشواهد والقرائن اللغوية حتى من الفرعونية العربية[٤٢] ، وكذلك د . جمال الدين خضور يذكر (العروبية) دون تواصل مع خشيم .

وفي ختام بحثنا نحن مع استبدال مصطلح اللغة السامية [٤٣] باللغة العروبية والشعوب السامية بالشعب العربي ، بتعدد أسماء الصفات في العصور المختلفة .

مجلة العلوم العدد الثامن ١٩٦١



خريطة رسمها الصهيونيــون في القرن السادس عشر تظهر فيها القدس بمثابة القلب للقــارات الثلاث آسيا واوربا وافريقيا علامة لمطامعهم

الهوامش

[1] -ولفنسون : تاريخ اللغات السامية بيروت ١٩٨٠ ص٢ وغيرها ونسيب وهيبة الخازن : من الساميين إلى العرب ص ٩ وما بعد .

[٢]- سليمان : اسطورة النظرية السامية دمشق ١٩٨٢ ص ٥٧ ــ ٥٨

[٣]- سليمان : ص ٦٠ - ٦١

[٤]- سليمان : ص ٦٣ - ٦٤

[٥]- سليمان : ص ٦٦

[٦]- سليمان : ص ٦٩

[٧]- سليمان : ص ٧٠

[٨]- ظاظا - حسن : الساميون ولغاتهم دمشق ١٩٩٠ ص ١٨

[٩]- سليمان : ص ٧٢

[١٠]- ظاظا الساميون ولغاتهم ص ١٧

[١١]- محمود علي البغدادي في مجلة الثقافة العربية عدد ٧ حزيران ١٩٧٦ ص ٣٣ ــ ٣٤

[١٢]- نعناعة ــ محمود في مجلة الثقافة العربية نيرون و بوبيا ومعاداة السامية عدد ١١ أيلول ١٩٧٤ ص

[١٣]- مجلة العلوم عدد ٨ / ١٩٦١ ص ٥٧ - ٦٠

[١٤]- ظاظا مقال اللاسامية واللاإسلامية مجلة الفيصل عدد ٢٠٥ يناير ١٩٩٤ ص ٧

[١٥]- مجلة الأرض الفلسطينية ٢٤ / ١٩٧٩ ص٧

[١٦]- ظاظا ــ مقال اللاسامية والإسلام مجلة الفيصل عدد ٢٤٨ / ١٩٩٧ ص ٢١

[١٧]- د. محمد عبد الله عنان ــ مجلة العربي عدد ١٢٧ حزيران ١٩٦٩ ص ١٨ - ١٩

[١٨]- مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١١٢٦ تاريخ ٢ / ٦ / ١٩٧٨ ص ٦٦

[١٩]- جريدة أخبار اليوم المصرية ١٢ / ١ / ١٩٧٤ مقال عن كتاب الدياسبورا

[٢٠]- الشمس ــ ماجد في أصل العرب / دمشق ٢٠٠٤ ص ٦

[٢١]- داود ــ أحمد : لآلئ الملك الكبير مجلة المعرفة عدد ٢٤٠ تا ٢ / ١٩٨٢ ص ٢١٦

[٢٢]- يوسف - عبد الكريم : الجذور التوراتية للحروب الصليبية مقال في مجلة الموقف الأدبي ٦ / ١٩٩٣

[٢٣]- الجندي ــ أنور الشبهات والأخطاء ــ القاهرة ١٩٧١ ص ١٠٣ - ١٠٥

[٢٤]- كنعان ــ جورجي مقال في جريدة تشرين ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٦ ص ٨

[٢٥]- سواح ــ فراس : مغامرة العقل الأولى بيروت ١٩٨٠ ص ١١٦

[1] القيم – علي – مجالس الكتب دمشق ١٩٩٢ ص ٢٠٥

-٢٦ داود – أحمد تاريخ سوريا القديم دمشق ١٩٩٧ ط٢ ص ٧١ وغيرها

-٢٧ القيم – علي : مجالس ص ٢٨ – ٢٩ عن كتاب وحيد خياطة قراءات في التوراة

-٢٨القيم– مجالس ص ٢١٣ نقلاً عن كتاب سواح ، وانظر اسطورة النظرية السامية ص١٤٥

-٢٩ داود – أحمد : لآلئ الملك الكبير – المعرفة عدد ٢٤٠ ص ١٨٦ - ١٨٧

-٣٠ مجلة العربي عدد ٨٥ عام ١٩٦٥ ص ٩٠ وقد عاش ابن حزم في القرن الخامس الهجري وكذلك العدد ٩١ تاريخ ٦ / ١٩٨٦

-٣١ جعفر – إحسان : العربية أقدم اللغات السامية - مجلة المعرفة ٢٢٢ – ٢٢٣ / ٩ / ١٩٨٠ص ٣٤ - ٣٥

-٣٢ العش – محمد فرج أبو – القومية العربية القديمة مقال في المجلة المصرية نوفمبر ١٩٦٠ ص ٥٣

-٣٣ سليمان : ص ١٨٤ - ١٨٥

-٣٤ داود – أحمد : لآلئ الملك الكبير . مجلة المعرفة عدد ٢٤٠ تا ٢ / ١٩٨٢ ص ١٨٩ - ١٩١

-٣٥ بهنسي – عفيف : وثائق إبلا دمشق ١٩٨٤ ص ٧١

-٣٦ خضور–جمال الدين: مقدمة في الأنتروبولوجية المعرفة التاريخية – مجلة المعرفة عدد ٣٩٤ تا ٧ / ١٩٩٦

-٣٧ داود – أحمد : بحثاً عن التاريخ الحقيقي للعرب – مجلة المعرفة عدد ٢٥٠ تا ١٢ / ١٩٨٢ ص ٧٠

-٣٨ الزكيمي - جرجس : مقال في جريدة البعث عدد ٨٩١٥ تا ١٧ / ٨ / ١٩٩٢

-٣٩ القيم – علي : همس الحروف . دمشق ١٩٩٦ ص ٩٥

-٤٠ خشيم – علي فهمي : بحثاً عن فرعون العربي مجلة الثقافة العربية عدد ١١ / ١٩٨٢ ص ١١٩ والهوامش

-٤١ من المؤسف أن الغزو الثقافي المغالط ، أثر علينا حتى في وضع معجم للآثار والتاريخ تحت عنوان (معجم الحضارات السامية) استوحيت أفكاره من التوراة في صياغة الكثير من المصطلحات الواردة فيه !!!

المراجع

- الخازن – نسيب وهيبة: من الساميين إلى العرب. بيروت١٩٨٠م
- داود – أحمد يوسف: تاريخ سوريا القديم . دمشق١٩٧٧ ط٢
- بهنسي – عفيف: وثائق إبلا دمشق١٩٨٤م
- القيّم – علي: همس الحروف. دمشق١٩٩٦
- سليمان – توفيق: اسطورة النظرية السامية. دمشق١٩٨٢
- ظاظا – حسن: الساميون ولغاتهم. دمشق١٩٩٠م
- الشمس – ماجد: في أصل العرب. دمشق٢٠٠٤م
- الجندي – أنور: الشبهات والأخطاء. القاهرة١٩٧١م
- سواح – فراس: مغامرة العقل الأولى. بيروت١٩٨٠م
- القيّم – علي: مجالس الكتب. دمشق١٩٩٢م
- مجلة المعرفة السورية. العدد ٢٤٠/٢٥٠
- مجلة (المجلّة) المصرية. نوفمبر١٩٦٠م
- جريدة البعث – عدد ٨٩١٥ تاريخ ١٩٩٢/٨/١٧
- محلة العربي–عدد٨٥ عام١٩٦٥–والعدد ٩١ تاريخ١٩٨٦/٦ ٦ والعدد١٢٧/ ١٩٦٩
- مجلة الثقافة العربية – العدد٧ حزيران١٩٧٦م
- مجلة العلوم – العدد١٩٦١/٨
- ولفنسون – اسرائيل: تاريخ اللغات السامية. بيروت١٩٨٠م
- مجلة الموقف الأدبي – ١٩٩٣/٦م
- مجلة الحوادث اللبنانية – العدد ١١٢٦ تاريخ ١٩٧٨/٦/٢م

وغيرها من المراجع والحوليات والصحف

* القسم الثاني*

حواضر التاريخ الأثري

أنطاكية

في العصر الكلاسيكي

١- تمهيد :

زمنياً يطلق مصطلح العصر الكلاسيكي على المدة التي تبدأ من عام ٣٣٣ق.م إلى ٦٣٧م وهو العصر اليوناني – الروماني ، هذا العصر عاشت فيه أنطاكية عهدها الذهبي ، لتكون ثالث مدينة في العالم بعد روما والاسكندرية، قال مؤرخها اميانوس هي ((درة الشرق الجميلة)) .

٢- حضارة المنطقة :

في سهل العمق الغني بموارده الاقتصادية ازدهرت حضارات أهمها حضارة آلالاخ (تل عطشانة) وآخر اكتشاف في إبلا ورود ذكر آلالاخ .

في رقم إبلا، وحضارة أخرى عند مصب نهر العاصي (صابونى / صامنداغ الآن) التي ترقى للألف الثاني ق.م .

في منتصف الألف الأولى سميت المنطقة بـ هاتينا، وبعد الحثيين استولى الآشوريون على المنطقة ثم الفرس عام ٥٨٧ ق.م إلى أن دخلت المنطقة تحت سيطرة المقدونيين (الإغريق) .



ميناء الصابوني عند نهر العاصي-قرب السويدية-عام١٨٦٠م

وثبت وجود علاقات تجارية مع قبرص وكورنثه ورودس واثينه وكريت هذا الموقع الهام لإنطاكية لوقوعها على طريق الأناضول – العمق – فلسطين مصرمنذ الألف الثالث ق.م، دفع الكثيرين لغزوها فيمابعد (الفرس– الفراعنة)

٣- تقديم تاريخي :

في عام ٣٣٣ ق.م جاء المقدونيون – اليونانيون – إلى هذه المنطقة بقيادة الاسكندر المقدوني ، بعد انتصاره على الفرس في معركة ايسوس شمال اسكندرون ، ويتجه إلى هذه المنطقة لفتح سورية الطبيعية مجاوراً نهر العاصي إلى صور. بعد وفاة الاسكندر دبّ النزاع بين حلفائه،

فتجزأت إمبراطوريته ، وتشكلت المملكة السورية بجهود سلوقس الأول (٣٢١-٢٨٠) ق.م والملقب بـ (نيكاتور Nicator – المنتصر) والحاصل على القسم الأكبر من أراضي الإمبراطورية .

وأصبحت العاصمة أنطاكية التي بناها سلوقس على اسم أبيه أنطيوخ ، تأثرت المنطقة بالثقافة اليونانية وكما سيرد،



موقع معركة إيسوس-شمال إسكندرون

رسم بارتليت ١٨٣٦م



قناطر مياه في إيسوس

إذ معظم الكتابات باليونانية بالتقويم الآخذ بما يسمى العصر الأنطاكي الذي يبدأ في ٤٩ ق.م في جبل باريشا والأعلى وغيره في محافظتي ادلب و حلب

٤- النشوء والارتقاء :

شرع سلوقس ببناء أربع مدن شقيقة وهي :

١- سلوقية دوبيريه (السويديه / صامنداغ الآن) .

٢- أنطاكية .

٣- لاوديكيا (لاذقية) .

٤- أبامي (أباميا / أفاميا) .

لتشكل القسم الأساسي من شمال سورية،تعتبر أنطاكية أنموذج للمدن التي تمثل وظيفة المدينة الحرة عند الإغريق تحت اسم (بوليسات – polis) تشبه في توزعها العمراني كلاً من لاذقية وأفاميا .

حين نزورها لا نجد كل ما سنعرضه ، بل حياتها القديمة ظلت محفوظة في الحوليات الأوروبية واليونانية واللاتينية والسريانية، فقد شابها الوصف الأسطوري في نسبة بانيها إلى سام بن نوح (ياقوت وغيره) لكن هناك من ذكر بعض الحقائق في نسبتها إلى سلوقس أو أنتيغون ، المهم ذكرهم سورها الذي لم يكن له نظير ومن عجائب الدنيا طوله ١٢ميل = ٢٥ كم تقريباً وفيه ١٣٦ برجاً .

(بها كنائس مكلفة بالرخام والفسيفساء والزجاج الملون والبلاط المجزع (محمد ابن كنان)

كذلك أضفى القدماء عليها الأساطير بأن الآلهه شغوفة للإقامة فيها، وفي الحقيقة حازت على شهرة عالمية وتستحق ذلك

كونها :١ - نقلت الحضارة الإغريقية إلى سوريا

٢- المركز الأقوى للمسيحية بعد القدس ، وفيها أطلق على أتباعها (مسيحيون) و(كنيسة الله) و(مدينة الله)

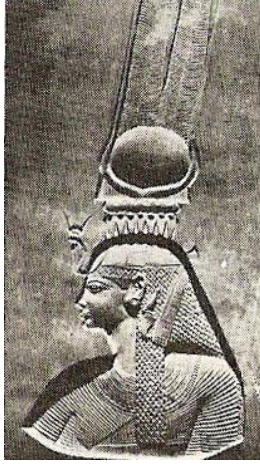
٣- سميت أم المدن (ميتروبوليس) لعمرانها وتقدمها الحضاري العالمي ولها ألقاب أخرى .

عزى سلوقس اختياره المكان إلى الاسكندر والآلهة تيكة / توخى وهي رمز الحظ السعيد لدى جميع مدن الشرق كـ أرادوس (أرواد) وحين التدشين كانت الأضحية بحياة عذراء جميلة تسمى (أيماتيه) لضمان حماية الألهة للمدينة .

في عام ٣٠٠ ق.م بدأ سلوقس ببنائها لموقعها المميز في المنحدر الغربي لجبل سيلبيوس المسمى الآن (حبيب النجار)



تمثال أوتيخا-حامية أنطاكية

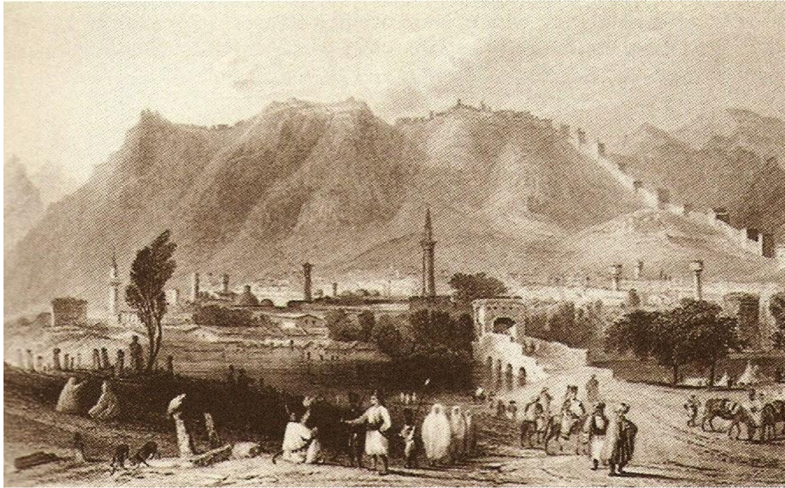


نحت يمثل كليو باترا

ونهر العاصي في الغرب وميناؤها البحري سلوقيا بيرية (السويدية ثم صامنداغ الآن) ودافني (الحربية/حربيا الآن) ثم لاوديكيا (لاذقية)

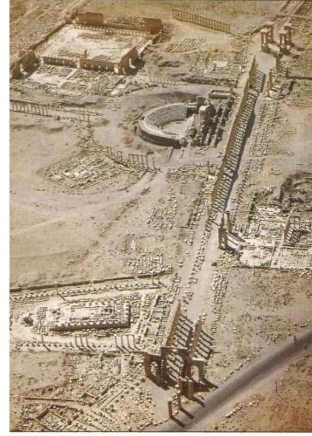
كما كان هناك طريق يؤدي إلى أباميا (أفاميا) ويمر بقرب جسر الشغور، وطريق مرصوف بالحجارة نحو بيرويا / حلب .

بنيت الأسوار وخططت الشوارع من قبل المهندس زيناريوس وكسينوس ، اتخذت أول الأمر شكلاً بيضاوياً فيما بين النهر والطريق الذي غدا في عهد



أنطاكية –عام١٨٣٦-رسم بارتليت

الرومان الشارع الرئيسي ، ذا بواتك الأعمدة والتي كان فيها قناديل تظل تضيء ليلاً وكأنك في النهار وتجاورها أروقة بجانب الشوارع الرئيسة، وهي تشبه التي في تدمر وأفاميا.



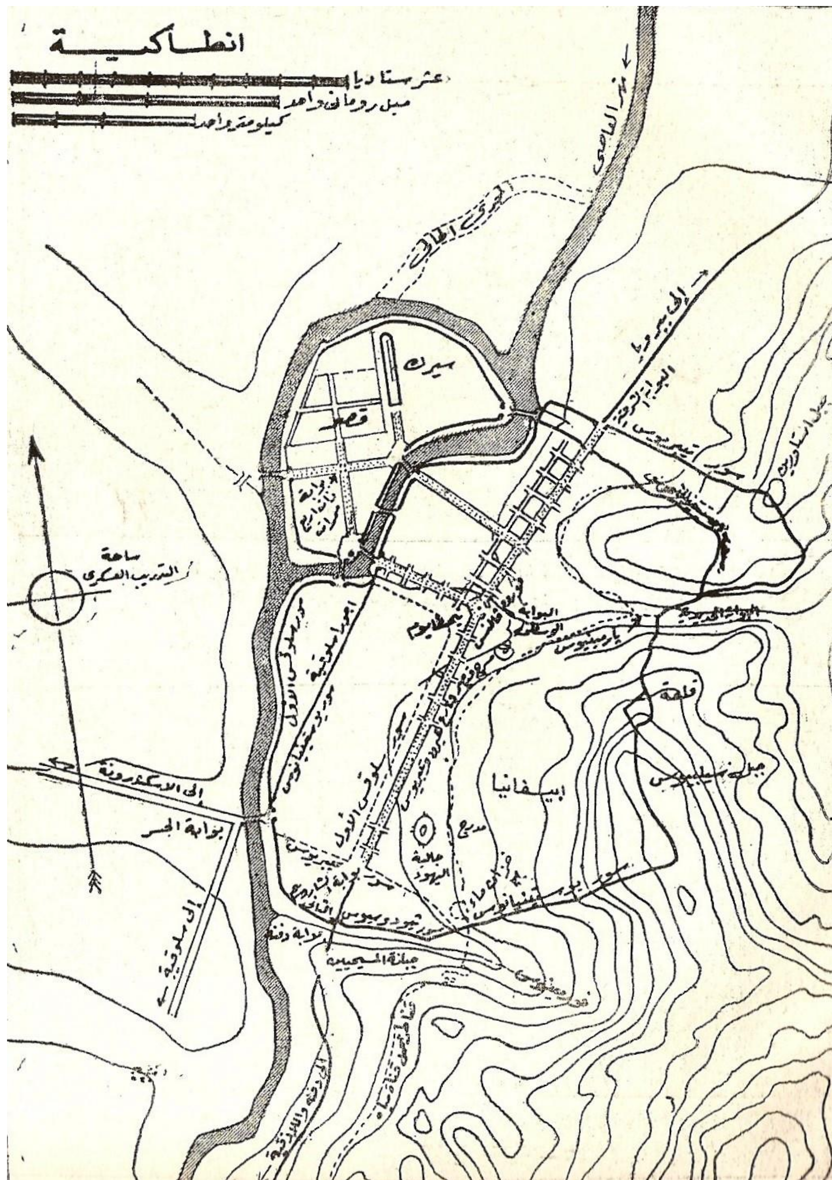
تدمر-شارع الأعمدة



أفاميا-شارع الأعمدة



أنطاكية-السور والأبراج-رسم بارتليت-عام١٨٣٦



أنطاكية- مخطط توزع الأبنية الرومانية والسور

كان فيها أغوارا ساحة عامة (كما في مدن قرانا الأثرية في جبل باريشا) فتطل على شاطئ العاصي .

كانت تشبه الاسكندرية في طراز بنائها وشكل تخطيطها، من شارعين رئيسين على جانبهما الأعمدة، ويلتقيان في الوسط ومرصوفة بالبلاط كما في أفاميا . ثم جاء انطيوخس الأول ليضيف إليها حياً جديداً مسوراً، ثم عرفت باسم تيترابوليس أي المدينة المخمسة :

في واقعها العتيق، مؤلفة من حيين منفصلين للأوروبيين، وآخر للأهالي السوريين ، ولكل منهما سوره الخاص به لكن مساحة حي الأوروبيين ضعف حي السوريين .

وقد خططت لتستفيد من مزايا الظل والنسيم حتى الرحالة لاحظوا ذلك

في عام ٢٨٠ ق.م أصبحت عاصمة للجزء الغربي من مملكة السلوقيين في عهد انطيوخس الأول، ثم عاصمة للملكة السورية .

غدت في عهد سلوقس الثاني (٢٤٦-٢٢٦) المقر الرئيسي للدولة السلوقية مما أدى إلى توسع المدينة .

في عهد أنطيوخس الرابع ابيفانس (١٧٥ – ١٦٣ ق.م) أزهى فتراتها، اهتم ببنائها وصارت أرقى المدن، وله حي خاص باسمه.

يقال بأن كليوبترا تم زواجها من انطونيو في أنطاكية بدأ الأباطرة يترددون إليها ويطلبون تأييد سكانها ومن يتخاصم أو يسعى للنفوذ من القادة يستعين بهم.

سمح بومبي (الذي فتح سورية عام ٦٤ ق.م) لأنطاكية الاحتفاظ بامتياز أو حق الحكم الذاتي الذي حازته في عهد السلوقيين أي أصبحت عاصمة لهذه الولاية .

يوليوس قيصر زارها عام ٤٧ ق.م وأطلق لأهاليها حرية الحكم الذاتي والحريات الأخرى، كما اهتم بإقامة منشآت عامة كالمسرح والمدرج .

وبدأت تنظم فيها (وأيضاً وفى دافني جنوبها) الألعاب الأولمبية الدورية كل ٤ سنوات من قبل اغطيرس عام ٣١ ق.م

أما الإمبراطور سبتموس سفيروس الليبي الأصل قسّم سورية إلى ولايتين شمالية تسمى سورية المجوفة (١٩٣ – ٢١١ م) وجنوبية تسمى سورية الفينيقية وفي عام ١٩٤م جردها من مرتبة متروبوليس (مدينة رئيسية) ليحولها إلى قرية تابعة للاذقية لأنها وقفت ضده واللاذقية معه ولم يدم هذا الواقع

طويلاً إذ منحها انطونين (الإلهي) شخصية المستعمرة، بعده كراكلا حولها إلى مستعمرة .



تمثال سبتموس سيفيروس -متحف أنطاكية



تمثال نصفي ل كراكلا-

بلغ عدد سكانها في القرن ٢م (٢٠٠)ألف نسمة وربع مليون في القرن ٤م .

ولشهرتها زارها البطل التاريخي هاني بعل علّه يستفيد منها علماً وخبرة .

الأمبراطور يوليانس جاء عام ٣٦٢م ليعد إلى حملة على فارس، وبقي في أنطاكية والمنطقة، فحدد أسعار المشروبات والرقص، كما ألغى بعض الكنائس لأنه ارتد عن المسيحية وشجع ببناء المعابد كما في معبد دويلي في جبل الدويلي / محافظة ادلب لذلك وصفه أهالي انطاكية بالقزم المتباهي بلحية تيس

وإدارياً كان فيها مجلس شعبي يتخذ القرارات السياسية ويقود كل نواحي الحياة، بما فيها عمل الموظفين، لكنه يمثل الطبقة الغنية وفي نقوش تدمر ذكر لتكريم عضو مجلس أنطاكية عام ١٦١م، وهنا إشارة إلى أواصر الصداقة بين البلدين وقبل نفوذ تدمر فيها .

٥- **اقتصادها :** الأرض الطيبة والغابات التي تسيل فيها المياه طيلة العام، ونهر العاصي، وقربها من سهل العمق، جعلتها وفيرة الخصب، من إنتاجها

الزيتون وزيته والنبيذ والحرير (دودة القز) والخضراوات خاصة الخيار .. وزنبق انطاكية



لاذقية-قوس النصر أواخر القرن ٣م-رسم فوغويه ١٨٦٢م

(مع اللاذقية) كانت له شهرة عالمية، ودعي زيت الزنبق باسم الزيت السوري مطلوب طبياً، مع نوع ممتاز من السعيط المستخدم طبياً، وفيها انتشرت هواية الصيد: أما قرى وبلدان إقليم جبال الكتلة الحوارية في محافظتي ادلب وحلب فقد كانت ترسل انتاجها إلى أنطاكية ليصنع،ومنها يصدر إلى العالم.

صناعة المعادن كالذهب والفضة حرفة هامة فيها، إذ كان فيها دار سك النقود، تزينها نعوت الشرف ورأس الآلهة زيوس وأبولون اكتشف في ديحس في جبل باريشا (محافظة ادلب) عملة سكت في أنطاكية من القرن ٢ ق.م .

ثبت وجود حيوانات مفترسة بجوارها كالأسد والنمر وأخرى الإبل والنعامة والثور المسنم وتربية خيول السباق، حيث كان السباق من أسباب اللهو الشائعة عندهم

٦- دافني :

من الأسماء الأخرى لأنطاكية (أنطاكية على العاصي) و (أنطاكية قرب دافني) وهي المدعوّة اليوم (الحربية / حربيا) جنوبها بـ ٩كم مشهورة في العالم القديم باسم دافنس/دافني ثم (بيت الماء) لوجود الشلالات الغزيرة فيها، وشجرة الغار والسرو الطويل، وصفها (ليبانوس) الأنطاكي في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي بقوله (أنقى هبة أعطتها ملكة العرائس) كانت تزود إنطاكية بالماء وتقام فيها الاحتفالات والأعياد، ففي عام ١٦٧/١٦٦ ق.م



شلالات دافني-رسم لأحد الرحالة

أصدر انطيوخ ستاتيرات ذهبية (نقود) بمناسبة الاحتفالات إذ يسير الآلاف من إنطاكية إليها، يتحلون بتيجان وزخارف ذهبية وفضية، وكان فيها مسرح تعرض فيه مسرحيات يونانية .

صدر فيها قانون يمنع قطع الأشجار فيها حتى القرن ٦ م. فيها عاش نرسيس الذي عشق نفسه ومنه اشتق في علم النفس مصطلح (النرجسية) للمعجب بنفسه ولوحة الفسيفساء عنه اكتشفت في دافني مع غيرها من اللوحات الأرضية.

وكان فيها ملعب رياضي وتقام أعظم الاحتفالات الأولمبية، تدوم ثلاثين يوماً ثم فيما بعد إلى٤٥ يوماً وتساهم فيها النساء، لكن كان يشوبها الخلاعة والشذوذ يأتي إليها الأباطرة والقواد لاستشارة الكهان، كمعبد أبولو الذي بناه سلوقس ، وفي وسطه تمثال له، كما كان فيها آلهة خاصة بالأباطرة، وبنى فيها الإمبراطور هادريان (ق٢م) مسرحاً ثم توسع فيما بعد وبدأوا بإصلاح قنوات المياه التي تتصل بأنطاكية ، بذكر الفضل لهذا الإمبراطور انه اهتم بتمديد فقنوات المياه في سوريا بما فيها محافظة ادلب في أرمناز وسهل الروج وغيرها



نقد الأمبراطور هادريان

٧- فن الفسيفساء :

يمكن القول إن هذا الفن في أنطاكية هو الأميز في حضارتها، ومدرسة المنطقة عبرت عن الثقافة اليونانية العتيقة خاصة أساطيرها وحروبها وهذا يحتاج إلى أبحاث أخرى

لكنها أيضاً عبّرت عن كافة جوانب الحياة في أنطاكية في بعضها رسوم هندسية فقط، وغالبيتها يحيط بها أطار هندسي معبر أو على شكل أزهار قد يظن بعضنا أن اللوحات هي جدارية بل هي أرضية حتى حجرة الطعام ترصف بالفسيفساءٍ عكس بقية المناطق السورية، والتي رصفت في أرضيات الكنائس،



لوحة هندسية-متحف أنطاكية-القرن٣م



لوحة حمام أبولاوسيس-سوتيريا-ق٥م

أما في أنطاكية رصفت في الحمامات والساحات والدارات، وفي بعضها تشخيص لفصول السنة ومناظر للصيد واللهو وحوريات الماء .

٨- علاقات أنطاكية مع تدمر :

كان للإنطاكيين علاقات تجارية وطيدة مع تدمر ويشير نقش تاريخه عام ١٦١م إلى ذلك .

وقعت أنطاكية مع باقي سورية عام ٢٦١م تحت سيطرة تدمر عمليا، واسميا تحت حكم غالينوس الروماني (٢٥٣-٢٦٨) ثم بعد ذلك استقلت زينب بما هو تحت سيطرة تدمر، وضربت عملة في أنطاكية خاصة بها استفادت زينب من وجود شخصيات قوية فيها كالأسقف بولس السميساطي وتابعيته في أنطاكية بحيث حصل على وظيفة مندوب مفوض أو نائب عام عنها .

بعد الحدود (بعد باب الهوا نحو سهل العمق) التقت جيوش تدمر بقيادة زبدا والرومان بقيادة الإمبراطور أورليان عام ٢٧٢م وكان النصر للرومان ويذهب زبدا إلى أنطاكية ويعرض شخصاً شبيهاً بأورليان مدعياً أنه أسره، ثم هرب نحو دافني ومنها إلى جسر الشغور ثم أفاميا فتدمر. حين دخلها أورليان وجد الكثير قد غادروها خوفاً من الانتقام لأنهم أيدوا زنوبيا .



نحوت تدمرية في متحف أنطاكية-القرن٣م

٩- **الثقافة والفن :** كانت الثقافة واللغة اليونانية هي السائدة، لكن السريانية مستخدمة في الحياة اليومية والريف، ظهر فيها نحاتون ورسامون وشعراء ومؤرخون وكتاب برعوا في الكتابة والخطابة كالمعلم ليبانيوس ومؤرخون كـ أميانوس ماركلينوس والواعظ الأديب يوحنا الذهبي الفم وكان فيها دار كتب عامة يعين أمين الدار من الأدباء والمفكرين منهم (يوفوريون) شاعر واسع العلم، وآخر كتب في قواعد اللغة والتاريخ ونظم قصيدة فلكية .

وفلاسفة (من أتباع المدرسة الرواقية) أحد الأمراء الهنود طلب من الملك انطيوخ بيعه تيناً مجففاً وخمراً جديداً وفيلسوفاً فأجابه : إنه من عادة الإغريق أن لا يبيعوا الفلاسفة، وكانت عادة التكريم عندهم سائدة إذ هناك نقش أثري يذكر (مارك أيتلي مكسيم) كمعلم فلسفة مأجور يكرم كمواطن من مواطني المدينة .



تمثال خطيب-متحف أنطاكية



لوحة اللاعبان-متحف أنطاكيةالقرن٤م

كذلك كان الأهالي يدعمون الثقافة إذ هناك معبد لربات الفنون ودار للكتب شيدا بأموال أوصى بها تاجر من إنطاكية اسمه (مارون) وغيره كثيرون .

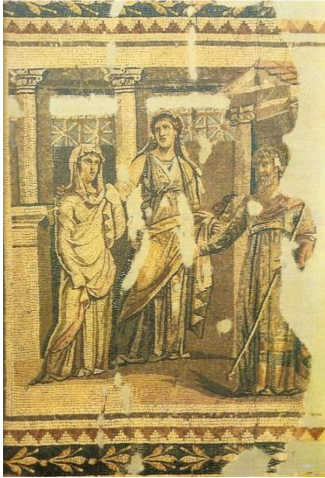
الثقافة بشقيها الوثني والمسيحي قد تشاركت إلى حد ما في أنشطتها، فالواعظ الديني المسيحي يتقبله الوثني في حواره معه، وجميعاً يتباهون بأنهم

ينتسبون إلى (مدينة حرة) ممتازة اسمها أنطاكية، وهذا دليل على الديمقراطية والحرية التي كانت أحد عوامل نهضتها.

يمكن القول إنها صانت التراث الإغريقي المسيحي حتى نقل إلى الغرب في عصر النهضة، كما أسهمت انطاكية في نقل تراث الإغريق العلمي والفلسفي إلى المسلمين .

أما أنطاكية فقد حازت على لقب مدرسة الفن الأولى في الشمال السوري بالمسرح، متأثرة بثقافة المسرح الإغريقي(تراجيديا وكوميديا) .

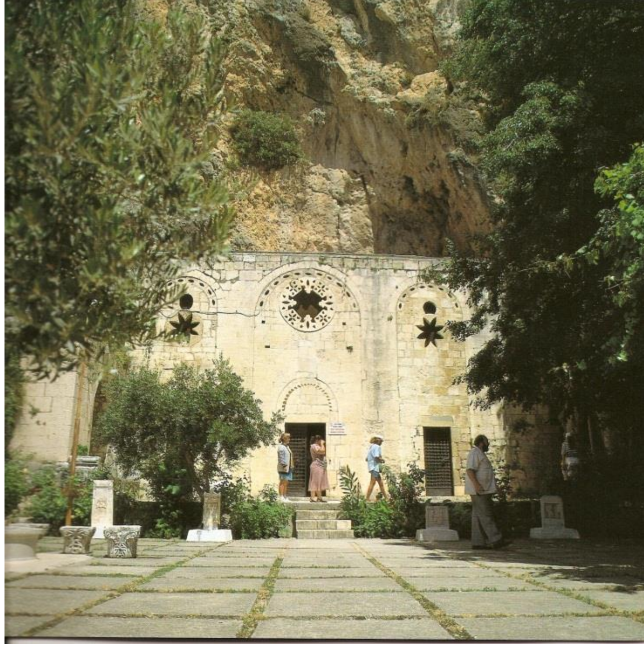
اكتشف لوحات فسيفساء عليها مشاهد مسرحية من تأليف يوروبيدوس اليوناني وغيره، كانت تمثل في مسرحها او في مسرح دافني (وهذا يحتاج إلى محاضرة أخرى) ومسرحية عن سميراميس .




لوحتا فسيفساء تمثلان مسرحيات يوروبيدوس-القرن٣م-متحف أنطاكية

وتجلّى فيها فن العمارة في سورها وأبراجها الذي كان يعد من أحد عجائب الدنيا، وعواميد شوارعها وأسواقها والمعابد وداراتها وحماماتها الكبيرة، بعضها كان بجانبها فناء للألعاب الرياضية وقد وصف الكاتب ليبانيوس الأنطاكي مدى ازدهار ضواحيها، والتنقيب الأثري أظهر وصفه عن الحمامات والكنائس خارج الأسوار .

الإمبراطور فيروس زار عام ١٦٦م اللاذقية ودافني ثم عاد إلى روما ومعه قافلة من الموسيقيين والممثلين والمهرجين السوريين وغيرهم من المسلين الذين أثروا في ذوق العصر بصورة محسوسة .



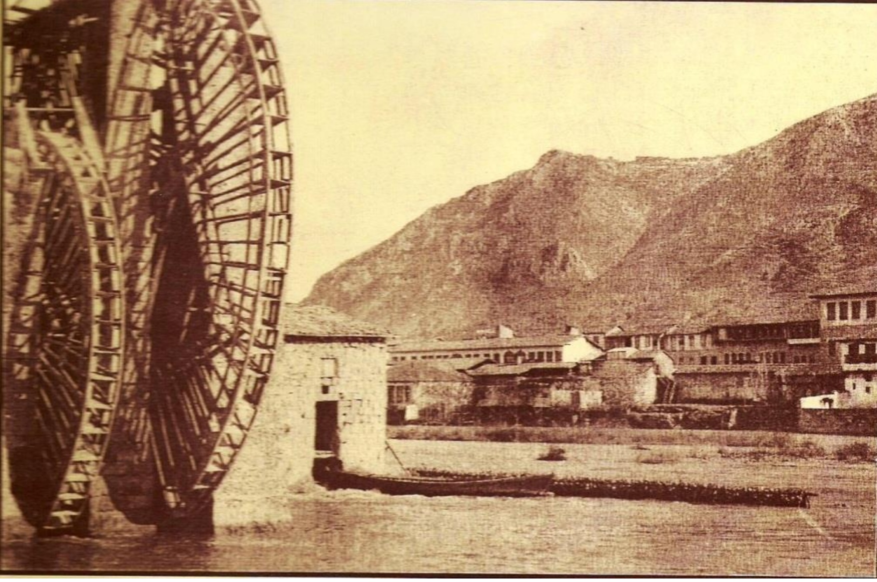
أنطاكية– كنيسة القديس بطرس-القرن٣م

بعد انتشار المسيحية أصبح يطلق على بطاركتها وإلى اليوم لقب (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق) وهذا سببه الاجتماع الأول لـ مار بطرس من الحواريين (ثم برنابا) مع أتباع المسيح بعد عام ٢٩م، والكهف الآن في سفح الجبل وفيه نشاهد النفق الذي يهرب منه المسيحيون من الاضطهاد .

أنشئت فيها مدرسة هامة للاهوت على رأسها يوحنا الذهبي الفم .

بلغ تأثيرها الحضاري على القسطنطينية وسائر المشرق .

لقد كانت روما تطلب فرقاً من أنطاكية وترعاها، لذلك قال الشاعر الروماني جوفنال (ق٢م) بلهجة غاضبة ((لقد أخذ نهر العاصي السوري منذ مدة طويلة يصب مياهه في نهر التيبر حاملاً معه رطانته وعاداته وقيثارته وأوتار عوده))



أنطاكية-نهر العاصي وناعورة وطاحونة وللخلف جبل سيلبيوس-مطلع القرن٢٠م

١٠ – التراجع والانهيار :

لعل الغزوات والنكبات والكوارث والزلازل هي التي أدت إلى تراجعها وذهاب مجدها ففي عام ٢٦٠م. غزاها سابور الأول الفارسي حين كان سكانها يشاهدون رواية مسرحية، فذبح أكثر سكانها والباقي أسرى، كذلك غزيت من قبل عام ٥٢٣م فأحرقها وأخذ منهم أسرى...

في عام ١٤٠ق.م أولى الزلازل التي نكبت فيها انطاكية وفي عام ١٣٠ق.م زلزال آخر وفي عام٣٧م زلزال تلته مجاعات في (عامي٤٦-٤٧م)

ووباء الطاعون في عام ٥٤٢ كذلك مجاعات في عهد يوليانس (٣٦١-٣٦٣م) وكذلك الفتن التي قام بها اليهود، وتنافس القادة والأباطرة زعزع الاستقرار والاهتمام فيها، كل هذا وغيره جعلها من أن تكون عاصمة سورية إلى مدينة (يطويها) التاريخ في صفحات المدن العظمى .

وقد أجمع المؤرخون على أنها من أعظم مدن العالم الإغريقي – الروماني وقد كانت إحدى أجمل المدن السورية تليها تدمر ثم أفاميا .

١١- الخاتمة :

نختم بحثنا بالرواية الطريفة التالية إنه عندما تم فتح أنطاكية بقيادة أبو عبيدة بن الجراح استطاب المسلمون المقام قائلين (نظرنا إلى بلد رطب طيب الهواء كثير الماء والخيرات) لكن ابن الجراح لم يسمح لهم البقاء غير ثلاثة أيام وبعد الضغط عليه راسل الخليفة عمر (رض) ومن قوله له (وإنّي لم أقم بها لطيب هوائها وإنّي خشيت على المسلمين أن يغلب حب الدنيا عليهم .. وأعلم أن العرب قد نظرت إلى بنات الروم فدعتهم أنفسهم إلى التزوج منهم فمنعتهم من ذلك وإني اخش عليهم الفتنة إلا من عصمه الله ..) أما عمر فقد كان جوابه فيه لوم لأنه (لم يدع المسلمين يستريحون ويرغدون في مطعمهم وألا يمنع العرب إذا أبصرت نساء الروم ورغبت التزوج منهنّ، فليكن لهم ذلك، في حال لا يكون عندهم زوجة في الحجاز) .

المراجع

18- Jalabert et Moterde : Inscritions Grec et Latins de La Syrie 5 vol Paris 1929-1950

١٩- ٣- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ جزء بيروت ١٩٨٢ م .

٢٠- ٤- أسد الأشقر : الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ٢ جزء .بيرون ١٩٨٠م

٢١- ٥

٢٢- الحلو - عبد الله : تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب. بيروت ١٩٩٩ م.

- الخازن – نسيب وهيبة: من الساميين إلى العرب. بيروت١٩٨٠م
- داود – أحمد يوسف: تاريخ سوريا القديم . دمشق١٩٧٧ ط٢
- - جان بابليون : امبراطوريات سوريات .دمشق ١٩٨٧ م
- ٨- دائرة المعارف الاسلامية القاهرة ١٩٣٣ م .
- ٩- نخلة ورد : أنطاكية عبر العصور .
- ١٠مجلة أنطاكية ١٩٢٨-١٩٣٠م .أنطاكية
- -جلانفيل داوني:انطاكية القديمة-القاهرة١٩٦٧
- ٤-هورست كلينغيل:اثار سورية القديمة.دمشق ١٩٨٥
- ٥-ليونارد وولي : الالاخ (مترجم) دمشق ١٩٩٣
- - أحمد وصفي زكريا : جولة أثرية في بعض البلاد الشامية .دمشق ١٩٨٤ م.
- ٤- ابن حوقل : من كتاب صورة الأرض بيروت ١٩٩٢ م.
- ٥- أندرية ميكل :جغرافية دار الإسلام البشرية- عدة أجزاء دمشق ١٩٦٠-١٩٩٢م.
- ٦- ياقوت الحموي : معجم البلدان .

أنطاكية في العصر المملوكي
وثيقة وقف ٧٦٠هـ /١٣٥٩م

أولاً- مدخل: إن وثائق تاريخ أنطاكية في العصر المملوكي قليلة ، لذلك نعتبر وثيقة الوقف التي نقدمها هامة ، لأنها توضح الكثير من واقع أنطاكية العمراني حينذاك، وهي من زمن السلطان حسن بن محمد بن قلاوون المولود سنة ٧٢٥ هـ/١٣٣٤م وتوفي سنة ٦٧٢ هـ/١٣٦١م .

لقد أوقف النصف من أنطاكية على مدرسته بالرميلة –جامع السلطان حسن في القاهرة سنة٧٦٠هـ /١٣٥٩-١٣٦٠م .

وقد نشرت الوثيقة في كتاب ((وقف السلطان حسن)) المطبوع في برلين عام ٢٠٠١م .

ثانياً- مقدمة الوثيقة : بعد قراءة وثيقة الوقف والتدقيق والمقارنة مع الوثائق التاريخية السابقة واللاحقة نصل إلى ما يلي :

أشارت وثيقة الوقف إلى ((النصف من أنطاكية أي (١٢) سهماً من أصل (٢٤) سهماً شايعاً من جميع المدينة المعروفة بأنطاكية ، والأراضي بداخلها وخارجها .. وأن فيها أبنية رومانية كلها خراب وكنائس وغيرها.

فمنها كنيسة تعرف بالفنان وكنيسة تعرف بالسيدة ودار تعرف بالزير بعمارة حسنة ، بجانبها القبلي الغربي عمارة إسلامية استجدها المسلمون داخلة في هذا الوقف وأبنيتها للمُلاك وبها جامع ومقام يعرف بالسيد حبيب النجار وبه مسجد تقام فيه الجمعة وثلاثة وعشرون مسجداً ...))

*   *

سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج
والمتمردين مبيد الطغاة والمارقين قامع الكفرة المردة
والملحدين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من
الظالمين سيد الملوك والسلاطين وارث الملك سلطان
العرب والعجم والديلم ظل الله الوارف ورحمته السابغة
للبادي والعاكف وناصر دينه الذي وطئ الارض بسطوته
فلا مخالف الى المحاسن حسن الواقف المسمى في كتاب
الوقف المسطر باطنه خلد الله ملكه وسلطانه وافاض
على الرعايا كافة عدله واحسانه وفتح على يديه مستغلق
البلاد واذل بهيبته حزب البغي والعناد ابن مولانا المقام
الاعظم السيفي العالي المولوي السلطاني السعيدي السيدي

وثيقة وقف السلطان حسن ٧٦٠هـ/١٣٥٩م

نحلل ما سبق:

ثالثاً_ الأبنية الرومانية : وهي في حالة خراب عام ١٣٦٠م أي بعد مائة عام بعد خروج الصليبيين (الإفرنج) عام ١٢٦٦م .

ولكن الوثيقة تذكر أيضاً أربعة أبواب :

١- **باب القصر** : كما أسمته ((وقبليه وادٍ عليه جسر ومن الشرق خندق وجبل ومن الشمال خندق وسور)) وأرجح هو الذي يؤدي إلى القصر في الجزيرة ولم يذكره الرحالة بهذا الاسم وتعتبر هذه الوثيقة أقدم اسم له وقد يكون هو المسمى بـ باب الدوق ثم باب الكلبPorte de chien ؟ وسماه الغزى ١٩٢٢م باب دوكه .وهو الذي سماه كاموس camus ١٨٨٨م باسم البوابة المركزية؟

٢- **باب بولص :** ذكرته في الشمال يتصل به الطريق الأعظم ((أي الرئيس الكبير)) ويتصل به أرض أسمها ((بيت المال المعمور)) ذكره الجميع بهذا الاسم ، ولكن هنا أقدم وثيقة تذكره ، وسمي مؤخراً باسم باب الشرق .أما الطريق فهو المرصوف بالحجارة إلى بيرويا /حلب ورسمه الرحالة بار تليت – Bartletteعام ١٨٣٦م .



أنطاكية- باب بولص-رسم كاساس١٧٨٧م

٣- **باب الجنان :** ذكرته ((بالغرب يتصل به طريق وبستان يعرف بالأبيض وطاحونة ابن الصابوني ثم نهر العاصي)) أقدم وثيقة تذكره في كتاب ابن شداد (الأعلاق الخطيرة) والباب موجود سنة

٣٥٦هـ /٩٧٧م بهذا الاسم حين غزا الإمبراطور نقفور فوكاس أنطاكية كما ذكره الرحالة نيبور عام ١٧٦٦م باسم باب الجنين ، وهو الذي يؤدي إلى دافني ، والذي عرف فيما بعد باسم سان جورج الخضر.

٤- **باب البحر** : هو في الغرب . ذكره غروسيه في كتابه عن الحروب الصليبية ، ولم يذكره الرحالة بهذا الاسم .



أنطاكية : بوابة البحر- رسم كاساس ١٧٨٧

ثم تذكر الوثيقة أن هناك أبواب أخرى لم تذكرها ،ولكنها ذكرت ((باب الباشورة في الجنوب)) ولعله هو الذي كان يسمى فيما بعد باب شروبين وباب الزيتون ؟ ثم ذكرت ((باب الجسر)) بهذا الاسم ((وأنه يتجه نحو العاصي)) وهو نفسه الذي سمي فيما بعد بباب العاصي في مطلع القرن العشرين كما ذكرت ((باب المسلخ-أي ذبح الحيوانات-والسجن)) أي الذي يؤدي إلى مكانهما ، وذكرت ((باب الأقمين وفيه طريق سالك شمالاً)) ، ثم ذكرت((باب الأربعين يتصل به سوق العطارين)) قبل هذه الوثيقة ذكر الرحالة ابن بطلان سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م أن لأنطاكية خمسة أبواب وهي أقدم وثيقة تذكرها .

الأبراج : ذكرت الوثيقة ((برج الحبس)) كما ذكرت باب ((المسلخ والسجن)) والحبس والسجن معناهما واحد تقريباً ، فهل هذا البرج لحراسة السجن ؟!

كما ذكرت الوثيقة ((برج كومنين خارج باب بولص)) فهي أقدم وثيقة تذكره ،



أنطاكية: بقايا سور
باب الحديد رسم بارتليت ١٨٣٦م



أنطاكية: رسم للأبراج على
منحدر جبل سيلبيوس (حبيب النجار)

وقد يكون بني وسمي باسم الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين بن حنا (١١٤٣-١١٨٠م) والذي تزوج أميرة لاتينية (ماريا الأنطاكية) .

وذكرت ((صليبة المستطرق)) أي بوابة ذات ممرات ومنها ((إلى السوق و البحر)) وهي رومانية تجاور القصر تقع في الجزيرة .

رابعاً-الكنائس : ذكرت الوثيقة كنائس منها كنيسة تعرف ((بالفنان))وكنيسة تعرف بـ((السيدة)) صحيح هذه الوثيقة تعطينا أقدم اسم



أنطاكية :رسم داخل الكنيسة-زمن الحروب الصليبية

للكنائس ،وأرجح أنّ ((كنيسة الفنان)) هي التي ذكرها الرحالة ابن فضلان ٤٤٠هـ /١٠٤٨م بأن ((في أنطاكية خمسة أبواب وفي وسطها بيعة كنيسة القسيان)) ثم قال هناك ((كنائس لاتعد معمولة بالذهب والفضة والزجاج الملون والبلاط المجزع)) أي من الفسيفساء ،هذا الوصف نفسه كتبه لنا المؤرخ ابن شداد (توفي ١٢٨٥م) وذكر أن المسلمين صلوا فيها الجمعة حين فتح أنطاكية سنة ٤٧٧هـ /١٠٨٤م من قبل السلاجقة ، وسماها كنيسة القسيان (أي القسس رجال الدين المسيحي) وباسم ((فطرس رئيس الحواريين)) وأنها ((من عجائب الدنيا..)) وهي التي ذكرها الرحالة نيبور ١٧٦٦م باسم ((الكنيسة الكبرى التي قدسها الرسول بولص)) وذكرها كاموس في مخططه عن أنطاكية باسم الكنيسة المضلعة (المثمنة) مع شكه بالاسم ؟ وهي مطلة على العاصي شرق القصر الملكي ، ولكن من خلال هذه الوثيقة ، ونصوص تاريخية أخرى أرجح هي كنيسة القسيان ثم الفنان والتي تعني أنها ذات بناء من عجائب الدنيا كما ذكر القاضي ابن شداد .أما ((كنيسة السيدة)) فهي على اسم مريم أم المسيح ، والتي لم يذكرها احد فيما بعد كما أعرف ؟

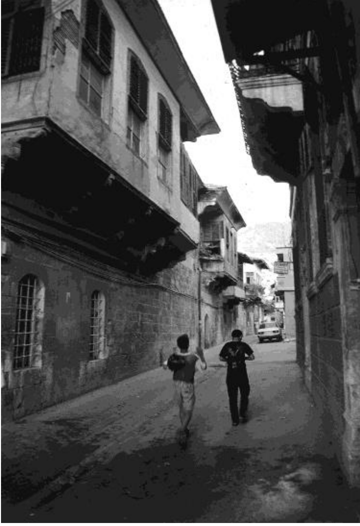
خامساً- الأبنية الإسلامية : تذكر الوثيقة ((حد العمارة الإسلامية داخل المدينة هي في الجانب القبلي الغربي ومعظمها داخل في الوقف وابنيه من الجنوب خراب ينتهي إلى بركه الزاوية حتى الشرق لسطح الجبل وفي الشمال ارض اسمها الميدان وللغرب أسواق البلد والتي بناها المسلمون)) .



صورة جوية لأنطاكية عام ١٩٣٠م



أنطاكية: من غرب العاصي١٩٣٥م

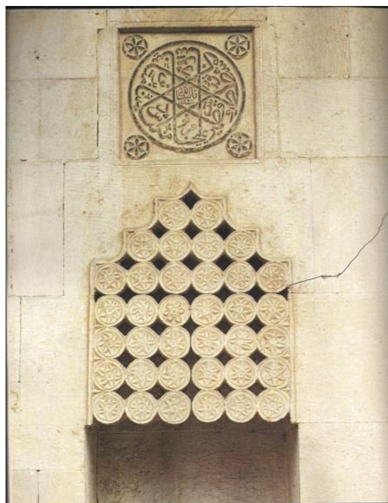


أنطاكية: زقاق قديم

ثم ذكرت((أنه يتصل بالغربي تمامه يتصل نهر العاصي)) أي أن الحي الإسلامي يقع في الجنوب الغربي يجاور الآثار القديمة إلى أن ينتهي عند نهر العاصي قريباً من الجزيرة والتي ذكرت في الوثيقة تحت اسم ((الزير وفيها دار عمارتها حسنه)) أي موجودة وكبيرة ، فالزير اختصار لكلمة الجزيرة وتعني الجزيرة الصغيرة ، أما الدار فهو القصر العتيق ، لابد وأن يكون أحد القصور الرومانية؟ .

أ-الأسواق: ذكرت الوثيقة الكثير من الأسواق في الحي الإسلامي والتي وصلت إلى السور الشمالي ولكنهاتقع في الغرب وقد بناها المسلمون وهي :

١- سوق التجار (٢٧) دكان .
٢- سوق الصاغة (٨) دكاكين .
٣- سوق الحدادين .
٤- سوق الأساكفة (الأحذية) (١٨) دكان .
٥- سوق القطانين (بيع القطن) (٣) دكاكين .
٦- سوق النجارين (١٣) دكان وله أبواب .
٧- سوق القصابين .
٨- -سوق السمانة (سمان –بقال) .
٩- سوق الطباخين((وفيه وقف (٥) دكاكين لحبيب النجار)) .





أنطاكية: نقوش إسلامية داخل البيوت



أنطاكية: الأسواق ١٩٣٠م

١٠- سوق الحاج خالد والذي يعرف بالرواس له باب .وفيه دكاكين وقف لمقام حبيب نجار .

١١- سوق العطارين .

١٢- سوق الحصريين (بيع حصيره تصنع من القش) فيه (١٢) دكان و٤ منها وقف لمقام حبيب النجار .

١٣- سوق الشعارين (تصنيع شعر الماعز وغيره)

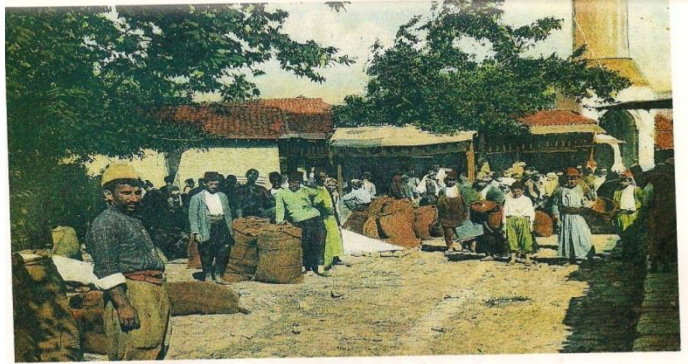
١٤- سوق المرحلين (المسافرين) وفيه مقام ساطلمش .

١٥- سوق الحدادين (فيه مسجد لله تعالى) .

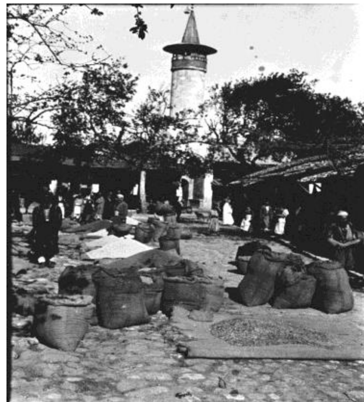
١٦- سوق اللبن .

وهناك (٢) دكان للقبان (أي وزن البضائع) .

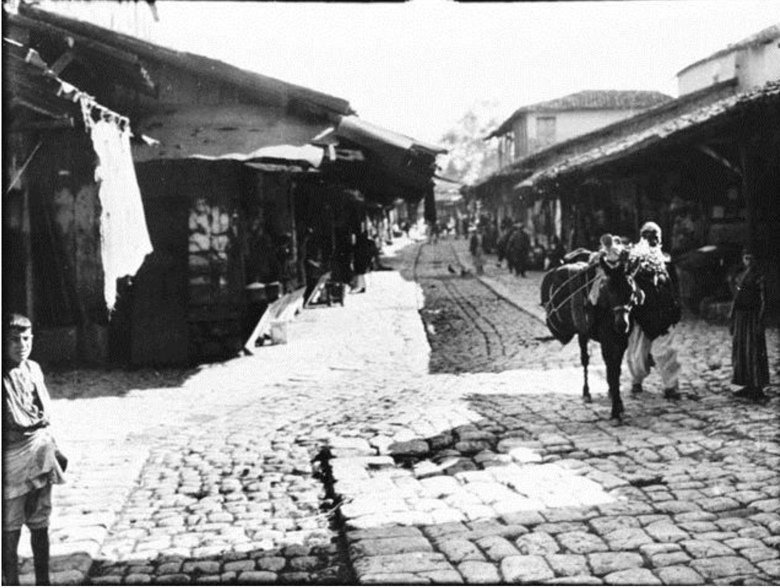
بعض هذه الدكاكين وقف لجامع حبيب النجار ، وبعضها الآخر ذكر بيد صارم الدين نايب العرب ولها أبواب .



أنطاكية: داخل سوق قديم١٩٤٠م



أنطاكية: داخل سوق مبلط ١٩٣



أنطاكية: داخل سوق قديم مبلط

ب- المساجد والجوامع :أهم جامع هو حبيب النجار الذي يذكر كثيراً كنقطة تحديد ((بها جامع ومقام يعرف بالسيد حبيب النجار والمسجد الملاصق له)) وبه ((مسجد تقام فيه الجمعة وثلاثة وعشرون مسجداً)) .

أما الجوامع فقد ذكرت الجامع الكبير ثم المساجد وهي:

١- المسجد بإنشاء شجاع الدين .
٢- المسجد بإنشاء القاضي جمال الدين الوردي .
٣- المسجد بإنشاء الحاج باكي .
٤- المسجد المعروف بالسراج .
٥- المسجد المعروف بإنشاء الحاج حسن .
٦- المسجد المعروف بإنشاء مروان الكردي .
٧- المسجد المعروف بإنشاء أحمد الحلبي .
٨- المسجد المعروف بإنشاء الحاج أحمد بن حسن .
٩- المسجد المعروف بإنشاء الحاج علي الدكشوري .
١٠-المسجد المعروف بإنشاء أحمد البتواني .
١١-المسجد المعروف بإنشاء محمود الجشاري .

١٢- المسجد المعروف بإنشاء فارس والشيخ خليل ثم باسم الحاج خليل .
١٣- المسجد المعروف بإنشاء علي البنا . .
١٤- المسجد المعروف بإنشاء أبي بكر الفوال .
١٥- المسجد المعروف بإنشاء سلامه .
١٦- المسجد المعروف بإنشاء الحاج عبد الله القلانسي.
١٧- المسجد المعروف بإنشاء عبد الرحمن المغربي .
١٨- المسجد المعروف بإنشاء الشيخ علي الرمنتي (في السالنامة العثمانية ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م محلة الشيخ علي بأنطاكية) .
١٩- المسجد المعروف بإنشاء يوسف البراني .
٢٠- المسجد المعروف بإنشاء الشيخ خميس .
٢١- المسجد المعروف بإنشاء أخي علي .
٢٢- المسجد المعروف بــ الفقيه نصرات وله دكاكين .
٢٣- مسجد يوسف القرمي .
٢٤- مسجد البيسري (تقي الدين بن كاتب البيسري)
٢٥- مسجد دار البر تر .
٢٦- مسجد ساطلمش أو ابن ساطلمش .
٢٧- مسجد محمود الجابي وله اسم آخر مسجد الشيخ محمود (في السالنامة العثمانية ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م محلة صاري محمود بأنطاكية) .
٢٨- مسجد الشيخ موسى .
٢٩- مسجد الفقيه حسين .
٣٠- مسجد الفقيه سعيد .
٣١- مسجد الحاج خميس .
٣٢- مسجد علي الحلبي (قد يكون هو نفسه المرقم بــ ٧) .
٣٣- مسجد الفقيه صالح .
٣٤- مسجد المراواتية .

وقد ذكرت الوثيقة مساجد أخرى باسم ((مسجد لله تعالى)) دون نسبتها لأحد .



أنطاكية: سوق قرب الجامع الكبير



أنطاكية: مئذنة جامع حبيب النجار

ج- الزوايا : فقد ذكرت واحدة بإنشاء أخي أحمد وأخرى باسم العدوية وثالثة باسم محمد الفوعي (وهو من الفوعة القرية التي ولد فيها داوود الأنطاكي تقع في سوريا الشمالية شرق جنوب أنطاكية بـ ١١٥ كم) وهي تقع في سوق الطباخين، ولها دكاكين وقف .

وبالرجوع إلى سجلات الأوقاف الحالية وجدنا باق من مساجد العصر المملوكي :

١- الجامع الكبير .
٢- حبيب النجار .
٣- شيخ خليل .
٤- أسير حاج علي ؟(قد يكون هو المسمى في الوثيقة مسجد علي الحلبي).



أنطاكية: جامع حبيب النجار صورة داخلية-العهد المملوكي

د- الخانات : ذكرت أولاً أنه يوجد خمس خانات ،ثم ذكرت:

١- خان يقع شمالاً هو وقف على الجامع .
٢- خان يعرف بالكيشي بيد أولاد كاتب البيسري .
٣- خان ابن صالح .
٤- خان محمود .
٥- خان فخر الدين عثمان .
٦- خان شجاع الدين .
٧- خان قرا سنقر القاضي .

وحالياً لايوجد ذكر لأسماء هذه الخانات .

ه- الحمامات :ذكرت ((وجود ثلاث حمامات جاهزة وأخرى خراب)) ،ثم ذكرت ((حمام خرب شرقي سور البلد ،والحمام الخراب خارج السور قرب طاحونة ابن الصابوني ، وناعورة من حقوق الحمام)) ، كذلك ذكرت ((حمام السّقا يحده وقف لحبيب النجار وأنه حمام قديم ، وأيضا الحمام المعروف بدار البرتر وحمام البيسري)) ما زال الحمام السقّا موجوداً وللبرتر والبيسري مسجدان باسمهما أيضاً .



أنطاكية: نهر العاصي ونواعير وجبل سيلبيوس١٩١٠م

و-الطواحين :ذكرت ١- طاحونة ابن الصابوني يحدها العاصي من الشمال والغرب والجنوب .

٢- طاحونة ناصر الدين بن الشجاع ويحدها العاصي من الجنوب والشمال والغرب



أنطاكية: نهر العاصي وناعورة وطاحونة-مطلع القرن ٢٠م

سادساً- الأوقاف : هناك أوقاف أخرى مذكورة لأشخاص من أنطاكية كوقف الحاج خالد وجمعة بن حسين ووقف الحاج حسن وهناك كان وقف مسجد دار البرتر ووقف حسن بن جمعة ووقف خاص بمسجد الفقيه سعيد ثم ذكرت وقف أحمد بن ساطلمش (هو من السلاجقة) ووقف في سوق السمانين لصالح جامع حبيب النجار ،ثم وقف على جامع القصير كذلك يوجد دكاكين وقف في سوق الأساكفة لصالح الجامع وكذلك وقف دكاكين في سوق العطارين ودكاكين وقف لزاوية محمد الفوعي وفي سوق الحدادين دكاكين وقف لمسجد الشيخ خليل ، وفي سوق النجارين وقف لمسجد شجاع الدين ولغيره ودكاكين وقف لمسجد الفقيه حسين وكذلك مسجد الفقيه سعيد ومسجد الحاج باكي ودكاكين أوقفها بلبان الناجي ووقف لمسجد الشيخ محمود ولمسجد شجاع الدين ومسجد الحاج خميس ، ودكاكين لصالح مسجد الحاج خميس ووقف لمسجد علي الحلبي وهناك وقف الحاج حيدر ووقف شجاع الدين ووقف أحمد الفقيه ووقف ابن ممرجي ووقف اليونسيه . وهناك حاكورة (أرض غير معمرة) ووقف الفقيه النصرات ووقف على تربة ناصر الدين ،وهناك معصرة وقف لحبيب النجار في سوق الطباخين .

سابعاً-السكان : بما أن الوثيقة وقف إسلامي فهي لم تذكر بقية السكان ، ولكن ورد اسم شخص يدعى (موسى بن هابيل) يملك ابنيه حانوت (دكان) ومن اسمه نرجح انه يهودي .

كما أن القضاة يمارسون التجارة كـ القاضي فخر الدين عثمان وشركته ، إذ يملك سبع دكاكين ،وخان باسمه . كما ورد ذكر أسماء سلاجقة لهم أملاك في أنطاكية كـ قرا سنقر وعمر بن سنقر ، وهناك بساتين للأمراء كـ الأمير صارم الدين ، كما ذكرت وجهاء كبار فيها كـ حبيب التركماني والشيخ حيدر ، ومحمد بن نصرات ، وابن حبيب والبيسري والبرتر .

*　　　　　　　　　*

ثامناً-المواقع الأخرى-الطرق : ذكرت طريق إلى القصيرمن الغرب، وآخر في الشمال وفي الغرب يليه الأبواب .

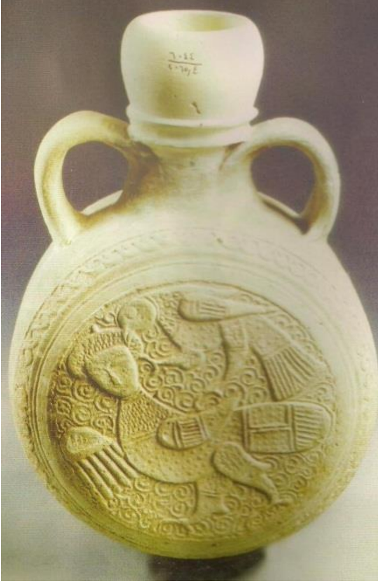
كذلك ذكرت الوثيقة ((**نهر العسَّالات**)) وبستان البترك.

ثم ذكرت **ساحات** كـ ساحة اللبن خاصة ببيع اللبن ضمن السوق ، وساحة الميدان وفيها مسجد لله تعالى ، وقد ذكرت السالنامة العثمانية لسنة ١٣٢١هـ /١٩٠٣م الميدان محلة بأنطاكية، وهذا الاسم مازال موجوداً .

لقد ذكرت وثيقة الوقف **قرى مجاورة** كـ الاصطابيه و بطرية والستون .



أنطاكية: في الخلف نهر العسالات



مطرة أنطاكية في
العهد المملوكي- متحف دمشق



الجسر الرئيسي من الغرب-عام١٩٣٠م

تابوت أنطاكية الرخامي

أولاً : تمهيد :

شهد النصف الأول من القرن العشرين قفزة في المكتشفات الأثرية، وكان للشمال السوري الحظ الأوفر، وتنادى الآثاريون لجمع اللقى والنصب الأثرية في المتاحف وتم إنشاء متحف انطاكيه ، ليجمع ما قد تم اكتشافه ،ومنها تابوت انطاكية المميز بنحوته النافرة وتعابيره المميزة في رسم الأشخاص وصور الثور في الجوانب ، حينذاك سلطت الأضواء على التوابيت الحجرية وأهمية رصد تاريخ المنطقة من خلالها ..

ولكن في مطلع هذا القرن تم العثور على تابوت هو الأميز والأهم بين التوابيت السابقة ، ونسي الناس التابوت الأول المميز ، ولكن هذا المكتشف في الجزء الجنوبي من انطاكية ، عند بوابة دافني ، وتقاطع الشارع المتصالب في انطاكية القديمة ،



تابوت انطاكية الرخامي

وهو شارع الأعمدة والسور المبني في عهد طبريوس ١٤-٣٧م ، واحتمالاً هنا – مكان التابوت – كان أيضاً يخص الامبراطور غورد يانوس ٢٣٨م وزوجته سالونينا (٢٥٣-٢٦٨م) وفي هذا العهد ومن خلال الاكتشاف الهام ، سنحصل على انطباع ثان بأن انطاكيه قد عاشت حياة طيبة في عهده.

هذا الناووس من الرخام أودع في متحف انطاكية كـ جناح خاص به ، وأصبح المعلم الأهم فيه بعد لوحات الفسيفساء .



تابوت انطاكية- صورة جانبية

يقاس من على الجوانب بـ ٢٤٩×٤٨×٥٨×١٢٨سم والغطاء ٢٤٧×١٢٢×١٢٠سم نحت على جدرانه الخارجية رسوم أشخاص وحيوانات ومعابد ، لتصلنا في أفضل حال، وقد تم نحتها تذكارا لـ سدامارا في هذا الناووس، ولكن ملامح النحت في الكوى هو في حقيقته من الطراز الشائع في النحت في الشمال السوري .

وميزته الأهم غطاؤه السامق وتشخيص سيدامارا عليه وهي مستلقيه على الأريكه الجنائزية مع اختفاء الحيوية عليه في تشخيص ايروس إله الجنس في أعلى حوافه ، وكأنه يقول : وإن مت لكن الحياة مستمرة من بعدي كما هي من قبلي .

وهذا النموذج عرف من ١٦٠-١٧٠م إلى ٢٦٠-٢٧٠م وهو منتج من الرخام من مقلع دوشميوم (اسكلارأفيون) وسينادا .

ثانياً – الوصف الأثري والفني :

أ -<u>الوجه الأول :</u>

يتصدره خمس شخصيات تمثل مُلاك الناووس، بينها نحت نافر لعواميد أسطوانية حلزونية الشكل على قواعد مربعة يعلوها تيجان غنية بالزخرف النباتي والبيض و والصدف البحرية ، وكما هو شائع في الكوى السورية وتحت التيجان سنجد استمرار الزخرف على العمود ، وهذا نادر الوجود .



تابوت انطاكية الرخامي - الوجه الأول

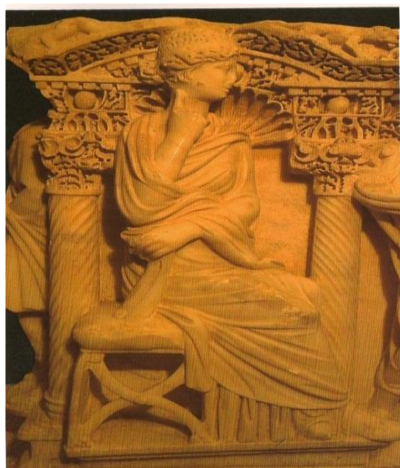
لكن الأهم أن هذه العواميد تستند عليها ساكف جملوني بأفاريز نافرة، في وسطها كوة محززة نشاهد مثلها في الكثير من المواقع الأثرية، تمثل بيوت هؤلاء الملاك ، وهي دلالة على مكانتهم الاجتماعية المميزة ، أو تمثل واجهات معابد يونانية ، مفصوله بجزئين من العواميد الحلزونية وفي الأعلى على السطح إفريز بسيط ، تتخلله نقوش داخل مثلث لكن الأميز في الأعلى نحت نافر يرسم مشهد لايروس (إله الحب) يداعب نمراً ،ولعل رسم هذه المعابد يشبه هنا رسم معبد عتيل في شهبا جنوب سورية .

١- **الشخص الأول :** من اليمين رجل وقور جالس على كرسي يرتدي عباءة تغطي كل جسمه، وحذاء (صندل) ملتح بشعر مجعد يخاطب الحاضرين أمامه ، ويده اليمنى تشير إلى المخاَطب وبرأي هو يمثل الأب الأعلى (الجد) يوافق على زواج ابنته الجالسه إلى اليسار، الكرسي مغطى بجلد أسد .

٢- **الشخص الثاني** : من اليمين يمثل فتاة ترتدي عباءة طويلة تغطى كامل جسمها ، ذات تسريحة ، ويدها اليمنى معكوفة مضمومة فوق صدرها ،

وجهها نحو الأول الجالس على كرسي ، ويدها اليسرى مكسورة، أما قدماها فداخل حذاء .

٣- **الشخص الثالث** : من اليمين يمثل شاباً عاري الجسد وساعده الأيمن مكسورة(مفقودة) ومع ذلك يرتدي عباءة مسدولة على كتفه ويده اليسرى، ويحمل سيفاً مربوطاً بحزام فوق صدره ، عُريهُ دلالة على الفتوة ، وسيفه على القوة وأنه محارب، كما أنه لا يرتدي صندلاً ، وجهه نحو الأيمن إلى المرأة الجالسة والرجل .. محتمل كان يحمل بوقاً في يده اليمنى المفقودة ؟!

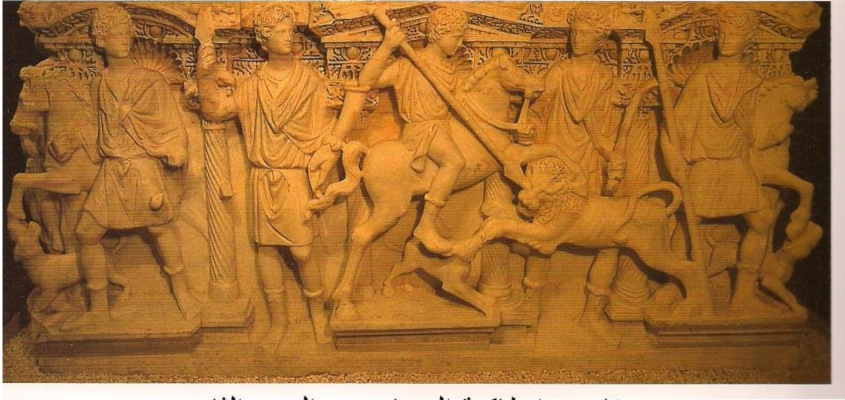

تفصيل من الوجه الأول

٤- **الشخص الرابع** : رجل يرتدي عباءة فضفاضة يده اليمنى تحتها، وفي قدميه صندل ، وجهه إلى اليمين نحو المرأة ، شعره مجعد وذو لحية ، ذراعه اليمنى مرفوعة اليد ومغطاة باللباس وكأنها مكسورة ، وأما الأخرى المخفية فربما تمسك لفيفة ورقية .

٥- **الشخص الخامس** : على اليسار يمثل امرأة ، جالسة على كرسي ترفع ابهامها علامة الموافقة وإبداء الرأي ، ترتدي عباءة طويلة تغطي كامل جسمها ، ويدها اليسرى تمسك بمسند الكرسي ، وجهها نحو الآخرين .. شعرها مرتب في شكل عصابة معصوبة بريبانه .. وهي من المحتمل ترتدي حذاءً .

<u>ب -الوجه الثاني الخلفي :</u> فيه نحت نافر أيضاً لخمسة أشخاص ، بعضها نصف محنية وكأنها على عربات ومن اليمين .

١- **الشخص الأول** : شاب برداء قصير في قدمه حذاء صيد طويل ، يمسك بيده اليمنى رمح ، وفي اليسرى الحصان (خلفه) ، وتحت قدم الحصان كلب صيد ، وبعدهم سنجد ايروس وهو يلعب مع الوزة على اليسار ، وعلى الزاوية اليمنى نحت نافر لأسد .



تابوت انطاكية الرخامي - الوجه الثاني

٢- **الشخص الثاني** : شاب رداؤه كالسابق ، له مشبك دائري ، يمسك بيده اليمنى لجام حصان جاره ، وباليسرى عود (عضادة) للصيد وأمامه الأسد ينقض على جاره ، وأيضاً هو ينتعل حذاء طويلاً من الجلد ، وهناك فوق رأسه نحت لميدوزا (١) .

٣- **الشخص الثالث** : شاب وهو في حالة صيد يمتطي حصاناً ساقه اليمنى فوق رأس أسد ، وفي يده رمح يضرب به الأسد الذي يهاجمه ، وتحتهما ، نحت لكلب يخفي رأسه وكأنه يدافع عن صاحبه .. الشاب هنا يكشف عن ساقه اليمنى ، وتظهر ملامح حذائه الطويل من الجلد.

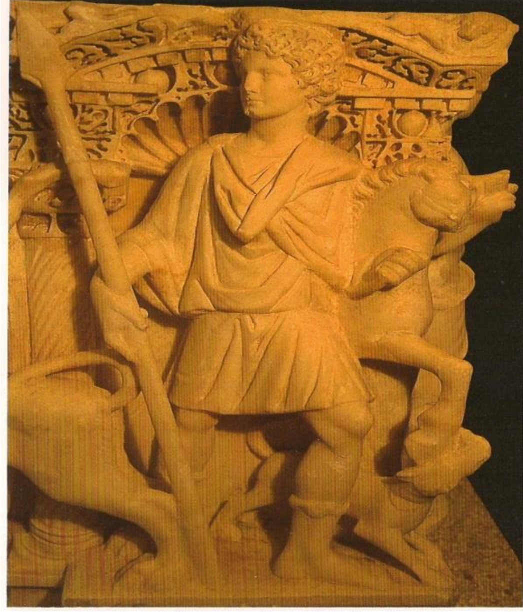
٤- **الشخص الرابع** : وجه فتاة برداء قصير تحمل شعلة رمز النصر ، تنتعل حذاءً طويلاً .

٥- **الشخص الخامس** : يمثل إمرأة برداء طويل (عباءة) بيدها اليمنى تمسك طرف الرداء ، واليسرى مكسورة ، في الزاوية اليسرى نُحت حصان ملجوم يحاول القفز ، وتحت قدمه نحت لكلب مرفوع الرأس نحوه .

في الأعلى في الوسط سنجد جناحين متشابهين لـ ايروس، ومن المحتمل هو يمسك إكليلاً، ولعل نصف الإطار وما يتبعه رسم لساطور SATYR(٢) المنحوت في الزاويتين الأخريتين من الواجهة أما الجوانب الأخرى الثلاث في



٦- تابوت انطاكية : مشهد صيد في الوجه الثاني



تفصيل من الوجه الثاني

الواجهة فهي مقعرة محملة على مستطيلات ، ومعززة بصور دولفين أو Pegasus الحصان الطائر(٣) في التجويف السفلي مزين بحيوان صغير ؟

ج -الوجه الأمامي :

يظهر شخصان قد يمثلان أصحاب التابوت أو الكهنة ،وعلى اليمين رجل ملتح يرتدي عباءة تغطي كامل جسمه معقوده على يده اليسرى كحزام يلف جسمه معها، وفي يده اليمنى طبق يقدمه إلى دعامة على شكل طاولة، مشكلة في الوسط كقرص تحته نحت نافر لحيوان لعله شكل ثور ؟ وفي الأعلى شكل



الوجه الأمامي

يمثل الناي ، ليظهر الرجل وهو يرتدي صندلاً مفتوحاً ، وعلى يساره ساق فرس مرفوعه لتدوس على حيوان صغير ، لعله كلب بدون رأس ؟! نلاحظ في يده اليمنى لفافة كرسالة تمثله ككاهن في يده تعويذة، إلى اليسار امرأة ترتدي كزوجته عباءة طويلة ضيقة تظهر تفاصيل جسمها ، وخاصة ساقها اليسرى ، رأسها موشح وفقاً للطقوس الدينية وهي ترتدي حذاءً ، يدها اليمنى ممتدة على بطنها لتشير إلى (مزهرية) في راحة يدها اليسرى، ممسكة بعلبة(مزهرية) لها غطاء تمثل الشراب ، والطبق في يد الرجل تمثل الطعام كنذر مقدم إلى الآلهة في المعبد الذي نحت بشكل واضح على هذا الوجه كخلفية جميلة في ثلاث

طبقات ، المدخل القائم على عمودين حلزونية الشكل مع عضادة ، ثم ساكف بنحت يمثل نباتات ، يعلوها أيضاً شكلاً نباتياً ، وفي الأعلى أشكال بيضوية تتوسط ، نحوت نباتية في وسطها كوى محززة كالتي نشاهدها في جبل الزاوية في سرجلا وغيرها ..وهي ترمز للإضاءة

ينتهي النحت العلوي في المؤخرة بنحوت نافرة على شكل جملوني في الوسط ، وفي اليمين شكل أسد رابض وكذلك في اليسار

الأهم أنه يوجد في الأسفل نحت لثور ذو قرون يتقدم إلى الأمام ، وهو يمثل- منتظراً- التضحية به **!!**

د-الوجه الخلفي :

يمثل ثلاثة أشخاص من اليمين :

١- **١- الشخص الأول** : شاب يلتفت نحو الفتاة المجاورة له ، شعره مجعد ويرتدي رداء يونانياً ، وينتعل حذاءً طويلاً ، يمسك بيده اليسرى رداءه في اشارة إلى أناقته الجذابة ، ولكن يده اليمنى المجدودة نحو الفتاة مكسورة **!!** يقف على قاعدة نصف دائرية .

٢- **الشخص الثاني** : شابه في صباها بين شابين تلتفت نحو الأول ، وهي طويلة ورشيقة الجسم ، مرتدية عباءة تدثرت بها في كامل جسمها ، يدها اليمنى تحت عنقها الطويل ، وإبهامها مرفوع وكأنها تشهد بشيء، أو تُعرف بنفسها ، كما أنها تسند كوعها على يدها اليسرى ، تسريحتها جميلة ، تدل على شعرها الطويل قدماها في حذاء مربوط ، وتقف على قاعدة مربعة الشكل .



الوجه الخلفي

٣- **الشخص الثالث** : يمثل شاباً يلتفت نحو الفتاة خجلاً ، شعره مصفف ويرتدي رداء يونانياً ، لكنه يكشف عن صدره وساقه اليسرى ، وكأنه يرفع رداءه بيده اليسرى ، ليسير بشكل أفضل ، وعلى كتفه الأيسر

مشبك دائري ، أما يده اليمنى فمرفوعة قليلاً ، بأصبعين للأعلى وكأنه يشهد على نفسه بشيء أو يومئ إليها .

وأما خلفية الأشخاص فهي مشابهة في نحتها للوجه الرئيس الأول .

هـ -غطاء التابوت : يمثل نحتاً جميلاً مميزاً ، قل نظيره ، بل لم نجد غطاء عليه نحوت نافرة ، بل سنامات أربع كما في سرجلا في جبل الزاوية وكفير في جبل الأعلى في محافظة ادلب ، وحتى في محيط انطاكية هو الأغنى بالتوابيت الحجرية وبزخارفها ونحوت أشخاصها النافرة، لم نجد غطاء في مثل هذه الروعة والتمثيل ... هنا نشاهد إمرأة برداء طويل فضفاض كعباءة ، لكن رأسها مغطى على شكل غطاء النساء في تدمر وبعدها تمسك نهاية عباءتها ، والذراع الأخرى مكسورة ، أما تفاصيل رأسها فمفقودة .



غطاء تابوت انطاكية الرخامي

على اليمين في الزاوية العليا رأس حصان Pnotomes ثم ايروس وهو جالس وكأنه متكئ يعزف موسيقا دينية من أجل الموتى ، وفي الوسط نشاهد ايروس اثنين لهما جناحان صغيران ، والأرجح يمسكان باكليل ، ويرمزان إلى الحب الزوجي ، وراحة الزوجين هنا !!

وإلى اليسار هناك ايروس نصفه الاسفل باق ، والأرجح أنه كان يمسك بسهم وقوس الحب، وكما هو ممثل في لوحات فسيفساء أخرى في انطاكية . وإلى جانبه نشاهد رأس حصان .



إيروس بجناحين

جميع صور ايروس إله الحب تصوره عار وله أجنحة ، إذ مهمته زرع الحب في كل القلوب ، لذلك فهو بحاجة إلى الطيران من قلب إلى قلب .

أما جوانب الغطاء ذات أثاليل (مقعرة) تحمل مستطيلات ملأى بـ دلفين أو Pegasus الحصان الطائر في التجويف السفلى .

و -الهدايا الجنائزية :توجد في التابوت نقد ذهبي يرقى لعهد الامبراطور غورديان الثاني (٢٣٨-٢٤٤م) نقرأ على الوجه الأول الكتابة :

IMP GORDIA NUS PIVS FEL AVG

رأسه مغطى بتاج النصر LAETITA V/G



نقد ذهبي لـ غورديان الثاني و لايتيتا

الوجه الثاني مزخرف بشخصية لايتيتا هي تسند ذراعها الأيسر على رأس مرساة ، وتمسك تاجاً أو إكليلاً في يدها اليمنى ، وعلى رأسها زينة وقرط في أذنها ، رداؤها الجميل الشفاف يظهر قسمات جسمها في الصدر الممتلئ ، والجذع المثالي ، والساقين الناعمتين .

النقد يظهر ضمن إطار جميل كلآلئ متصلة على الوجهين .أما النقد الذهبي الآخر فيمثل غالينوس (٢٥٣-٢٦٨م) ،



نقد ذهبي غالينوس و رمز الحرية

نقرأ على الوجه الأول الكتابة GALLIENUS AVG

يرتدي الإمبراطور تاجاً شعاعياً ، أما الوجه الآخر فيمثل تشخيصاً للحرية ، ونقش كلمة (حر) LIBERAL AVG

تمثلت في إمرأة تمسك قرن الخصب في يدها اليسرى ، وفي اليمنى رمز آخر، قد يمثل قارورة ماء أيضاً ترمز للسماء والخصب ، وننوه بأن الامبراطور هنا بلحية والسابق بلا لحية !

نقد ذهبي صك عليه سالونينا في كتابة : SAL ONINA AVG



نقد ذهبي لـ سالونينا زوجة غورديانوس و فستا

ذات تسريحة مشبكة تخفي ملامحه ، وترتدي رداء يظهر جمال عنقها ، وهي زوجة غورديانوس (٢٥٣-٢٦٨م) على الوجه الثاني ملامح شخصية فستا بموجب الكتابة VESTA وهي جالسة على كرسي ، في يدها اليمنى تمسك تاجاً ، واليسرى خلفها تمسك بعكازها، أما رداؤها فيغطي كامل جسمها كعباءة ، ذات جدائل في وسطها ، أما فستا فهي آلهة النار، والموقد عند الرومان .

كما وجد خاتم ذهبي يحمل عملاً بيناً معروفاً لـ دميتز Demetes ومرصع بأنواع مختلفة من الأحجار الكريمة ،هي إلهة القمح والحصاد والخصب عموماً عند اليونان .



خاتم دميتز



أسوارة عنبر

العقد الذهبي : هو كطوق ذهبي مشكل من حلقات بداخلها فراشات .

كذلك عثروا على الهدية الجنائزية الأخيرة و هي عبارة عن سنارة عنبر .



الطوق الذهبي على شكل حلقات

الخلاصة :هناك توابيت في الشمال السوري أو في سورية الوسطى كتوابيت تدمر والتي تمثل الأسرة التدمرية في وليمة جنائزية ، قد نحت على الوجه الأمامي رسوم نافرة للعائلة ، لكن فقط وجوهها أكثر من كامل جسمها كما هو في هذا التابوت ، صحيح هناك توابيت فيها نحت كامل للأجسام في تدمر، ولكن لم نجد فيها نحت للمعابد والصيد والتقدمات كما في هذا التابوت، وهناك التابوت التدمري للفرسان يشابه هذا التابوت في غطائه بوجود شخص جالس على أريكة (بدون رأس) تظهر ملامح لباسه وجسمه ..

أما تابوت الرستن(متحف دمشق) الذي يمثل معركة طرواده ونهر العاصي يشابهه في غناه الفني والفكري، و لنتساءل أما تابوت انطاكية فماذا يمثل ؟



واجهة تابوت الرستن - متحف دمشق

سؤال نطرحه على أنفسنا والجواب إما أنه يمثل عائلة تقدم نذورها للآلهة في الوجه الجانبي، والفروسية والصيد في الوجه الخلفي ، أما الوجه الأول فإما أنه يمثل مشهد الخطوبة والزواج، فالرجل على اليمين يشير بيده نحو المراة قائلاً : هل تقبلين زوجاً من هو واقف أمامك .. وتقول هي مشيرة بابهامها : نعم !

أما الفتاة والشاب فيرمزان إلى العائلة في النسل والأحفاد ،أو أنها تمثل ملامح فيلسوف عقلاني ،أو الإله أبولون يبارك هذه الأسرة ويقدم لها النصح والإرشاد

ولعل فن النحت السوري قد تجلى هنا في أسمى ملامحه، و في تشكل الرؤوس وتصوير الحيوانات ، وفن الكوى والزخرف في التيجان و الجمالون والسواكف التي قدمت أسمى الأعمال الفنية بيد محلية خبيرة ، ذات فكر مشبع بالروح الهلنستية التي مثلت الشرق والغرب معاً في تمازجهما الحضاري .

الهوامش

(١) ميدوزا : من الغيلان ذات الوجه الكالح والأسنان الكبيرة ، وشعرها من الأفاعي الملتفةحوله .

(٢)هو كائنات بين الآلهة والبشر والحيوانات اشبه بالجن ، لكنها آلهة الغابات والجبال .

(٣)الحصان المجنح يرمز للآلهة خاصة بوسيدون ، وهو رمز الحكمة إلى العصور الوسطى ، ثم إلى الشهادة ..

أضواء على تاريخ أفاميا، وقلعة المضيق

١ـ تمهيد:

بعد معركة ايسوس(i) عام (٣٣٣ق.م) بين جيش الاسكندر المقدوني والفرس، ينتصر الإغريق، ليتابعوا زحفهم في إخضاع المشرق القديم،وبعد انتصارهم يفكرون بإنشاء مدن زادت عن السبعين بهدف جمع المسرحين من المحاربين وتشكيل نقاط عسكرية ومراكز نشر الثقافة الهلينية، وفعلاً أصبحت اليونانية لغة الثقافة وكما نجد في معظم الكتابات الأثرية في المنطقة.



نحت يمثل الاسكندر المقدوني



رسم يمثّل معركة إسوس

بعد وفاة الاسكندر وتجزؤ امبراطوريته يبرز اسم سلوقس الأول (٣٢١ـ٢٨٠ق.م) والملقب نيكاتور (Nicator- المنتصر) الحاصل على القسم الأكبر من أراضي الامبراطورية، وليشكل المملكة السورية يروي استرابو نقلاً عن بوسيدونيوس الأفامي أن سلوقس قسم المنطقة إلى أربع مرزبانيات(ii) مماثلة للولاية الرباعية المؤلفة من: انطاكيا وسلوقيا وأفاميا واللاذقية، ويقول بوسيدونيوس أنها قسمت في أربع مرزبانيات وكانت كل واحدة من المدن الأربع

*نشرت في مجلة العاديات بحلب في العدد الخاص عن حماه.العدد١ السنة ٢٠٠٨/٥ م

عاصمة لمرزبانية، وما نفيده منه أن سورية السلوقية كانت مقسمه في أربع مرزبانيات، وهناك نقش يدل على أن أفامية كانت عاصمة لإحداها.

بعد عام (٦٤ق.م) أصبحت سورية (ولاية سورية) بعد أن كانت مملكة تابعة لروما وعاصمة الولاية (انطاكيا) مقر الثقافة، لقد أصبحت سورية في ولايتين:

- سوريا الأولى: وعاصمتها: ١- انطاكيا وتضم:

٢- سلوقيا : (السويدية)

٣- لاوديكيا: (لاذقية)

٤- جابالا: (جبلة)

٥- بالتوس: (جنوب جبلة)

٦- بيرويا (حلب)

٧- خلقيس : (قنسرين)

٨- أناسارتا: (خناصر)

٩- جبوله: (شرق قنسرين، وشرق جنوب حلب)

- سوريا الثانية: وعاصمتها: **١- أباميا (أفاميا)**، وتضم:

٢- ابيفانيا: (حماه)

٣- اريتوزا: (الرستن)

٤- لاريسا: (شيزر)

٥- ماريام: (ميريامين)

٦- بالانيا: (جنوب جبلة، بانياس؟)

٧- رافانيا: جنوب افاميا بعد سلوقيا عند نبيلوم وهي (بعرين)

٨- سلوقيا آد بيلوم (جنوب أفاميا)

.

*نشرت في مجلة العاديات بحلب في العدد الخاص عن حماه.العدد١ السنة ٢٠٠٨/٥ م

٢ـ قلعة المضيق:

تقع في السفح الجنوبي الغربي لجبل الزاوية، نحو سهل الغاب في محافظة حماه تبعد عن مركز المدينه حماه (٥٦كم) في الشمال الغربي ومن الطريق العام بين حماه وحلب بعد مدينة خان شيخون نحو الغرب (٢٤كم) و(٧كم) عن السقيلبيه.

يبدو أن التل الواقع غرب أفاميا والذي يطلق عليه اسم قلعة المضيق هو الأقدم، إذ اكتشف فيه أدوات قاطعة حجرية ترقى للألف السادس ق.م، كما وجدت آثار استيطانات في النصف الأول للألف الرابع ق.م، ثم تعاقبت الاستيطانات إلى أعوام (٢٧٠٠ـ ٢٢٠٠ق.م) المتميز بكثرة القبور ثم البرونز الوسيط (٢٢٠٠ـ ١٦٠٠ق.م). حيث اكتشف فخاريات.



قلعة المضيق من الجو عام ١٩٣٧م

بعضهم قال يعرف المكان باسم (نيا أو نعيا) ولكن لا أتفق معهم، لأن هذا الاسم واقع في جبل الوسطاني في محافظة إدلب في موقع كفر تعقاب البلدة الأثرية المسماة (نياقابا)[iii] في الألف الثاني ق.م وأقدم اسم وصلنا هو (فارناكه/فارناقه ـ Pharnace) عند فللاس.

بعد دخول الاسكندر المنطقة ترك فيها حامية مقدونية تحمل اسم (Pella- بلا) وهو اسم مدينة والده فيليب وظل هذا الاسم مذكوراً حتى عام (٢٨٥ق.م) في عبارة تتصل بحبس ديمتريوس بوليو قريطس أسير نيكاتور حتى موته في عام (٢٨٣ق.م).

برأي إن قلعة المضيق قد كانت حصناً لسرية الجنود النظاميين في العهد السلوقي والمسماة (فراوراى) يتجمع فيها المقدونيون أو قوات أخرى، أما المدينة أفاميا فيسكنها أبناء المنطقة، كانت مهمة القلعة استتباب الأمن أو الدفاع عن المنطقة ضد غزوات البدو في الشرق،أو المتمردين ضد السلطة وكما سيرد. هناك إشارة قديمة إلى حصن أفاميا/ قلعة المضيق ولعلها الأقدم في صراع

حربي عام (١٩٧ق.م) بين الرودسيين (أبناء جزيرة رودس اليونانية) والمقدونيين على أراضي ستراتونيكيه كاريا حول (Castelle= حصن) والتي تجمع السكان فيها.

لا ندري عن قلعة المضيق أو حصن أفاميا غير القليل، في العهدين الروماني والبيزنطي، في الكتابات اليونانية المكتشفة سابقاً، والداثر معظمها، ولو قمنا بعرضها لاستغرق عرضها مقالاً أخر، ولكن نوجز أفكارها التي تعطينا أمثلة عن المراكز الحضارية المبكرة للآرامية واليونانية والرومانية. وجدت كتابة يونانيه في أحد البيوت (القرن ١٩) منحوته تحت تمثال للأمير **أطور تراجان** تاريخها بين (١٠٢/١١٦م) كما وجد في القلعة شاهدة تذكر الإمبراطور أنطونيوس، وشعب المستعمرة أباميون أو مستعمرة الأباميين، وبلدة الأنطونيين، أو إشارة لاسم أفاميا (المقاطعة البارثية الثانية).

هنا إشارة أن أفاميا هي مستعمرة، وسميت بلدة الانطونيين نسسبة لهذا الامبراطور أي هي تابعة لحكمه.

وكتابة أخرى على كسيرة ((أيها المسيح خلصنا**!**)) هنا دلالة مؤكدة على استمرار الاستيطان في قلعة المضيق حتى العهد البيزنطي المسيحي ،وأن المكان في أصله حصناً ،ومقبرة فيما بعد**!**

لقد حصل تضارب أو تجانس بين القلعة ،ومدينة أفاميا إذ كان يطلق على سهل الغاب مرج أفاميا، أما الوادي الواقع بين جبل شحشبو (جنوب جبل الزاوية) [١٠]وتل القلعة فيطلق عليه (المضيق) المستمد من الأخدود شمال التل.

ولكن العرب أطلقو عليه (حصن أفامية) ثم فيما بعد (قلعة المضيق) والتي فتحها العرب عام (١٧هـ/٦٣٦-٦٣٧م) صلحاً تحت اسم افامية بعد فتحهم شيزر إذ صالحهم أبو عبيدة الجراح على الجزية والخراج وظلت تابعة لجند حمص و قد ذكر اليعقوبي في كتاب البلدان: "سكنها بعد من العرب المسلمين قوم من عذراء وبهراء".

وأشار ياقوت إلى حادثة جرت أيام العباسيين للمتولى عليها إذ انتحر في بحيرة أفامية في عام (٣٨٢م) وقعت النار فيها واحترق ما كان فيها من القوت.

جرت عدة معارك حامية بين الروم والبيزنطين والحمدانيين وفي إحداها استنجد الملايطي المقيم بأفامية،بوالي دمشق لكنهم ينكسرون. عام (٤٢٢هـ/١٠٣١م) استولى البيزنطيون على القلعة وأسروا حاميتها وسبوها.

في عام (٤٧٥هـ/١٠٨٢م) دخلت القلعة في حوزة الملك السلجوقي ملكشاه ابن الب أرسلان بعد أن استولى على حلب وكفرطاب واللاذقية وشيزر، غير أن متسلمها من قبل السلاجقة كاتب الفاطميين سراً (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) على أن يرسلوا من قبلهم من يسلم إليه أفاميا وقلعتها فبعثوا له خلف بن ملاعب الكلابي في عام (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) فتسلم أفامية وقلعتها، إلا أن هذا الأخير خلع طاعة الفاطميين بعد استقراره وأقام في القلعة يقطع الطريق ثم تم استيلاء الإسماعيلية عليها. بعد قتل خلف بن ملاعب صاحبها استولى الفرنج عليها عام (٤٩٩هـ/١١٠٦م) بقيادة تنكيز أمير أنطاكية[iv] وأصبحت إحدى أهم معاقلهم في وادي العاصي، يناوشون العرب في المنطقة وقد ذكر أسامة بن منقذ حاكم شيزر عدة حوادث جرت له حول القلعة في كتابه الاعتبار. في عام (٥١٧هـ) يسير صاحب حماه إلى افامية ويهاجم ربضها، ويصاب بسهم من القلعة في يده ليعود إلى حماه فيموت فيها.

في عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م) انتزعها نور الدين زنكي من الإفرنج إذ يذكر ابن الأثير: "سار نور الدين محمود إلى حصن أفامية وهو أيضاً للفرنج.. وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحسن القلاع وأمنها، وكان من به من

---

(١) [١٠]- ـ انظر كتابنا من إبلا إلى إدلب. ص ٩٨ وكتابنا السابق الرحالة في محافظة ادلب ٢٣٢/٢

الإفرنج يغيرون على أعمال حماة وشيزر وينهبونها. سار نور الدين إليه وحاصره وملكه وحصنه بالرجال والذخائر".

في عام (١١٥٧م) ضربتها هزة أرضية شديدة وقد يكون الفرنجة قد احتلوها لفترة؟

في عام (٥٥٢ـ٥٥٣هـ/١١٥٨م) ضرب الزلزال المنطقة الشمالية فتهدمت القلعة، لذلك بادر نور الدين إلى ترميمها وإليه تنسب معظم منشآتها، ثم بعد وفاة صلاح الدين أصبح حصن أفاميا تحت أمرة (عز الدين إبراهيم بن المقدم، ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) ثم انتقلت فيما بعد إلى يد أخيه ، ثم آلت أخيراً إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب حينذاك، بعد أن حاصر قلعتها والتي كان حاكمها قراقوش أكثر من مرتين، وفي العام التالي يسلمها إليه لقاء اقطاعات تعادلها.

يمكن القول: أن تحسينات قد جرت على دفاعاتها في عامي (١٢٠٥و١٢٢٦م) بموجب الكتابات المنقوره على لوائحها الحجرية وذلك بعد الزلزال الواقع سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) إذ هدم برجاً من بروجها وفي العام التالي زلزال آخر هدم الكثير فيها.

في عام (٦٦٦هـ/١٢٦٧ـ١٢٦٨م) حشد الملك الظاهر بيبرس جيوشه في قلعة أفاميا، متخذاً إياها قاعدة انطلاق للزحف من أجل تحرير إنطاكيا وما يجاورها من الفرنجة، وفعلاً يتم له تحرير معظم شمال سوريا منهم.

في عهد الملك قلاوون تصبح القلعة في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر صاحب دمشق.

بعد الحروب الصليبية/الإفرنجية سميت قلعة المضيق بعد أن كان اسمها حصن أفامية وثبت أن الفرنجة لم يضيفوا شيئاً في أبنيتها العربية.

ـ الوصف الأثري:

يحيط بالقلعة خندق ولها سور شاهق على شكل مضلع غير منتظم، تتخلله أبراج كثيرة مربعة الشكل، رصف تلها المنحدر بحجارة منحوتة على غرار تل قلعة حلب وحمص وحارم. من أجمل أبراجها الشمالي عليه كتابة عربية نقر عليها:

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارته مولانا الملك الظاهر غياث الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين غازي بن يوسف بن أيوب ناصر أمير المؤمنين بولاية العبد الأمين إلى رحمة الله اقطغان الظاهري بسنة اثنين وستمائة توافق العام (١٢٠٥-١٢٠٦م) .



الجدار في قلعة المضيق

وأما مدخل القلعة جنوب البرج الشمالي، مؤلف من باب كبير ذي قنطرة، على جانبيه برجان ونشاهد القناطر قرب مدخل القلعة .

وعلى الباب كتابة باسم الملك الناصر يوسف حفيد الظاهر غازي تاريخها (٦٥٤هـ/١٢٠٥م) أبراجها مربعة محصنة جيداً هي من البصمات الأولى لنور الدين زنكي، ثم رممها وحصنها غازي والأيوبيون. ويبدو أنها فقدت أهميتها بعد القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي.

٣- أفاميا:

لا شك أن سلوقس بدأ بتأسيس مدن جديدة بين عامي (٣٠٠-٢٩٩ق.م) منها أبامي على اسم زوجته الفارسية، ودعيت اختصاراً فامي وأفاميا كلودا في مستهل القرن الأول الميلادي خلال فترة حكم الامبراطور كلوديوس (٤١-٥٤م) وباسم مستعمرة الأباميين وانتونينوبوليس أي بلدة الانطونيين نسبة إلى الإمبراطور أنطو نينوس ببوس (١٣٨-١٦١م) من الأباطرة الصالحين، كما

أطلق على موقع أفاميا اسم بارثيان الثانية من قبل الإمبراطور كاراكلا (٢١١ـ٢١٧م) وقد اثبتنا هذا مما سبق ومكتشف في القلعة.

سميت عند العرب فامية وأفامية، وأورد ياقوت شعراً لعيسى بن سعدان الحلبي (٧٣٠هـ) اسمها بدون همزة:

ليست العواصم من شرقي فامية   أهدت إلى نسيم البان والغَرَب

أما أبو العلاء المعري فيذكرها بالهمزة في مدحه الشريف أبا إبراهيم الذي أنقذ أفامية من الروم بقوله:

ولولاك لم يسلم أفامية الردى **   وقد أبصرت من مثلها مصرع الرَّدي

وذكر تفسير معناها بقوله: وأما أفامِيَةُ فإنها تؤدي لفظ قولك أفاءمايةً، أي أفاءَ هذا الحِصْنُ مائة غنيمة أو مائة جيش أو نحو ذلك، أي جعلهم فيئاً. من قوله تعالى: ((وما أفاء الله على رسوله منهم))[v].

وهذا تفسير لفظي وقع فيه المعري وغيره إلى اليوم، إذ علينا العودة إلى أصل الاسم قبل تبدله عبر العصور، وتفسيره في ثقافة عصره وليس في لفظه الأخير.

وصفها أبو الفداء في كتاب البلدان بقوله قال في المشترك: يقال لفاميه أفاميه بزيادة الهمزة في أولها. قال وهي مدينة قديمة ويطلق هذا الاسم على كورتها[vi] أيضاً. قال وفامية قرية من قرى فم الصلح من نواحي واسط.

قال في العزيزي: وكورة أفاميا لها مدينة عظيمة على نشز من الأرض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (أي العاصي) كما سماها الفرنجة عند غزوهم لها افاميا/لافامي (Lafamie).

وعند ابن خرداذبة ((أنها من أعمال حمص ومن أقاليمها إقليم فامية)).

الدولة السلوقية المشكله في الشمال السوري، سكنها الكثير من المقدونيين (الاغريق القدامى نسبة إلى الاسكندر المقدوني) وقسموها إلى بوليسات (مفردها بوليس) على طريقتهم الجغرافية وهي:

١ـ سلوقيا (السويدية اليوم عند مصب نهر العاصي غرب انطاكية).

٢ـ انطاكيا.

٣ـ لاوديكا (لاذقية).

٤ـ أفاميا.

كانت هذه المدن مراكز مقاطعات حملت الاسم نفسه لكن يتبعها مستوطنات هلنستية، وقد شكلت لاريسا (شيزر) والتي كانت في حرب معها (١٤٣ق.م) وميغا-راو هي (قرية مغارة) في جبل الزاوية في منطقة ريحا، أو مدينة معرة النعمان؟

وأبولونيا جزءاً لايتجزأ من أفاميا

وكاسيان وصفها استرابون بأنها: (موقع حصين في منطقة افاميا).

ذكر بوسيدونيوس الأفامي الحرب الأهلية التي وقعت بين أفاميا ولاريسا (شيزر) إذ وصف المقاتلين حاملين الخناجر على خصورهم، ويتسلحون برماح



شارع الأعمدة في أفاميا

صغيره يغطيها الصدأ والقذراة، وعلى رؤوسهم قبعات كبيرة لها حافة تعطي ظلاً.

ذكر بوسيدونيوس أنه في بداية القرن الأول ق.م، كانت سوريا مقسمة إلى ثمان مقاطعات أربع في جنوبها (كيليسوريا) يؤكدها نقشان يعود تاريخهما إلى القرن (٢م) تذكر ساترابيه افاميا وساترابيه سلوقيا وهذا النص يحتاج إلى تفسير ليس مجاله هنا!

سميت افاميا عندهم بـ الايبستات أي مستعمرة مقدونية فيها مقر الحاكم (بريفكت) وفي حال طلبهم اعتقال احد يستعان بـ قومندان القلعة الذي يقود الجند وفي حال طلب إعدام شخص يطلب منه التنفيذ، وكما حصل لابيجين، أحد أفراد حاشية انطوخ الثالث الذي أعدمه قومندان قلعة افاميا بعد أن وجد في حوزته رسالة تدينه إدانة قاطعة، كان قد ارسلها إليه الساتراب العاصي مولون (هنا الساتراب وحدة إدارية أقل منزلة من افاميا).

ومن الجديد في تاريخ المنطقة أن خلفاء سلوقس نيكاتور اعتادوا على تسمية انفسهم ملوك سوريا، إذ عندما أعلن ايفنوس الأفامي قائد انتفاضة العبيد في صقلية نفسه ملكاً في عام (١٣٥ق.م) اتخذ لنفسه اسم أنطوخ، أطلق عليه رعيته اسم السوريين، تثبيتاً لهويتهم الوطنية، إذ يبداون من تمرد عليهم من أبناء أفاميا أو المنطقة ينفى إلى جزيرة صقليه، وحين أتيحت الفرصة طالبوا بحريتهم، كما كان تريفون ديودوت المواطن الوحيد الذي استطاع أن ينزع التاج من على رأس السلوقيين، وهو مواطن من أحد هذه الحصون في منطقة افاميا، التجأ إليها، لكن انطيوخس السابع يقتله في ميدانها العام سنة (١٣٧ق.م).

حالات التمرد والنزاع مع المستوطنات يشير إلى أن ابناء المنطقة لم يكونوا على رضا تام بالحكم الاغريقي، خاصة في محيط أفاميا، لذلك أصبحت المركز الرئيس العسكري لمملكة سوريا السلوقية، أو هي المقر الحربي لسوريا إذ في عام (٢٢١م) تجمع فيها (٦٠٠٠) جندي من المستوطنات لشن الحرب نحو الشرق. وفي رواية أخرى هي المركز العسكري للملكة في القسم الأكبر من الجيش فالاسطبل فيها ضم (٣٠٠) مهر و(٣٠.٠٠٠) مهره وعرف عن وجود خيول كثيرة وفيلة في منطقة سهل الغاب وسهل الروج لخصبهما كمراعي لها، وأشار سترابون أنه كان لسلوقس (٣٠٠جواد) و(٣٠.٠٠٠فرس) و(٥٠٠فيل).

كذلك حين تم ((نزع السلاح في عام ١٦٢ق.م بموجب اتفاقية السلام الأفاميه التي رعاها الرومان كان قتل هذه الحيوانات (أي الفيله) الضخمة من أكثر المشاهد التي أثارت اشمئزاز الناس، وبعض الفيله استحقت أوسمة فضية واستخدموها ليس في الحرب بل للتسليه، إذ يسقونه مشروباً مسكراً ليهيجوه..)) إن اتفاقية السلام الأفامية فرضت على انطوخ الثالث أن يسلم الفيله، وتسلم لكن تعوض فيما بعد.. إن أفامية قد كانت المكان الرئيس للفيله، وقد كان يوجد لديهم رتبة عسكرية (قائد الفيله) يدربها هنود وتسرح في سهل الغاب، وظل لها التأثير الحربي كدبابة.

لم تقتصر علاقات أفاميا كموقع تجمع عسكري أو مدرسة للفرسان وتعبئة الجيوش بل كما ذكرنا برز منها مفكرون وفلاسفة ومؤرخون وتجار كبار يدل على هذا اتفاقية سلام افاميا الموقعة عام (١٨٨ق.م) إذ منح سلوقس الثالث تجار رودس (جزيرة يونانية) امتيازا باعفائهم من الرسوم، هنا إشارة لتوسعهم التجاري نحو البحر المتوسط، واعتبرت أفاميا المدينة الثانية في المملكة السلوقية، إذ حين اعتلى العرش انطيوخوس السادس عام (١٤٥ق.م) تم تتويجه في أفاميا.

كان في أفاميا دار لسك النقود مثلت جنود سلاح المشاة مسلحين بالرماح في القرن (٢م) ونقود أخرى عليها رسم زيوس نيكيفور كما سكت نقوداً برونزية عليها رسم الاسكندر بالاّ ، كذلك الملك الأرمني ديكران حين استولى على سوريا (٨٣ق.م) منح افاميا امتيازات نقدية كما منحها حق الهيكل أي حق الملاذ.

في أواخر الحكم السلوقي، كثر الخلاف ودبت الفوضى، وتوالت الحرائق في أنطاكيا وأفاميا وهياكلهما.. وتمكن سيسيليوس باسوس من احتلال أفاميه، ثم خضع بدوره لحصار طويل فرضه عليه أنتيستيوس فيقوس إلى أن جاء بومبي القائد الروماني (٦٤ق.م) فيدخل افاميه ويأمر بهدم قلعتها لكنه جعلها فيما بعد قاعدة ولاية سوريا الثانية وأسماها (سوريا الطيبة)؟!

في وثيقة شاهدة أثرية ترقى في تاريخها إلى نهاية القرن (٣م) ذكر لحملة شابو الأول أنه نهب مدينة أفاميا وبلدة تابعة لها جنوباً تدعى ريفانيه (اليوم باسم بعرين) كما اكتشفت وثائق تذكر خدمه سوريين في الإمبراطورية الرومانية أنهم من أفاميا، أحدهم برتبة عسكرية قائد العشرة (ماغيون بن أرتميدو).

وذكر سترابو أن افاميا تملك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، كما أنها كانت محاطة بعدد كبير من القرى المحصنة، وحدودها تمر بمحاذاة نهر مارس الذي يفصل أراضي افاميا عن محميه النازيربين وهنا إشارة لاسم نهر العاصي قرب حمص.

وقد توفر لدينا نقشان سجلت فيهما أسماء للقرى المتوضعة في الأراضي التابعة لأفاميا ويذكر في أحدهما سورياً من قرية كبروز بادين، وفي الأخرى يجرى الكلام عن أحد الأماكن المقدسه التابعة لقرية الأفاميين "افانا" اسم هذه القرية يوافق كبرو=كفر/زبادين، وهو اسم آرامي سوري قد تكون هي زبد في ناحية السفيره جنوب شرقي حلب؟ وتعني القرية المهداة، وهذا الاسم موجود في تدمر أيضاً أما الفانا فتعني (الإله تجلى) واسم الشخص في الأولى عزيز

أغريبو، فهل هم مواطنون من افاميا أم يحملون المواطنية الأفامية، إذ حين يعرف بنفسه يقول: "إنه من إحدى القرى الواقعة ضمن حدود أفاميا".

وهذا يثبت أنه كان إلى جانب اليونانيين سكان عرب آراميون - سوريون. وقد انهى عزيز أغريبو أواخر أيامه في مدينة اغسطس تريفيروم. كما ذكر سترابو الاسم القديم لنهر العاصي أورونت وهذا الاسم منقوش على شاهدة في دركوش العاصي بمحافظة إدلب، ومازال مستخدماً في الاتينية إلى اليوم.

في عام (٥٤٠م) سلبت المدينة القديمة على يد كسرى الأول (خسرو) ملك فارس، لكن البيزنطيين يستعيدونها.. ثم غزاها خسرو الثاني ملك الفرس عام (٥٧٣م) فنهبها وسبى اهلها واحرقها وكذلك تمكن كسرى برويز الثاني من احتلالها وتخريبها.

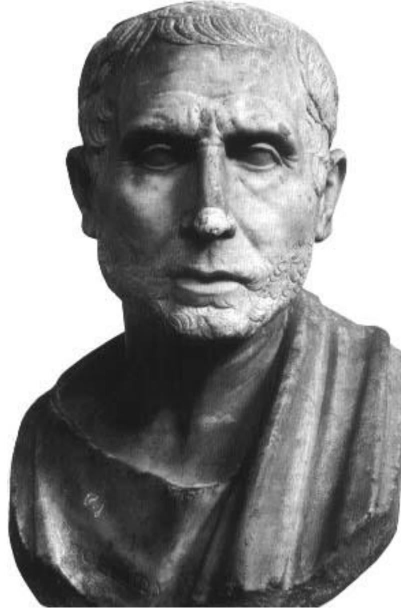
كان في أفاميا ابرشيه كنسيه تتبع المذهب الخلقيدوني يتبعها عدة أديرة في المنطقة، وتشير الحوليات إلى وجود دير مارمارون في منطقة افاميا، وموقع موقه في جبل الزاويه اعتبره بطرس ضو أنه تابع لأبرشية افاميا، من خلال الكتابة المكتشفة في فسيفساء كنيستها، وفيها اشارة إلى اسقف افاميا مرقلّوس، هو من مواليد قبرص، لمع كحاكم زمني فاختير اسقفاً لأفاميا، وفيما كان يهدم بيوت الأصنام في أبرشية أفاميا تنفيذاً لقرار توادوسيوس الكبير قتله الوثنيون عام (٣٨٩م) وتعتبره الكنيسة شهيداً.

لقد كان يتبع أفاميا الكثير من قرى جبل الزاوية شمالاً بل معظمه ما عدا جبل الأربعين في قسمه الشمالي، فقد كان تابعاً لانطاكيا عرفنا ذلك من خلال الكتابات الأثرية.

توالت الزلازل عليها: ٥٢٦-٥٢٨-٥٤٣-٥٥١-٥٧٧-٥٩٩م، لكن أعظمها عام (٥٨٩م). واجتياحات الفرس لها أضعفتها اقتصادياً وعمرانياً، ليهجر سكانها الباقين، ويتجمعوا في قلعة المضيق والتي كان عدد سكانها عام (١٩٣٠) ألفي نسمة.

- مفكرون من أفاميا:

ظهر فيها المؤرخ **بوسيدونيوس الأفامي** (١٣٥-٥١ق.م) اعتبروه آخر عقل انجبته البلاد في العصر الهلنستي وأبرزهم، أهم مؤلفاته أثراً اتمامه لتاريخ بوليبوس، الذي يعد مرجعاً للمؤرخين ليفى وسترابون وبلوطرخس. دَرَس في أثينا وتجول في ايطاليا وبلاد الغال واسبانيا وصقليه واستقر كرئيس للمدرسة الرواقية في رودوس حيث توفي.



المؤرخ **بوسيدونيوس الأفامي**

وكذلك **نيومينوس الأفامي** الفيلسوف المؤسس الحقيقي للأفلاطونية الحديثة، أقام في أثينه وقد يكون حَصّل ثقافته في الإسكندرية، ثم عاد ليمضي حياته في أفاميا. استشهد بأقواله بورفيريوس ويمبليخوس وغيرهما من الفلاسفة الوثنيين، واستشهد به كليمنت الاسكندري واوريجين وغيرهما من الآباء المسيحيين. وكان يعلم الأسرار اليونانيه والمصرية، ولكن معرفته بالعهد القديم هي التي تميز كتاباته عن كتابات غيره من الفلاسفة كما يقول (حتى). وكان موسى بالنسبة إليه "النبي" كما كان هوميروس "الشاعر" وكان أفلاطون "موسى اليوناني". واعتبر بان الله هو ثالوث كوني يضم ثلاثة: الأب والخالق والمخلوق (العالم).

لقد أصبحت افاميا مركزاً للمدرسة الأفلاطونية المحدثة في القرن (٣م) المؤسسة من قبل أميليوس وبرعاية زنوبيا ملكة تدمر وهو من المعجبين بنيومينوس.

ـ الديانة:

كان أبولون الإله الأكبر لدى الأسرة السلوقية في سوريا.. لهذا كان هناك معبد ربة الحظ والسعادة تيكه في أفاميا وهي من أهم الربات ولها وجود في أرواد وإنطاكيا ومعظم المدن، واليوم أبناء أنطاكيا رمز بلدهم تمثال لها كفتاة جميلة، جالسة على صخرة، تمسك بيدها حزمة من سنابل القمح ويتوج رأسها تاج له شكل أسوار المدينة وأبراجها وعند قدميها نهر العاصي.

ومن العبادات عندهم إله الخمر باخوس في منحوتات مكتشفة في المسرح/المدرج. في أفاميا بقايا معبد في الجهة الغربية يدعى معبد زيوس بيلوس، وآخر بمواجهة صف الأعمدة وراء الصف الآخر من ورائه في بناء هام هو معبد تيكه أو ما يعرف بالتيكيون وهي الربة الحامية للمدينة ، له مدخل عريض وتشير الحوليات إلى معبد بايتوكايكى في وسط سوريا، في مقاطعة افاميا، كاهنه يتصرف بعائدات الأملاك التابعة للمعبد وليس (النيوكور)..



مسرح أفاميا

لقد أقام انطيوخ الثالث معابد الآلهة الملكية في كل مدينة من المدن المستقلة، ووضعها تحت اشراف رؤساء الكهنة الذين تم تعيينهم في كل ساترابيا كـأفاميا.

كما وجدت تقدمات للإله بعل الأفامي في الغرب مثل فيزون (Vaison) في جنوبي فرنسا حيث أقيم معبد لسيد الحظ بعل الكنعاني، وهذا دليل وصولهم جنوب فرنسا ونقلهم عبادتهم إلى هناك ، في التواصل الحضاري لم يكن متوقفاً.

ولم تخل أفاميا من أماكن الترفيه فمسرحها يعتبر من أكبر المسارح في القطر، لكن التخريب شوه معالمه يبلغ قطره (١٣٩متراً) مقارنة مع مسرح

بصرى (٩٠متراً) وأقسامه: المدرج والمنفذيين الجانبيين الشرقي المكشوف والغربي لم يتم الكشف عنه بعد ، هناك درج صاعد يتفرع وسط الاستدارة نحو الأعلى، وهناك غرف خاصة بالممثلين يرقى بناؤه إلى العصر الهلنستي ثم عدل في العهد الروماني.

فيه تيجان كورنثيه ومنحوتات مزخرفة تمثل مشاهد عبادة الكرمة في رمز لإله الخمر اليوناني باخوس.

بعد الغزو الروماني من قبل بومبي (٦٤ق.م) بسنوات عين الإمبراطور اوغست (كويرينيوس) حاكما على سوريا وفي عهده تم إحصاء سكان افاميا المدينة فبلغ عددهم مائة وسبعة عشر ألف مواطناً يتكلمون لغتهم القومية الآرامية، وفي عام ٥٧٠م بلغ عددهم حوالي نصف مليون وقال عنها الرحالة دويليرانس (إنها مدينة زاهرة) وهي تعتبر من أهم المدن ذات الثقافة والرقي الحضاري، ولكن أفاميا كان فيها جاليات إغريقية ورومانية تسيطر إدارياً ومالياً وثقافياً، ولكن رغم سيطرتهم فقد كان السكان الوطنيين ينتهزون الفرص المناسبة لإثبات وجدهم الحضاري و لتعبير عن ثقافتهم .

لقد عبر مارسيل بويب حقيقة عن ذلك بقوله: "ليست روما هي التي ابتكرت عناصر تنظيم المدن، فقد وجدتها واتخذت من نفسها مالكاً لها"..

المراجع-العربية- الأجنبية:

١-زكريا-أحمد وصفي: جولة أثرية، دمشق، ١٩٣٤م.

٢- زهدي-بشير: الفن السوري في العصر الهلنستي والروماني، دمشق.

٣- هاشم-سهيله: مدينة أفاميا الأثرية (قلعة المضيق)، دمشق، ١٩٦٢م.

٤- ضو-بطرس: تاريخ الموارنة، بيروت، ١٩٧٢م.

٥- العابد-مفيد رائف: الآثار الكلاسيكية، دمشق، ٢٠٠٢م.

٦- الشهابي-قتيبه: هنا بدأت الحضارات، دمشق، ١٩٨٨م.

٧- ساطع-أكرم: القلاع والحصون في سورية، دمشق، ١٩٧٥م.

٨-المعري-أبو العلاء:رسالة الصاهل والشاحج –القاهرة ١٩٧٥م.

١- شيفمان: المجتمع السوري القديم، دمشق، ١٩٨٧م.

٢- جونز: مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، عمان، ١٩٨٦م.

٣- بيكرمان: الدولة السلوقية. ملوك سوريا السلوقين، دمشق، ١٩٩٣م.

٤- كلينكل: آثار سورية القديمة، دمشق، ١٩٨٥م.

٥- فينر: القلاع أيام الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٨٤م.

٦- حتى: تاريخ سورية، بيروت، ١٩٨٢م.

٧- داونى: انطاكية القديمة، القاهرة، ١٩٦٧م.

8-Prentice-William:Greek and latin inscriptions-NewYork London1908

وغيرها من المصادر والمراجع والأرشيف الخاص

---

[i] تقع شمال الاسكندرونة مطلة على خليجها.

[ii] بمعنى ولاية ، كلمة من أصل فارسي مستخدمة قبل قدوم الاسكندر، وهو اسم يدل على منطقة واسعة تشمل عدة مدن .

[iii] انظر كتابنا من إبلا إلى ادلب ص ٩٨ وكتابنا السابق الرحالة في محافظة ادلب ٢٣٢/٢

[iv] جرت محاولة للاستيلاء عليها من قبل بوهمند ١١٠٠م دون جدوى.

[v] المعري: رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٦٢.

[vi] الكورة: مصطلح إداري يأتي بعد الجند أو المركز الإداري الرئيس.

الجَولان في التاريخ

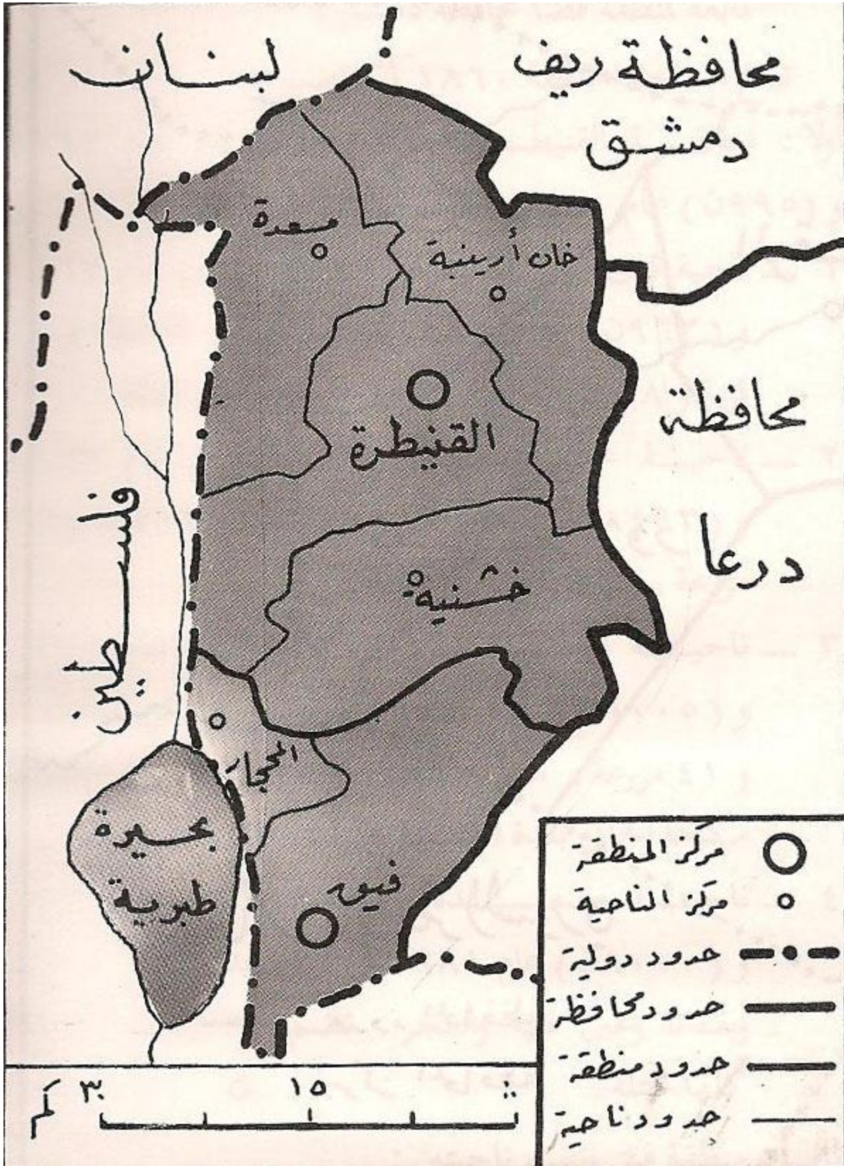
أولاً – جغرافية الموقع : تبلغ مساحة الجولان ١٨٦٠ كم٢ احتلت إسرائيل منه ١٢٥٠ كم٢ ،بما فيها الأرض التي كانت مجردة من السلاح على ضفاف نهر الأردن، والحولة نوطبريا ،والبالغة ١٠٠ كم٢ .

هو هضبة بركانية ينحدر سطحها من طية حرمون الكلسيه في الشمال إلى وادي الأردن وانهدام طبريا ووادي اليرموك في الجنوب ، وتتناثر على سطح الهضبة تلال هي مخاريط البراكين .

تسببت الصخور البركانية بخلق الطبيعة الوعرة لسطح الهضبة ، وقد تحللت تربتها في المنخفضات لتشكل سهولا خصبة ، كما يغطي سطح الهضبة شبكة من الوديان السيلية السطحية تتجه غربا نحو نهر الأردن وجنوبا نحو نهر اليرموك .

مناخه متوسطي ، ولكن حين يكون الثلج في الأعلى نجد الناس يستحمون بمياه الحمه المعدنية في الجنوب ، ولكن المناخ ماطر رطب وبارد عموما ، وهو الأغنى بالمياه .

هذه الطبيعة والموقع الإستراتيجي العام جعلت من الجولان معبرا سهلا إلى لبنان وفلسطين والأردن، فهو بوابة سورية الجنوبية وكما هي محافظة إدلب



محافظة القنيطرة –الخريطة الإدارية

بوابة سورية الشمالية، فهو أسهل المعابر وأقوى المناطق نحو فلسطين (تجارياً) ع/ط جسر بنات يعقوب أو طريق فيق . الحمة .

ثانياً – معنى الاسم والسكان : تلفظ الجولان بفتح الجيم وتسكين الواو معرفاً بأل أو غير معرف بها (الجولان أو جولان) اعتبره بعضهم عربياً لوروده عند ابن منظور في مادة جول / في كتاب لسان العرب / في أن " الأجول هو جبل ، والجولان جبل بالشام " ، وإن كانت في أصلها صيغة آراميه
واضحة من الجذر جول (حال بالعربية) أي منطقة التجوال والتنقل .
أما ياقوت (ت ١٢٢٩م) في معجم البلدان فقال : " إنه قريه وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران . يقال للجبل حارث الجولان ، وقيل حارث قلة فيه .." .

وبما أن هذا الجبل كان موضع نزاع بين حكام المنطقة فإن حارث المذكور عند ياقوت الحموي لم يشر إلى من هو، وإن كان أحد أمراء الأنباط الذين حكموا الجولان في القرن الأول ق.م وكما سيرد ، وأما قوله إنه قد يكون حارث قلّه ، أي إنه سمي باسم صاحب دير (قله مفرد قلالي وهو موضع صومعة أو سكن الرهبان وأديرتهم) ولكن في اطلاعنا على وثائق حضارة الأنباط تبين أن الرأي الأول هو الأصح، قد تكون هي قرية سحم غربي حوران إلى الشمال الغربي من درعا .

أما الآتوريون فهم من العرب القدماء الذين سكنوا الجولان حتى قبل الإسكندر المقدوني .

ولم تشر وثائق العصر الكلاسيكي (السلوقي – الروماني) إلى توطن اليونانيين في الجولان وكذلك ذكره الجوهري باسم الجَوْلان جبلٌ بالشام وحارث قُلّة من قلله في قول النابغة :

بَكى حارِث الجولان من فَقد ربه وحوارث منه موحِش متضائل

وفي قصيدة للراعي بأن للحارث هناك دساكر/عساكرعند أطرافه وكذلك هي في بروج

وقال حسان :

قدعفاجاسم إلى بيت راس ** مالجواني فحارث الجولان

هبلت أمهم، وقد هبلتْهم ** يوم راحوا، الحارث الجولان

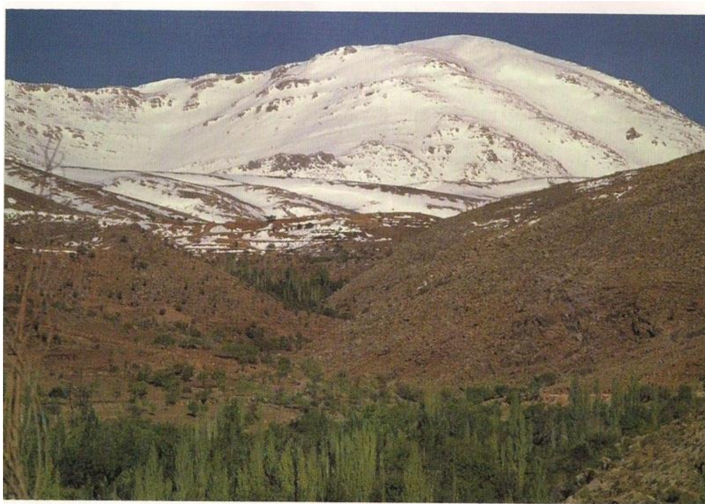
كل هذا من شعر العرب قبل الإسلام ، كما كان يسكن فيه قبائل الغساسنة العرب ، واعتراف الرومان بسلطتهم، وكذلك قبائل لخم العربية، وخالطهم قبائل جهينة وذبيان . وهذا الإسم الأقدم في الوثائق العربية (حارث الجولان) لوروده في أسفار العرب قبل الإسلام ، وتردد زعماء العرب إليه أما الوثائق الهلنستية (الرومانيه) فقد عرف باسم (جولاينتيد)

وأكد المؤرخ الجغرافي الإغريقي سترابو (القرن الأول الميلادي) على الحضور العربي في الجولان .

كل هذا يؤكد على عروبة الجولان . لقد أكدت الأبحاث الحديثة الآثارية على وجود ممالك آراميه من الألف الثانيه ق.م ،وهؤلاء عرب أصلاء، وكذلك ما ورد في تردد تجار قريش إلى الجولان للتجارة فيه . وقد إكتشف في البقايا الآثارية للمنطقة وجود أسماء عربية عند الأنباط والذين كانوا أيضا يتكلمون الآراميه ، صحيح أن عاصمتهم البتراء تقع جنوب الجولان فإنها كانت تتواصل مع القبائل العربية ولتتشكل فيما بعد واحة عربيه في المحيط الروماني .

بعض المستشرقين يذكرون الجولان كمدينه ورد ذكرها في نصوص العهد القديم باسم (جولان) دون تحديد لموقعها ، ولكن هذا إفتراض ليس إلا !.

ثالثاً – الجبل الشيخ : حين يذكر الجولان فلا بد من ذكر الجبل الشيخ ، ولكن اسمه الأقدم جبل حَرْمون أي الجبل المحرم / الحرام (وكما هو مصدر اشتقاق اسم مدينة حارم) وقد جاءت التسمية من وجود معبد في قمته (وكما هو في جبل الأقرع) قدسته جميع الحضارات السابقة . اعتبره العرب الكنعانيون سيد السحب والأرض وعرش الآلهة وسموه (جبل سيِّنر أو شيّنر) أما الفينيقيون فقد أطلقوا عليه اسم (حَرْمون سيريون) ، والآراميون تسمية (بعل حَرْمون) نسبة للإله بعل ، والعبرانيون باسم (سينون وسيريون) .



الجبل الشيخ –سورية

اما اسم جبل الشيخ أو جبل الثلج لكثرة تراكم الثلوج فيه . ولعل اسم الشيخ رمز للمعبد وكما نطلق على جبل سمعان الاسم الأقدم جبل الشيخ بركات لوجود معبد في قمته، بل معابد وثنيه مختلفة وبأسماء عدة .

يطلق الأهالي عليها عدة أسماء قصر عنتر (مثل هذا الاسم شرق معرة النعمان) أو قصر شبيب عند شارة الحرمون (أعلى نقطة فيه ٢٨١٤ م) وكذلك كان يطلق عليها سابقا دار القوصرة نسبة لاستيطان الغساسنة فيه وآل قوصرة من الغساسنة .

رابعاً – الرحالة في الجولان : زارها بعض الرحالة حين كانوا يأتون من لبنان إلى حوران أو من دمشق إلى القدس .

في عام ١٨١٢ زارها بوركهارد وهو العاشق للآثار نقتطف بعض أحاديثه الهامه إذا أطلق كما قيل له على جبل الشيخ إسماً آخر ، ((جبل حاصبيا ومنطقة بانياس عادية ، كانت تسمى في القديم سيزاريا فيليبس ، واسم الحولة (بحيرة) لاكوس سخونتس . وتقع قلعة بانياس في شرق غربي القرية رأيتها مهدومة بالكامل لكنها ما تزال حصينة ... ورأيت نقوشا كتابية على جدرانها ، قيل لي فيما بعد إنها بالعربية والأجنبية، في بانياس ١٥٠ منزلا .. وهي تتبع حاصبيا وشيخها يعينه أمير حاصبيا .. وقرب نبع نهر بانياس جرف صخري فيه عدة مشكاوات للتماثيل .. وهناك فتحات عليها نقوش غير مقروءة ... وفوقها مسجد النبي خضر وهومار جرجس عند المسيحيين .. من قبلي جاء ستيزن كما وجد آثارا في جنوب القرية .. وكتابات عربية تاريخها ٦٠٠ وسنة هـ / أي زمن الحملات الصليبية، يستخدم سهل الحولة عرب الفضل والنعيم والتركمان كمراعي للأغنام .. ويسمون نهر الأردن بـ (الضعن) .

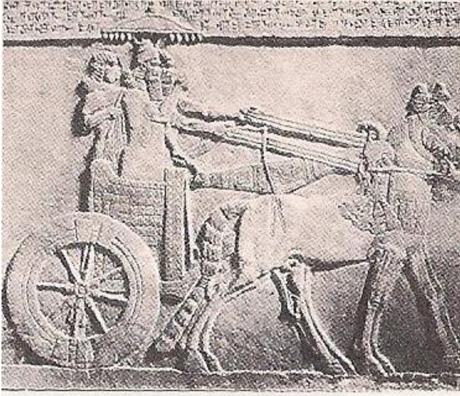
وقد وجد في جبل الهيش الكثير من النمور التي يحب الشيوخ العرب جلودها لعمل سروج الخيل، كما تنتشر هناك الدببة والذئاب والوعول . أما الخنازير البريه

فكثيرة في جميع الأصقاع التي زرتها . كما أنه زار قرية المجدل (وهي باسم مجدل الشمس اليوم) يسكنها دروز وأربع أو خمس عائلات مسيحية ، وبقربها نبع ماء...)) ويزور رحالتنا عدة قرى في الجولان عرنه وقلعة جندل وكفر حور (في محافظة إدلب – منطقة حارم – ناحية الدانا قرية أثرية باسم كفر حوار وكذلك في جبل الزاوية) ويشير بوركهارد إلى أهم الزراعات القطن .

خامساً – التاريخ الموجز :لسنا مبالغين إن قلنا إن تاريخ الجولان له ذكر في التاريخ القديم .. ورد في مراسلات العمارنه في عهد الفرعون المصري امنحوتب الرابع (القرن ١٤ ق . م) .. وكذلك في وثائق الآشوريين ، لكن سكنها الآراميون ، وتوزعت المنطقة بين عدة ممالك آرامية دمشق إحدى عواصم ملكهم ، أو مملكة آرام صوبه غربا، لكن مجاورتهم لبلاد كنعان الغربيه جعلهم في موقف يحسدون عليه ، إذ كانوا في موقع ملتقى الهجرات والحضارات فدعي الجولان في عهدهم (بالجيدور) .. وامتدت مملكتهم إلى أعالي الجولان .

ذكر الجولان في العهد القديم عند الحديث عن الحروب المستمرة بين الآراميين وبني اسرائيل .. وورد اسم فيق كموقع لهذه المعارك .. لكن ثقافة الآرامين وحضارتهم المدنية كانت هي الغالبة بورود أسماء لقرى آرامية كـ الكفرون وبيت لاهيا (في محافظة إدلب مثل هذه الأسماء) وكفرقوق وبانياس وبيتيما وغيرها كثير .

ورغم أن الآشوريين قد اجتاحوا هذه المنطقة في زمن آشور بانيبال ٦٦٣ ق.م وغيرها من الاجتياحات فإنهم ظلوا ثابتين رغم عوادي الدهر عليهم .

الفرعون المصري امنحوتب الرابع   نحت اشوري لعربة حربية

وحتى في العهد الفارسي ٥٣٩-٣٣١ ق.م لم يحظوا بغير أن يكونوا إحدى المرزبانات (الولايات) التابعة لهم .

أما في العهد السلوقي (اليوناني) فقد حظيت باهتمام من قبل العاصمة السورية أنطاكيه .. فشقت الأقنية وبنيت القصور وشيدت المعابد والحمامات والمسارح ونشطت الزراعة .. والمكتشفات الأثرية وضحت ذلك ، كذلك نهضت المنطقة في العهد الروماني اقتصاديا وعمرانيا ، وكانت أهم المدن بانياس/بلنياس وخاصة في عهد فيليبس .

ودعاها باسم آخر قيصرية تمييزا لها عن قيصرية هيرودوس في فلسطين، ثم حسنها هيرودوس أغريباس الثاني ودعاها نيرونياس إكراما للقيصر الروماني نيرون .

هناك الكثير من الوثائق التي تشير إلى إقليم العربية وإلى الحضور العربي في الجولان في عهد الحكم الروماني ، إذ بعد ضم مملكة الأنباط عام ١٠٦ م وتحولها إلى (إقليم العربية)، وأكد هذا المؤرخ الاغريقي الرئيس (سترابون) .

بعد معركة اليرموك ١٥هـ/٦٣٥م أصبحت المنطقة تابعه لجند الشام .

بعد قدوم الفرنجة إلى المنطقة لم يتمكنوا من احتلال الجولان في عام ١١١٨م بادئين بـ بانياس وقلعة الصبيبة إذ كان هدفهم احتلال دمشق ، لكن الجولان تاريخيا ظل تابعاً لدمشق وصاحبها الأتابك ظهير الدين طغتكين وبعد سنوات بين هجوم وصد هجوم، استولوا على الجولان وخاصة قلعة الصبيبة ، وفي عهد صلاح الدين تم تحرير المنطقة عام ١١٨٧م . وفي العهد المملوكي أصبحت بانياس وجبل الثلج(هكذا كان يسمى)

ولاية مركزها إما بـ خان أرنبا أو القنيطرة وبدأت العشائر العربية تتوارد إليها ...

وفي العهد العثماني دخلت المنطقة ضمن أوقاف الوزير العثماني لالا مصطفى باشا .. وقد بنى فيها مخفرا للدرك وتكية وجامعاً ودكاكين وأوقف لهذه المباني الخيرية قرى ومزارع عديدة كتبت في كتاب الوقف .

وفي القرن العاشر الهجري جلبت الحكومة العثمانية قسماً من عشائر ألاسكى (قديم) تركمان وفي النصف الثاني من القرن ١٩ جاءت موجة من المهاجرين الشراكسة والداغستان .

سادساً – بانياس :تبعد ٢٥ كم عن القنيطرة ، حظيت على شهرة مميزة لكون هناك بانياس الساحل وهي غير بانياس الداخل في وقوعها عند الزاوية الشمالية الشرقية لسهل الحوله في السفح الجنوبي لجبل الشيخ .

ينبع فيها نهر بانياس أحد روافد الأردن ، حظيت بأهمية في العصر الكلاسيكي إذ ذكر المؤرخ اليوناني بولوبيوس أن أنطيخوس الأكبر هاجم المصريين في المعركة الهامة في بانياس حوالي عام ٢٠٠ ق.م ، وذكر المؤرخ يوسيفوس (إن هيرود الكبير بنى فيها معبداً لأوغست ، كما أن ابن هيرود فيليب وسع وجمّل بانياس) . اكتشف فيها (في القرية الأثرية) مدافن قبوية وأعمدة وتيجاناً

في العصرين اليوناني والروماني أصبحت عاصمة في السنة الرابعة ق.م وسميت قيصرية فيليبوس وكما ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس / العهد الجديد .

أما اسمها فقد اشتق من اسم إله المواشي والرعاة (بان) إذ شيد له هيكل عند مغارة فوق نهر بانياس في عهد هيرودس الأول .

ودخلها السيد المسيح حين تجول في الجولان.



توزع المعابد في بانياس



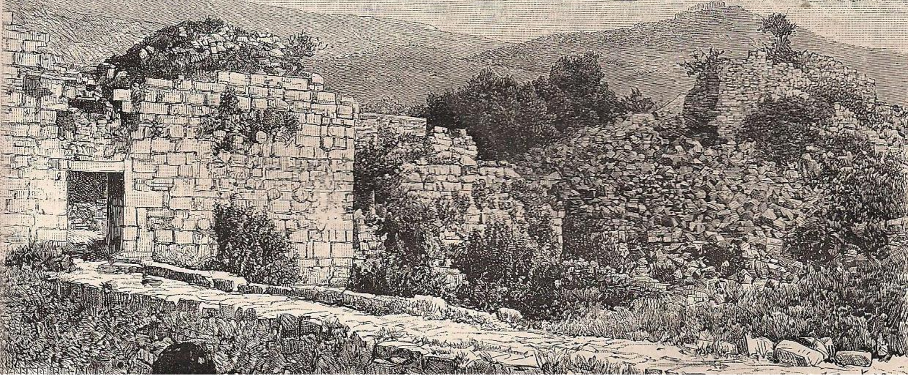
أميرة بانياس

اكتشف فيها تمثال نصفي برونزي على هيئة ترس يمثل امرأة جميله قد تكون هي للآلهة افروديت ذات ثوب حريري يحيط بها إطار مستدير (قرن ٢م أطلق عليها أميرة بانياس).



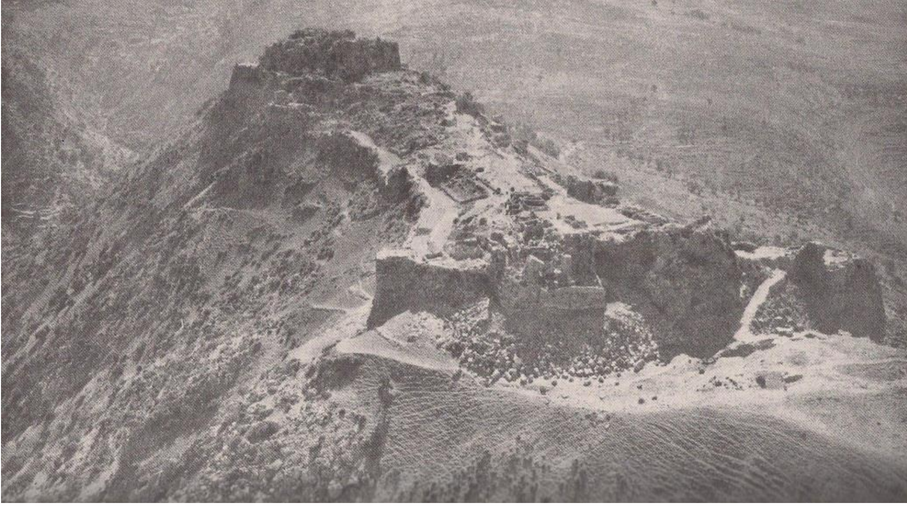
كان فيها دار لسك النقود في العهد الروماني، وفي القرن الرابع الميلادي جعلت مركز أسقفية . هناك تحصينات من أيام الحروب الصليبية وقناة لجر المياه. لقد

كانت بانياس قلعة متقدمة لدمشق إلى جانب قلعة الشقيف اللبنانية . ذكرها مؤرخونا كـ ابن القلانسي والمقدسي والرحالة ابن جبير و أسامة بن منقذ



سابعاً – قلعة الصبيبة (النمرود) : وتسمى قلعة بانياس الجولان . تقع على إحدى الهضبات المنحدرة من المرتفعات الجنوبية لجبل الشيخ ارتفاعها ٣٠٠ م وعن بانياس و ٦٢٩ م عن البحر ، طولها ٤٤٠ م وعرضها من الشرق ١٦٥ م ، الأجزاء السفلى من بناء الصليبيين والأبراج وبعض أقسام القلعة من بناء العرب .

سماها الفرنجة بليناس أو بانياس Blienas , Paneas ، وهي موقع هام شمال بانياس، لتكون بين حدود سورية و فلسطين حصناً حصيناً في الدفاع ،



صورة جوية لقلعة بانياس عام ١٩٣٧م

إذ فيها ثمانية أبراج ، ومحمية طبيعيا في جناحها الشمالي بواسطة سفح صخري شديد الإنحدار (وكما هي قلعة حارم وشغر – بكاس في محافظة ادلب وشيزر في محافظة حماة) . أما الجناح الغربي فمحمي بعدة أبراج قوية مثل الجناح الجنوبي .

في عام ١١٢٩م احتلها الملك بلدوين ليمنحها كإقطاع إلى بروس ، ولكنها في عام ١١٣٢م استردت من قبل حاكم دمشق بوري (أخ صلاح الدين) ، ولم يطل حكم العرب لها ، لنزاع بينهم فسلمت إلى الفرنجة عام ١١٣٩م . وقد حاول الأمراء العرب من حلب وغيرها استردادها إلى أن حررها نور الدين عام ١١٦٤م ، و في عهد بيبرس تم إعادة بنائها .

في زلزال ١٧٥٩م أصيبت القلعة بأضرار كبيرة . بعد عام نكبة حزيران ١٩٦٧ عملت اسرائيل على التنقيب فيها محاولة طمس معالمها العربية ، ورغم احتوائها

على كتابات عربيه ومعالم بناء عربي ورمز عربي في مجسم حجري لنسر يرمز للسلطان بيبرس .

ثامناً – خسفين: ورد ذكرها في التوراة تحت اسم خسفون .. ذكرها ياقوت في معجمه ، وهي في عقدة مواصلات إلى دمشق ودرعا وفلسطين ومصر، بالقرب منها طريق رومانية .و بقربها خان إسلامي دخلها صلاح الدين الأيوبي وهو في طريقه إلى موقعة حطين التاريخية .. اكتشف فيها عام ١٩٤٢ أربع وخمسين قبراً وأوان فضية وأحجار كريمة وقطع عاجيه وأواني زجاجية من العصر الروماني وهي في متحف دمشق الوطني .



خسفين:علبة مجوهرات النعم الثلاث



خسفين: فينوس– ق١م

اكتشف فيها علب مجوهرات إحداها مربعه من العاج نقش عليها بالوسط مشهد ربات النعم الثلاث متعانقات عاريات ، يحيط بها إطار زخرفي (القرن١م) وهي

في متحف دمشق، وآخر على شكل صندوق عاجي يمثل أيضا ربات النعم الثلاث من العصر الروماني

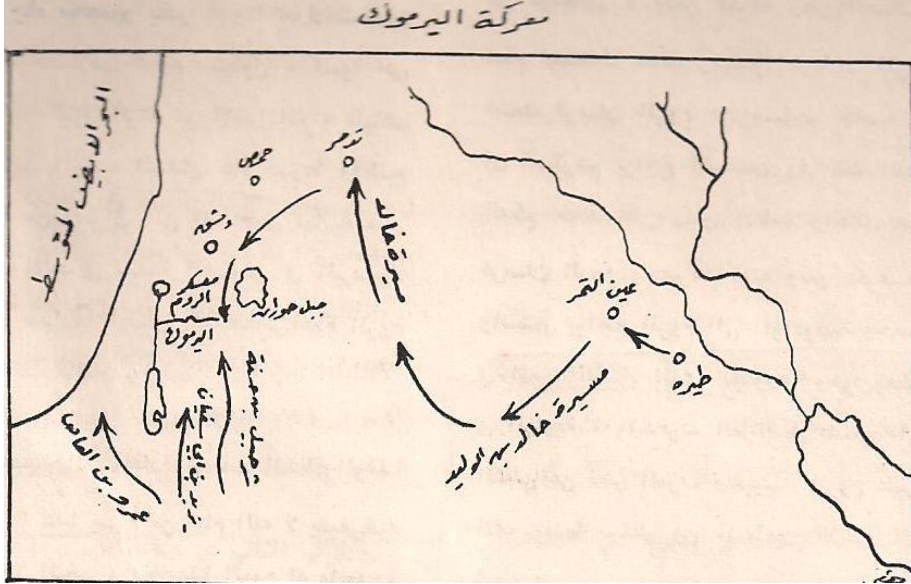
والأهم اكتشاف تمثال لفينوس وهو في متحف دمشق، من النحاس والذهب من القرن الأول الميلادي يمثلها عارية، تقف على قاعده مربعه تضع في أذنيها قرطين ذهبيين، وفي عنقها عقد ذهبي وفي قدميها خلخالان ذهبيان وهذا التمثال له شبيه في متحف إنطاكيا أيضاً .

تاسعاً – المعارك الثلاث في الجولان :في تاريخنا ثلاث معارك حاسمة جرت في الجولان سنأتي على عرضها بإيجاز

آ– **معركة اليرموك :** كانت الجابية في الجولان قصر الأمراء الغسانيين، وتحولت أيضاً كمقر عسكري في العهد الأموي .. ومنها وجه الخليفه عمر بن ثابت لفتح بيت المقدس ، وقد كان الغساسنة على نزاع مع البيزنطيين ، لذا تعاونوا مع المسلمين في فتح الشام . فيما بعد حدثت المعركة صيف عام ٦٣٦م ، وقد كانت هذه تسمى حسب المصادر الاسلامية والمسيحيه معركة الجابيه – اليرموك ، وهي قمة الحملات الاسلامية على الامبراطورية البيزنطيه .. بدأت المعركة في جوار الجابيه /أو/ غابيتا ، التي كانت بمراعيها ومائها مركزاً، هو مفتاح لأهم حليف عربي للبيزنطيين ، أي الغساسنة .. دامت المعارك شهراً ونصف تخللتها خسائر في الأرواح من الجانبين قبل الوصول إلى الدور النهائي على مقربة من نهر اليرموك حيث يصب رافده وادي الرقاد .

وفي المعركة الأهم عند الواقوصه كانت القيادة في القلب لأبي عبيده وعمرو بن العاص ، ولكن شجاعة خالد واندفاعه لينقض على فرسان الروم وحصرهم أدى إلى تراجعهم نحو الواقوصة ، في الممر الضيق الذي يجاورها ، وهوى معظمهم

في الهاوية ، وأسفرت المعركة في صباح اليوم التالي عن نصر العرب وتكبيد الروم عشرين ألف بينما سقط من المسلمين ثلاثة آلاف شهيد .



مخطط معركة اليرموك

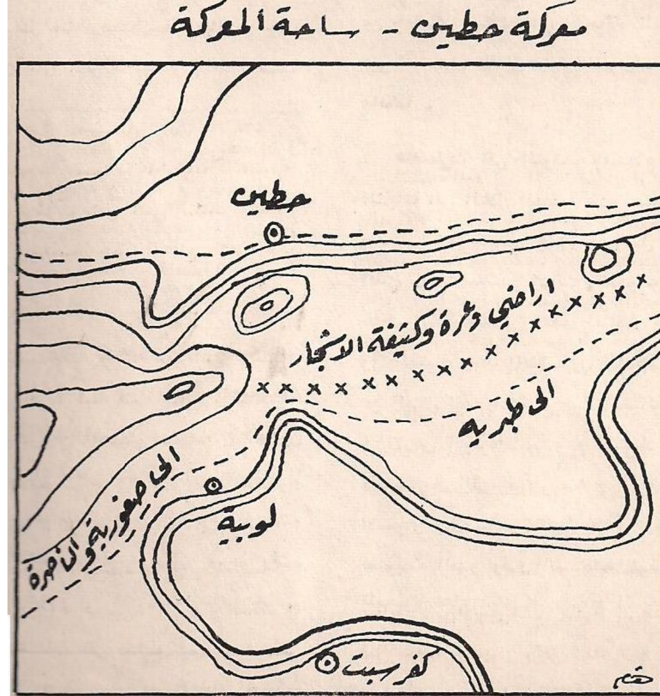
أدى هذا إلى فتح دمشق ، وإلى عودة عرب الجولان إلى التعاون مع المسلمين ، كونهم عرب أصلاً ، ولا ننسى معرفة الكثير من رجالات الجيش الاسلامي بجغرافية المنطقة .

بعد هذا الفتح أصبحت منطقة الجولان تابعة للتقسيم الإداري الجديد (جند دمشق) ، وهكذا ظلت مرتبطة بدمشق وتاريخها عبر العصور

ب- معركة حطين عام ١١٨٧م :لقد اختار صلاح الدين الأيوبي موقع حطين لعلمه بأهمية الجولان الاستراتيجية والعسكرية .

بدأ خط المعركة بتجديد مركزي في حشد قواته، الأول في بصرى، والثاني في منطقة كفرسبت المنيعه والمسيطرة على منابع المياه ، ولعلمه بأن الفرنجة سيقعون في أرض وعرة وقليلة المياه، لذلك عسكر في منطقة سبت .

ولما علم بأنهم لم يخدعوا بطريقته الحربية ، قسم جيشه إلى قسمين ، الأول ظل يراقب الطريق في كفرسبت ، والثاني قاده بنفسه وحاصر مدينة طبرية .



مخطط معركة حطين

وبعد أيام تظاهر بفك الحصار ، فاندفع خيالتهم، وانشطرت جبهتهم في عزل المشاة عن الفرسان، فقرر صلاح الدين مشاغلة الخيالة والإنقضاض على القسم الأخير . وهكذا تحقق النصر العربي في أرض حطين ، ثم تابع زحفه إلى القدس

. بعد حطين ظل هدف حلفاء وملوك بني أيوب والمماليك المحافظة على الجولان لقربها من دمشق وهي أقصر طريق إلى فلسطين .

ج- معركة عين جالوت ١٢٦٠م :بعد استيلاء المغول على بغداد عام ١٢٨٥م فكروا بالتقدم غرباً، لإحتلال بقية المدن الكبرى كـ حلب وحماه وحمص ودمشق ثم إلى القاهرة .

مخطط معركة عين جالوت

لكن الجيش العربي في سورية عرقل مسيرتهم إلى أن التقوا مع الجيش المصري في عين جالوت بقيادة الظاهر بيبرس وعددهم ٤٤٧ ألف مقاتل بعد أن عسكر في عكا ، ولعل الأدغال والمستنقعات هي التي ساعدت في أن يدفع خيالة التتار نحو التقدم إلى بقعه أقيمت كمراكز استناد محكمة على شكل جيب احاطه رماة النبال في الجيش المصري ، وخلف مراكز الاستناد حشدت تشكيلات كبيرة من

الجيش الشامي ، وذلك استعداداً للإنقضاض على خيالة التتار . وفي صباح الثالث من أيلول ١٢٦٠م بدأت المعركة فتقدم التتار نحو الثغرة المفتوحه ، فأطلق عليهم، وقتل قائدهم (بغا) واستمرت المذبحة من الصباح إلى الظهر، فر الكثير من التتار ، لكن مطاردة الشعب ظلت وراءهم .

هـ- **متحف القنيطرة** : في أصله خان أثري ١٢٤٠م مبني من الحجر البازلتي ، رغم صغره وحداثته فهو غني باللقى الأثرية كالأباريق الفخارية المزخرفة

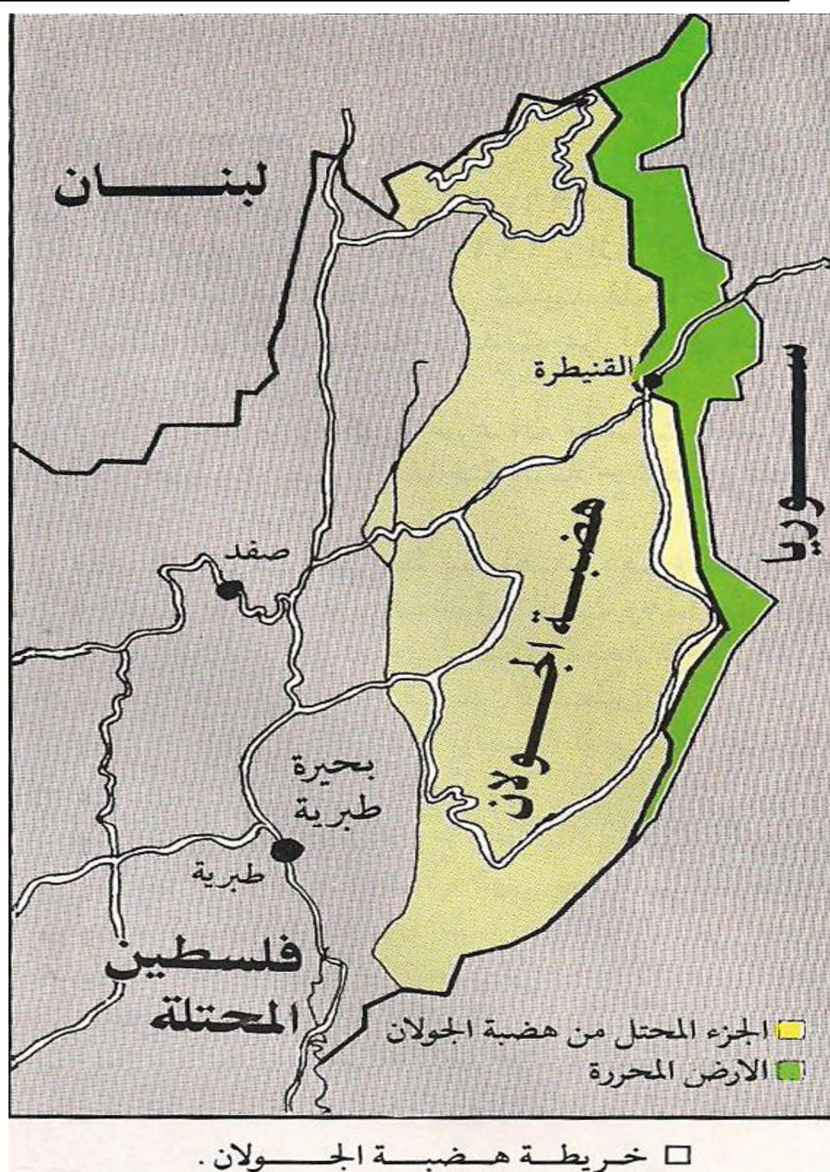


متحف القنيطرة- فخاريات

والسراج الفخاري والزبادي الفخارية متعددة الأحجام والألوان ، وكذلك نجد فيه جزء من نسر محطم الرأس والأرجل والجناحين، تلتف على أرجله أفعى، مصنوع من حجر البازلت، وتمثال آلهة النصر من العهد الروماني .

عاشراً – الخاتمة :لقد كان الجولان مهداً للحضارة، وشبكة مواصلات تجارية، لموقعه المتميز بين حضارات تفاعلت عبر أرضه ، وامتداداً للدفاع عن ثغوره في جهود ابنائه ضد الاحتلال الفرنسي كـ معركة قصر الخصاص الأولى، والثانية بقيادة الأمير محمود الفاعور، ومعارك مرجعيون ووادي الحرير والعرقوب وجباتا الخشب التي انتهت باستشهاد قائدها أحمد مريود عام ١٩٢٦م ، وهم الذين

حاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين، وكذلك غورو عن طريق دمشق القنيطرة، وفي عام ١٩٤٨ خاضوا معارك عنيفة في فلسطين.
في حزيران ١٩٦٧ ضُم الجولان إلى الكيان الصهيوني باحتلاله ، وفي عام ١٩٨١ أصدر قراراً بضمه إلى الأراضي الفلسطينية المحتله . وبعد سبع سنوات من حرب حزيران تم رفع العلم السوري في ١٩٧٤/٦/٢٦ في سماء القنيطرة المحررة . ولكن بقي الجولان أسيراً في يد المحتل الاسرائيلي الذي لا يتوانى يوماً عن تزييف الحقائق ، ونزع آثار الجولان لتغيير هويته التاريخيه ، زاعماً أنه قد يجد فيها ما يثبت هويته اليهودية . ولكن خاب فألهم إلى اليوم، رغم تجنيدهم الكثير من البعثات الأثرية، فالجولان عربي وسيظل عربياً سورياً مهما طال الزمن .



□ خريطة هضبة الجولان.

غزة في التاريخ

١- تمهيد :

العمل الكبير يقاس في التاريخ على ضوء المتغيرات الحضارية الحاصلة في المجتمعات، ولعلنا بعد اليأس والارتداد قد عاد إلينا الأمل بوجود الانسان المقاوم، وقرار الشارع العربي المتجه اليوم إلى غزة التاريخية ..

أصبح العالم يرى في غزة محرقة جديدة أقدم عليها العدو الصهيوني، لكنه يرى الوجه الأنصع في روح الإنسان الذي كان على هامش التاريخ، ليصبح اليوم هو صانع التاريخ . تعتبر مدينة غزّة إحدى أهمّ المدن الفلسطينيّة في الفترة الفارسيّة، وكذلك كانت من أهمّ مدن الممانعة والمقاومة كشقيقتها صور لدى احتلال الإسكندر الكبير لسورية، حيث كاد أحد أبنائها أنْ يقتل الإسكندر بعدما أصابه بقذيفةٍ،

وكما كانت مصر تدعى (مصر المحروسة)، وحلب بـ (حلب المحروسة)، كذلك كانت تدعى غزة بـ (غزة المحروسة) في العهدين المملوكي والعثماني، وكونها أول وأهم محطة بعد الخروج من القاهرة إلى الشام، أو آخر محطة من الشام إلى مكة، على طريق الحج الشامي، وبقربها كانت تلتقي قافلة الحج المصري مع الشامي، ويكفيها فخراً قول الرسول محمد (ص) ((أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان)) .. قد استعصت على الاسكندر المقدوني والمغول وكل غاز حتى .

وصفها نابليون بأنها ((مقدمة جيش أفريقية وباب آسيا))

٢- **الاسم و تفسيره :**

أقدم اسم وصل إلينا في رسائل تل العمارنة بمصر (خَزّاتي) وفي مكان آخر (أزّتي) مما يدل على أن لفظ الاسم واحد خ = غ في النطق القديم ، كما ورد في المسمارية الآشورية إلى لفظه بالغين أيضاً (خَزّاتو) أو (خَزّوتو) أو (خَزِيتي) أي = غزاتو – غزوتو –غَزِيتي، وفي المصادر السريانية يرد اللفظ (جَزَّا وعَزّا) وفي عبرية التوراة بالعين (عَزّا) وإن كان الاسم يلفظ بالغين أيضاً، والدليل انتقاله إلى اليونانية بالـ G وليس بالألف A أي Gazee وليس أزا

Aza وطالما أنه كان يلفظ بالغين، فالتفسير الوحيد له هو من خلاله بلفظه بالعين، أي رده إلى جذره العروبي المشترك عز بمعنى قوي وامتنع وعز .. أي تعني المدينة الممتنعة والمناعة .. وليس كما فسرها ياقوت تفسيراً لفظياً . ولها اسم شبيه في شمال سورية بلدة أعزاز في محافظة حلب، وفي لبنان في البقاع قرية تسمى غزة .

٣- **تاريخها القديم :**

يروى أن الكنعانيين هم الشعب الأقدم الذي استوطن جنوب سورية منذ الألف الثالث ق.م إذ قامت في سورية الجنوبية عدة مدن هامة قديمة ، ومنها غزة وضاحيتها أنتيدن باسمها القديم ظاهراً في خربة تيدا اليوم .

منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد قام العرب العاربة بإنشاء مدينة غزة كما يؤكد الاستاذ المؤرخ ماير..بعد انهيار دولة (معين) وزوالها ، أصبح سكان غزة يعتبرون أنفسهم امتداداً لدولة عربية في جنوب الجزيرة وهي سبأ .

اكتشف في غزة القديمة أقراطاً ملتوية من الذهب تاريخها ١٤٥٠ ق.م .وفي تل عجول (غزّة القديمة) اكتشفت مرآة نحاسية وعقد وبعض المجوهرات التي ترقى إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

ذكرتها الحوليات المصرية القديمة في رسائل تل العمارنة / القرن الخامس عشر في حملة تحتمس الثالث .

كونها أولى المدن الهامة في جنوبي سورية فقد كان يقيم فيها الممثل الرئيسي لفرعون مصر ، يتبعه المفتشون المختصون بجمع الضرائب والحكام المحليون المكلفون بشؤون الحاميات في بعض المدن. أما الهكسوس فقد تركوا بقاياهم في غزة القديمة كدفنهم الحصان في مدفن خاص به .

* *

ولم تكن غزة بعيدة عن المؤثرات السورية الشمالية ، وخاصة في حقل الثقافة والدين ، ففي إبلا هناك الإله دجن إله الغذاء / الحبوب ، والذي عبد في أوجرت / أوغاريت ، ثم اقتبسه الفلسطينيون كإله السمك المعبود والمسمى داجون في غزة .. في الأولى عبروا عن واقع يعايشونه في حياتهم بإنتاج الحبوب ، وفي غزة بصيد السمك كغذاء رئيسي لهم ، والذي له معبد خاص به في غزة، وظل الإله داجون Dagon يحتل مكانة ممتازة لدى أهلها، باعتباره الاله الأكبر يلجأون إليه في الملمات وخاصة أيام القحط واحتباس المطر.

ورغم إحتلالها من قبل الملك الآشوري تغلاد بِلاسر الثالث عام ٧٣٤ ق.م فقد احتفظت بآلهتها، ثم احتلها سرغن عام ٧٢٠ ق.م.

. ومن أشهر آلهتها حدد(المعروف بالإغريقيّة باسم زيوس مارناس) ، Zeus Marnas

كعلامةٍ للشمس، حيث كان في المدينة معبد لإله الشمس مارناس، وكان هذا الإله سابقاً إلهاً للمطر والحبوب، وهو يشابه في تخصّصه الإله حدد الآراميّ. تحول اسم داغون إلى ميرونا Merona= أميرونا/ مولانا، وظل يحتل مكانة مرموقة لدى أهلها، باعتباره الرب الأكبر وظيفته كـ (داغون)، ومن أشهر آلهتهم بعل إله الشمس وممثل الرجولة والخير، هو إله السماء والمطر. أما عشتار فقد كانت تمثل الخصوبة والأمومة والأنوثة، أما في العهد اليوناني الإغريقي احتلت في نفس المكان ألهتهم أفروديت إلهة الجمال والحب ، ثم باسم فينوس عند الرومان، واعتبروها تمثل آلهتهم السابقة عشتار إذ وجدت صورتها على نقود مكتشفة في غزة في عهد الإمبراطور هادريان (القرن٢م).

كما كانت إبلا في الشمال السوري مدينة المعابد ، كذلك غزّة في الجنوب السوري ، فالمعابد الضخمة للآلهة زيوس وهليوس وأفروديت وأبولو وأثينا مع المعبد المحلي للآلهة تيخة – إلهة الحظ وحماية المدينة [vi] وقد كانت في بقعة واحدة ، ومع ذلك ظل معبد مارينون يمثل المركز المهم لآلهة غزّة الوثنية، هذا المعبد[vi] ظل قائماً حتى عام ٤٠٠م، إذ بنيت فوقه كنيسة[vi] مسيحية كبرى بجهود الأسقف برفيريوس، أطلق عليها اسم أودوكسيا Eudoxia نسبة لزوجة الإمبراطور أركاديوس، والتي ساعد في بنائها، وتم افتتاحها عام ٤٠٦م بعد

جهود خمس سنوات في بنائها من أعمدة الرخام التي جلبت من بلاد اليونان وقيسارية وبقايا المعابد . والجدير بالذكر أن الذي أشرف على بنائها المهندس

الأنطاكي الأصل (روفينوس). وفي رواية أخرى أن الذي بنى أول كنسية في غزّة بعد هدم المعابد هو القديس (أسكليباس) عام ٤١٩ م

* *

بعد غزو الاسكندر للشمال السوري (٣٣٣ ق.م) اتجه نحو الجنوب ، ورغم المعارضة القوية ضده ، فقد عاد ليثبت الملوك الفينيقيين ، كسباً لود الشعب، مستفيداً من خبراتهم الإدارية ، فهم أعلم بمدنهم وسكانها ، غير أن صور قد قاومته سبعة أشهر (٣٣٢ ق.م) .

ورغم علم أبناء غزة بالمصير الدامي لصور وأهلها، فإنها قاومت ببطولة لا تقل عن نظيرتها صور ، وبعد حصارها شهرين ، قهرت حاميتها التي كانت تضم كثيراً من العرب، وأبيدت وجر قائدها الخص حول أسوار المدينة وهو مشنوق بعربات الاسكندر ، وبيع سكان المدينة عبيداً، وفي رواية أخرى ظلت تقاوم حتى قتل كل رجل في المدينة، وسبيت كل إمرأة !! كما أن الاسكندر قد أصيب هنا بجروح طفيفة، واستولى على مخازنها الضخمة من التوابل ، إذ كانت المستودع الرئيسي على البحر المتوسط لمنتجات الجزيرة العربية والبلاد التي تجاورها . وهكذا باحتلالها دق مسمار آخر في نعش السيادة الفارسية في البحر المتوسط .

. وبعد وفاة الإسكندر الكبير خضعتْ

المدينة لسيطرة بطليموس الثاني والثالث حتّى ديميتريوس الأوّل.

ومع ذلك فإن غزة استعادت حيويتها ، رغم رواية ذبح سكانها المبالغ فيها .. فقد عادت للتألق ثانية كمركز للإشعاع الحضاري في الجنوب السوري .

وقد قال (بلوتارخ) مؤرخ عهد الاسكندر: إن غزة كانت أعظم مدينة في بر الشام لما استولى عليها الفاتح المذكور في عام ٣١٢ ق.م تغلب بطليموس وبمساعدة سلوقس على انتيغوس في غزة ، وبذلك تمكن من ضم فلسطين إلى مقاطعته المصرية ، وبقيت كذلك لأكثر من قرن باستثناء فترات متقطعة .

اعتبرت غزة (مدينة مقدسة) في القرن الثاني قبل الميلاد، إذ حذا ذلك الملك ديمتريو الثالث من سبقوه في حرمة خاصة، ولا نغفل دور الشاعر الكبير مليغر الغزي في إنعاش الحركة الأدبية في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، مؤكداً في شعره على أصالته السورية ، هذا الدور الأصيل قد تجلى أيضاً في موضوع تغيير أسماء المدن من قبل

السلوقيين ومن أتى بعدهم، إذ غيروا بعض الأسماء الأصلية ، كـ غزة إلى سلوقيا ، فإن هذا الاسم لم يطل زمناً لأن الأصالة هي الأقوى، وكذلك فعلت حلب بعد أن أسموها بيرويا، وقنسرين (غرب حلب) بعد أن أسموها خلقيس.

* *

لقد تمتعت غزة كمدينة باستقلال ذاتي ، حتى سكت لنفسها عملة أيام الإمبراطورية الفارسية ، وظلت في هذا العهد من المدن الفلسطينية الهامة .. وأكد هذا (هيرودوت) بأنها مدينة عظيمة مثل ساردس .

* *

بعد غزو سورية من قبل (بومبي عام ٦٤ ق.م) بدأ يعيد الترتيبات لمواجهة المدن التي كان المكابيون[vi] قد استولوا عليها، وبدأ يؤسس القلاع والحصون في الجنوب السوري ومنها غزة ، وإن كان الترميم الفعلي قد تم بعد بضع سنوات، في عهد (غابينوس) تم ترميم مدن هامة كـ غزة وأسدود ورفح وغيرها

وكان بومبي قد جعل من أنطاكية وغزة مدناً تتمتع بالحكم الذاتي كولايات لها حكامها، إذ قسم الدولة إلى خمسة أقاليم صغيرة يحكمها مجلس .

وفي زمن (هيرود) الملك ٤٠ ق.م تم منحه مدناً من قبل انطونيو، منها: أسدود وغزة على الساحل الفلسطيني ، مما أغضب كليوبتره فبذلت جهدها لطرده من مملكته ولم تفلح غير الحصول على مقاطعته أريحا ، وعلى مدينتي يافا وغزة الساحليتين كما يبدو .

بعد وفاة (هيرود) توزعت مملكته بين أبنائه الثلاثة، ماعدا غزة التي ضمت إلى سورية ، والتي كانت في نظامها الإداري العام تابعة لمملكة هيرود سابقاً . ثم لحاكم أدوميا[vi] .

اعتبرها المؤرخون من المدن (في العهد الإغريقي والروماني– أي العصر الكلاسيكي) التي كانت تُدَرس فيها آداب اليونان وثقافتهم، والمشهور أن مدارسها في القرون الأولى للميلاد برزت بتعليم الفلسفة وفي تدريس البلاغة والفصاحة والخطابة[vi] . حتى قيل إنه كان يقصدها طلاب من بلاد اليونان للتعلم فيها ، وأن بلاد الفرس كثيراً ما كانت تستعير أساتذتها من معاهدها، كما كان فيها مدرسة موسيقية علمت الموسيقا والعزف على الناي.

لقد بلغت غزة في القرن الخامس والسادس الميلادي ذروة شعلتها الفكرية من خلال كتابات سوزومين عن المدينة وضواحيها ، ومدرسة البلاغة لتأثرها بمدرسة الاسكندرية وجوها العلمي ، كما كانت تتعاون ثقافياً مع قيصرية ، من خلال

تبادل المعلمين والطلاب . برز بعض أساتذتها في الفلسفة من أتباع المدرسة الأفلاطونية الحديثة ، لكنهم في أكثريتهم دعوا أنفسهم بالسفسطائيين المسيحيين . هناك مدن عرفت بمدارسها ، كمدرسة الحقوق في بيروت ، والفلسفة في الاسكندرية ، والخطابة في غزة ٢٠٣ ، إذ بعد أن كانت غزة الوثنية وكنا في الماضي ، تحولت إلى المسيحية لتصبح مركزاً للتعليم المسيحي في فن البلاغة بفضل أحد أبنائها ، بروكوبيوس PROCOPIOS (حوالي ٤٦٥ – ٥٢٨ م) وهو مثل أنياس بن بلده ، قد تفقه في اللاهوت والثقافة اليونانية ، وهو مخترع السلاسل التفسيرية ، بإيرادها مع ذكر القائلين بها .

لم يكن رجل دين فحسب ، بل رجل دنيا ، إذ قام بوصف الساعة الفلكية التي كانت تزين ساحة السوق في غزة ، بل هو واصف للفسيفساء التي كانت تزين أحد أبنية مدينته برسم أفروديت وأدونيس.

لقد كان بروكوبيوس من عائلة كبيرة في غزة ، عين أخوه حاكماً لجزر إيجه في اليونان ، وأخ آخر محام في البلاط. لقد تغنى بروكوبيوس في قلمه بجوانب السحر والجمال في وطنه ، حقاً قد كان علماً من أعلامها ، تعتز به غزة

اشتهر الخمر الغزي في الغرب والشرق، إذ لم تخلو موائد أغنياء فرنسا في القرون الأولى للميلاد من نبيذ غزة الفاخر. كما كانت خمورها تحمل إلى (سوق مجنة) قرب مكة فيشيد بذكرها الشعراء .

* *

كان فيها دار سك للنقود، لذلك أصدرت نقوداً في سورية الجنوبية ، أيام الإمبراطورية الأولى في العهد الروماني، كما عرفت بمنسوجاتها الحريرية الفاخرة كدمشق .

شكّلتْ غزّة في القرنين الثاني والأوّل ق.م والقرن الأوّل الميلادي مركزاً تجارياً هامّاً على البحر المتوسط بالنسبة للتجار العرب الأنباط. أمّا عن مسكوكاتها المستقلّة، فتؤرّخ حسب العام ٦١ ق.م حاملةً اسم غزّة نحو الكتابة اليونانيّة التالية: (ΓΑ, ΓΑΖΑ, ΓΑΖΑΙΩΝ)، بينما تؤرّخ نقودها الإمبراطوريّة الرومانيّة من عهد أغسطس حتّى جورديانوس الثالث.

أمّا إصداراتها من النقود البرونزيّة في عهد هادريانوس فقد حملتْ واجهة معبد ثنائي الأعمدة يظهر في وسطه الإله مارناس والربّة أرتميس (الشكل ٣٤١). وفي عهد هادريانوس ازدادتْ المشاهد على النّقود البرونزيّة التي حملتْ أيضاً نقش الربّة تيكة غزّة مع رمز الإله مارناس وإلى جانب قدميها نقش ثور (الشكل ٣٤٢). ومن المشاهد على النّقود البرونزيّة تلك التي حملتْ في مركز الظهر نفش هرقل واقفاً عاريّاً، يمسك بيده اليمنى الهرواة وباليسرى جلد الأسد، وإلى يمينه رمز الإله مارناس (الشكل ٣٤٣).

كذلك، حملتْ النقود البرونزيّة الصادرة في عهد ماركوس أوريلوس نقش

٢٠٢

الربّة تيكة عشتارت واقفةً تمسك قرن الوفر والرمح، وإلى جانب قدميها نقش ثور (الشكل ٣٤٤). إضافةً للمشاهد السابقة، حملتْ برونزيّات ماركوس

أوريلوس نقش الإله آيو أو يو)القمر(إله النور الفينيقي مع رمز الإله مارناس)الشكل ٣٤٥ (، ويعتبر الإله يو من المنظومة الشمسية التي تتكوّن من أربعة كواكب تابعة لكوكب جوبيتر، كما يُعدّ من كهنة الربّة هيرا إحدى زوجات زيوس. كما أصدرتْ المدينة نقوداً فضيّةً في عهدي كركلا وديادومينيانوس، حملتْ غالباً الأحرف الأولى من اسم الإله مارناس الذي يسمّى أحياناً يو، ويقابل الإله زيوس. وقد تميّزتْ تيترادراخما غزّة في عهد كركلا بحملها في مركز الظهر نقش نسر نصف مفتوح الجناحين، مع رمز يشبه الصليب المعقوف على أحد جناحي النسر أو أسفل ظهر النقد علامةً على الإله زيوس مارناس ، وهو الحرف الأوّل من اسمه. وجُسّد مارناس أحياناً بهيئة ثور يعلوه نقش النسر والعلامة السابقة ١١٢)الشكل ٣٤٦ (. ومن أهمّ واجهات المعابد التي ظهرتْ على نقود غزّة معبد أرتميس ومارناس، ومن نماذج النّقود أبولو وتيكة.

كانت سوريا في نهاية القرن الرابع قد توزعت إدارياً إلى سوريا الأولى وعصمتها أنطاكية، وسورية الثانية وعاصمتها أفاميا، ثم فينيقية (لبنان)، وأما فلسطين فقد كانت تشمل سورية الجنوبية واعتبرت غزة إحدى المدن الهامة لفلسطين الأولى . ذكر المؤرخ السوري (أميانوس القرن ٤م) وجود أربع مدن هامة في فلسطين هي نابلس وقيسارية وعسقلان وغزة ، والتي ظلت محتفظة بإشعاعها الفكري . ويذكر (سوزمين) ابن غزة المسيحي من قرية بيتليا بجوارها، أن مدينته تبعتها عدة بلدان جديدة وفي إحداها مركز اسقفية عام ٤٥١م ، وهذا أحد الأسباب التي دفعت الملك قسطنطين لمنح لقب قسطنطينية لميوما غزة (إحدى ضواحي غزة الجديدة) لأن أهلها كانوا مسيحيين ، بينما كان أهل غزة نفسها في غالبيتهم

وثنيين، غير أن (جوليان) للسبب نفسه، أعاد الأمور إلى مجراها القديم وأصبحت الميوما خاضعة لغزة مرة أخرى لغايات مدنية، وإن كانت قد احتفظت باسقف خاص بها .

* *

تجلت مظاهر نهضتها الفكرية في كتاب علّه كتب مباشرة بعد عام ٦٣٥م ، ونصوصه تحتوي على معلومات مهمة عن فلسطين قبيل الفتح الإسلامي اسم الكتاب ((آلام الشهداء الستين في غزة)) وقد أهملت دراسة هذا الكتاب مع أنه كان يعطينا صورة عن الحياة قبل الإسلام، وتشير الوثائق البيزنطية إلى وجود عرب أحلاف لها يقيمون قرب غزة بعد عام ٦٢٨م، والرومان يدفعون لهم رواتبهم إما لخدمات مستقبلية أو سابقة، وكما كانت الحيرة في العراق قاعدة حماية للبيزنطيين، كذلك كانت هناك مضارب قرب غزة كقاعدة حماية وحراسة على مداخل مدينة غزة، والدافع لهذا أنها أقل كلفة وأكبر أثراً والحصول عليها أيسر من بدائلها من القوى العسكرية البيزنطية .

وذكرت أخبارهم في وثائقهم أنهم قاتلوا إلى جانب البيزنطيين إزاء المسلحين في معركة انكسر فيها سرغيوس على مقربة من غزة سنة ٦٣٤م .

٤- الفتح الإسلامي :

وحول الفتح الإسلامي لغزة ، فمن المحتمل أن يكون المسلمون قد كسروا البيزنطيين في داثن على مقربة من غزة في ٤ شباط سنة ٦٣٤م [vi] .

وفي وقت مبكر من تموز فتح المسلمون غزة، وحينما علم هرقل ملك الروم بذلك وهو في دمشق (حسب رواية يوتيخوس) .

قرر دراسة الواقع العسكري، من فهم أفضل للأرض والمناخ ووسائل المواصلات والسكان، والمدن الواقعة على الطريق الرئيسي بين شمال سورية وحمص ودمشق، بما في ذلك العقبة في خلقيس[vi] .

فكر ثانية باستخدام العرب في المنطقة ولكنه اخفق في ذلك ، كما اخفق في تجنيد ما يريده من المناطق الأخرى ، مما أدى إلى وقوع كارثة ، إذ لم يتوقع البيزنطيون أي حملات عسكرية عربية كبرى.

القائد العسكري البيزنطي (سرغيوس) السيئ الطالع هو من رجال القصر ، لكن ينقصه التنظيم ، هو نفسه في المصادر السريانية ورد تحت اسم فردن أو وردان الدمشقي ، كان قد سقط في معركة داثن قرب غزة (١٩كم) وهو قد كان في حمص قبلاً[vi] .

تمثل معركة داثن المقاومة العربية للمحاولات البيزنطية لتضييق الخناق الاقتصادي والعسكري عن طريق السيطرة على الحدود، بعد أن استعادوا الساحل في أعقاب الانسحاب الفارسي، وفي مؤتة تصادمت المصالح العربية والبيزنطية وخاصة بين عامي ٦٣٢-٦٣٣م .

ويروي ثيوفانس أن السبب الآخر كان يعبر عن مظلمات عسكرية ومالية بالقول ((كان ثمة عرب يقيمون على مقربة من مداخل الصحراء (يدفع لهم أموالاً) لكن الخصي قائد البيزنطيين قال للعرب بعد أن طردهم : إن الحاكم بصعوبة يكاد يدفع للجند ، والأحرى ألا يدفع لهؤلاء الكلاب . فتملك الغضب العرب وانصرفوا إلى قومهم، وأرشدوهم إلى أرض غزة إذ أن المدخل كان إلى جانب جبل سيناء ...)) .

أسلوب الدفع للقبائل كان سائداً على الحدود البيزنطية، إما لخدمتهم أو لدفع شرهم ، أو لحراسة المنطقة . وكان لهم موقع (حيرة) أو مجمع قرب غزة لمراقبة الأعداء المهاجمين، وثيوفانس يقرر أنهم جاؤوا واحتلوا المخيم (الحيرة) وكل ريف غزة ، ولم يكد يصل سرغيوس من قيسارية فلسطين مع قليل من الجند حتى اشتبك في معركة، وكان أول من قُتِلَ مع ثلاثمائة من جنوده .

هذا الموقع الذي كان للعرب حراس المنطقة، قد أصبح جنداً للمسلمين الجدد بعد صرف الحراس العرب من خدمة البيزنطيين ، ومنها بدؤوا يتابعون فتح المنطقة ... وإلى هنا جاء عمر فيما بعد إلى غزة من العَرَبَة دائراً بالآبار والمستقرات السابقة .

ولعل القائد البيزنطي سرغيوس بعدما بلغه إزعاج مناوشات المسلمين المستمر لمنطقة غزة ، قرر جمع ٣٠٠ رجل من قيسارية ليتجه إلى غزة .. ولكنه يكسر في ٤ شباط / ٦٣٤م ويهزم جنده ثم يقتل، هذه معركة داثن المشهورة وهي تصف فاتحة هزائم البيزنطيين، التي جاءت بعد معارك كبيرة وصغيرة في مؤاب وعربة .

يروي (يوتيخوس) أن القائد البيزنطي في غزة ، الذي لا يسميه ، حاول أسر عمرو بن العاص وغيره من قادة المسلمين أثناء نقاش عن أسباب مهاجمة المسلمين فلسطين . وفي رواية أخرى أنه أراد لقاءه والتعرف على قائد المسلمين ، فلما قدم إلى عمرو ، عزم القبض عليه ، بينما الرواية الإسلامية كالطبري، أنه كان ثمة مؤامرة من قبل وردان ، لكن ليس في داثن بل في أجنادين لإلقاء القبض على عمرو الذي نجا منها .

هنا نحن أمام مشهد تمثيلي يفيد للروايات الأدبية أو التلفاز .

كان الريف الغزي خطيراً جداً ، إذ استمر عمرو بن العاص بالقيام بعمليات عسكرية في هذه المنطقة، حتى أصبح الوضع ممتازاً ، وتهيأ له فتح مصر .

هناك رواية إسلامية أن الغزاويين عقدوا الصلح مع المسلمين سنة ١٦هـ /٦٣٧م بينما الرواية البيزنطية تقول أن حامية غزة تلقت أمراً بالدفاع عنها إلى آخر ما يمكن ، ولكن الحامية البيزنطية تؤسر بعد مناوشات .. وتسقط غزة سنة ١٦هـ / ٦٣٧م ..وتدخل القوات العربية الإسلامية غزّة بقيادة علقمة ابن مجزر ... بعد مقتل معظم حاميتها، مع أن الغزوات التي تلت لم يحدث ذلك، حينها كانت غزة مسورة مثل عسقلان . وفي غزة نقش يشير إلى إصلاح السور قبل قدوم المسلمين بسنتين ولم يعد لهذا السور اليوم وجود أو تحسين يشير إلى حمايتها .

اكتشف في نصتان وهو الاسم القديم لقرية العوجا في صحراء النقب جنوب فلسطين، وثائق بردية جديدة ، ترقى إلى ما قبل الإسلام، وخلال نصف القرن الأول من الحكم العربي، وقد كانت على طريق تحرك جيش عمرو بن العاص بين أيلة وغزة ، ونوجز مضمون هذه الوثائق .

١- تشير إلى مسح عام للأرض بعد الفتح الذي أمر به الخليفة عمر سنة ٢٠هـ / ٦٤٠ م .

٢- باليونانية تذكر أن أهالي قرية نصتان لايعرفون إلا المسؤول العربي في إقليمهم وهو مسلم دون ذكر اسمه ونسبه .

٣- تذكر حركة احتجاج قبل الفتح الإسلامي من قبل بعض القرى مجتمعة، وأنهم سوف يذهبون إلى غزة ، إذن هي قد كانت مقر الحاكم ، لذلك سيعرضون عليه ظلامتهم .

٤- ورد في بريديه ((بسم الله الرحمن الرحيم من الحرث بن عبد إلى أهل نصتان من كورة غزة من إقليم
الخلوص الخ ..)) من سنة ٥٤هـ
تدلنا هذه الوثيقة النادرة على حقيقة الحكم العربي والاسم الجديد للإقليم والتوزع الإداري فيه ، ويليها ترجمة يونانية، إذن اللغة اليونانية كانت أيضاً مستخدمة.
٥- كما ورد رسوم عن طبيعة ضريبة الرزق وهي عادة من القمح والزيت بما يشير إلى الواقع الاقتصادي في غزة .
٦- في وثيقة أخرى يرد اسم الحارث بن عبد إلى أهل ... من كورة غزة من إقليم سوق مازن... من سنة ٥٦هـ.

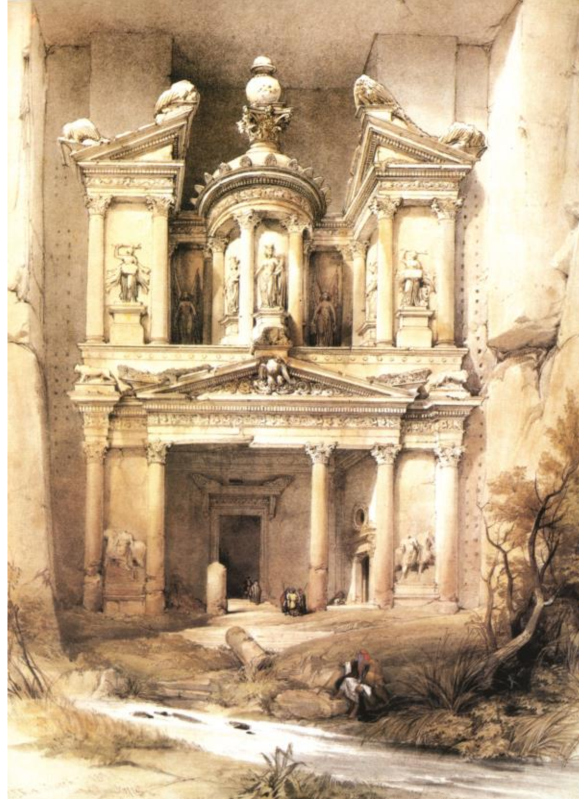
٥- غزة والأنباط :

كانت غزة على علاقة وطيدة مع الأنباط وعاصمتهم بترا / البتراء . كما أن الأنباط اعتبروا غزة إحدى محطاتهم التجارية الرئيسة لتصدير بضائعهم عبر البحر .

في بداية عام ٩٦ قبل الميلاد، وقف ملك الأنباط الحارث الثاني إلى جانب أهالي غزة في مواجهة الكسندر جنايوس (ملك الحشمونيين) طامعاً بثروات غزة ، والذي كان في نزاع دائم مع الحارث، ويبدو أنه رغم وعد الحارث للغزيين بالعون وتشجيعهم على التصدي له والمقاومة، فإنه تلكأ لسبب أو آخر في مد يد العون لهم، وبعد حصارها تمكن جنايوس من الاستيلاء عليها ونهبها، ولم يحتفظ بها طويلاً ...

كذلك ابنه هيركانوس تابع مسيرة أبيه في ذلك، كل هذا أدى إلى ضعف غزة تجارياً كمحطة للأنباط ، وبعد توسع الرومان في البحر وخاصة الأحمر ، أصبح طريق بترا – غزة مهجوراً ..

ثم ضمت غزة إلى ولاية سورية .



بتراء: الخزنة رسم ديفيد روبرت–القرن ١٩م

٦– بين مكة .. وغزة :

ظلت العلاقة وطيدة بين مكة وتجار قريش وغزة، فقد وردها أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب، وهي إحدى المحطات الرئيسة لتجار قريش في رحلتهم الصيفية .

إذ كان الروم يقيمون فيها سوقاً كانت قريش في الجاهلية تحضره وتتميز فيه .

وقد توفي فيها أثناء رحلته التجارية الثانية الجد الثاني للنبي محمد (ص) وهو هاشم بن عبد مناف وفيها قبره ، لذلك دعيت باسم ثان لها (غزه هاشم) وللشاعر أبو النواس شعر في ذلك .

كما زارها النبي محمد /ص/ حفيد هاشم (قبره في داخل المسجد الذي بناه أهل غزة وسمي باسمه) .

٧- علماء وأدباء من غزة :

لقد برز فيها علماء وشعراء ووزراء، ويكفيها فخراً أن الإمام الشافعي قد ولد فيها سنة ١٥٠هـ والذي يتصل نسبه مع رسول الله /ص/ في عبد مناف ، وكان قد أتى والده إدريس إلى غزة ليتخذها مقراً له ومات فيها .

ومن شعر الشافعي شوقاً إلى مدينة غزة :

وإني لمشتاق إلى أرض غزة   وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها   كحلت به من شدة الشوق أجفاني

كما دفنت ابنة الشافعي في غزة، وكذلك خادمه عطيه ، وفيها الآن مزار الشهيد عطية .

ومنهم الشاعر إبراهيم بن عثمان الكلبي الأشبهي ٤٤١ – ٥٢٤هـ، والعالم الفقيه أحمد بن عبد الله العامري الغزي ٧٧٠ – ٨٢٢ هـ ولهم حي إلى اليوم يدعى حي بني عامر .

ومن مواليد غزة (الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف أينال) من رجال القرن التاسع الهجري، من ملوك المماليك الجركسية .

وشمس الدين الغزي الفاروفي شيخ الطريقة القادرية من سلالة عمر بن الخطاب،وهو جد آل الخيري والتاجي وأبو الهدى وبيت الريس (في دمشق الآن).

٨- **غزة في العصر الوسيط :**

اعتبرها الجغرافيون في العصر الوسيط ((في أقصى الشام من جهة مصر)) فهي كأنطاكية آخر وأهم مدن الشمال السوري والقريبة من الساحل، كذلك غزة آخر وأهم المدن في الجنوب السوري القريبة من الساحل، وقد ذكرها القزويني ((بأنها مدينة طيبة بين الشام ومصر)).

وفي العهد المملوكي ذكر القلقشندي (ت ١٤١٨ م) أن ((بلاد غزة وما جاورها سهلاً ووعراً هي تابعة لدمشق وهي الشام الأعلى ومن أولى أعمالها عمل غزة وهي مدينة من جند فلسطين متوسطة في العظم ذات جوامع ومدارس وزوايا وبيمارستان وأسواق صحيحة الهواء وشرب أهلها من الآبار وبها أمكنة يجتمع بها المطر، إلا أنه يستثقل في الشرب فيعدل منه إلى الآبار لخفة مائها وبساحلها البساتين، الكثيرة وأجل فاكهتها العنب والتين، وبها بعض النخيل وتبرها ممتد إلى تيه بني إسرائيل من قبليها وهو موضع زرع وماشيه .. وأكثر الأحيان هي تقدمة عسكر ، مضافة إلى دمشق يأتمر مقدم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بدمشق ..))

*   *

لقد سقطت غزة بيد الفرنجة في شهر رجب سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩ م ..وجرت أكثر من محاولة لتحريرها، ففي عام ١١٢٦م اتجه الأسطول الفاطمي إلى غزة لمباغتة الصليبيين دون جدوى، وفي زمن ليس بالقصير ، بدأوا بإعمارها و تحصينها كي لا يتمكن نور الدين زنكي من استردادها ، في سنة ٥٤٤ هـ /١١٤٩ لم يتوان في تحريرها فاستعد لذلك ، ولكن المطر أقعده عن تحقيق هدفه .... بعد احتلال بلدوين الثالث مدينة القدس وتنصيب نفسه ملكاً عليها أراد في غزة أن يضفي عليها أهمية بإعادة تحصينها عام ١١٥٠م ، إذ هدم أسوارها القديمة وبنى سوراً جديداً.

وفي عام ٥٥٣ هـ/١١٦٢م يخرج فريق من عسكر مصر لتحرير غزة و (عسقلان) ، لكنهم أغاروا على أعمالها، أما الفرنجة فيحاولون صدهم ، فتمكن المسلمون منهم قتلاً وأسراً ، فلم يفلت منهم إلا اليسير .

في عام ١١٧٠م جهز المسلمون في مصر استعدادهم لتحرير غزة من الفرنجة التي كانت بيد الداوية[vi]، وحين اقتربوا من محيطها كان الفرنجة قد استعدوا لملاقاتهم، وبعد ليلة أرقة غادروها لملاقاة المسلمين عند مرتفع، حين شاهدوا العدد الكبير لجيشهم، حصلت الخشية في قلوبهم، ومع ذلك قاوموا المسلمين بقوة حتى جنح الظلام .. ليلاً نظم صلاح الدين صفوفه وتابع الزحف نحو غزة صباحا، توقف أمام المدينة والتي كان فيها السكان، ومجموعة من الشبان الفرنجة المقاتلين، لصد المسلمين، ورغم دفاعهم المستميت تمكن المسلمون من الانتصار، لكن الدم المراق من الطرفين قد كان غزيراً، ويمكن القول حرروا المدينة أو أسفل المدينة ، دون القلعة لمناعتها[vi].

في سنة ٥٧٣ هـ /١١٧٧ م حاول صلاح الدين الأيوبي استرداد غزة، ولكن لا يتمكن من استردادها لأن الداوية قد استعدوا لهجومه ، فحصنوا قلعتهم، بينما استرد عسقلان المجاورة لها شمالاً .

في عام ١١٨٢م أرسل العادل بعض قواته من القاهرة لمهاجمة غزة، كي يشغل مملكة بيت المقدس عن مساعدة بيروت في هجوم صلاح الدين عليها .

بعد معركة حطين سنة ٥٨٢ هـ /١١٨٧ م استردها صلاح الدين سلماً قبل فتح بيت المقدس، بعد قبول طلب مقدم الداوية في عسقلان بأن يتنازل عن حصن غزة (والتي كانت تابعة له) مقابل حريته .

و ننوه إلى أن الأمير أسامة بن منقذ صاحب شيزر قرب حماه حين عاد إلى مصر ، كان أخوه الأمير عز الدولة في عسقلان قد خرج مع عسكرها إلى القتال في غزة ضد الفرنجة.

قبل تحريرها – ولكنه يستشهد ، رحمه الله فقد كان عالماً و عابداً وفارساً كأخيه .

كما استشهد إبان الحروب الصليبية الأمير شجاع الدين عثمان ابن علكان (وفي غزة إلى اليوم شارع يسمى حي الشجاعية) لقد دافع الكثيرون عن غزة واستشهدوا بجوارها ....

في عام ١١٩٢م حصل اتفاق بين صلاح الدين وريتشارد .. ولكن صلاح الدين أبى إلا استرداد غزة ....

في عام ١١٩٧م هزم الصليبيون عند تل العجول قرب غزة ((وقتل من المسلمين جماعة وأسروا جماعة ورجعوا بغنائم كثيرة)).

ومن المعارك الهامة في تاريخ غزة (**معركة غزة الأولى**) التي وقعت قربها في ١٣ تشرين الثاني ١٢٣٩م بين المسلمين والفرنجة، في محاولة استردادها، فأرسلوا قوة مؤلفة من خمسمائة فارس وألف راجل، لكن القوة الكبيرة المرسلة من مصر بقيادة ركن الدين بيبرس قد واجهتهم في معركة فاصلة لصالح المسلمين ، فقتل ألف وثمانمائة جندي وأسر ٢٥٠ رجلاً سيقوا إلى مصر ، بينهم بعض زعمائهم وأمرائهم ، ومن المسلمين قتل عشرة ..

لقد تنبه حكام مصر إلى أهمية غزة ، لذلك ظلوا يتابعون التجمع العسكري فيها ، خاصة عام ١٢٤٢م وقد تحقق ظنهم إذ في عام ١٢٤٤م تتجمع القوات الإسلامية من مصر بقيادة ركن الدين بيبرس في غزة لصد القوات الأفرنجية التي تحالفت مع قوات شامية قاصدة غزة .. يدور رحى المعركة شمال شرق غزة في ١٧ تشرين الأول ١٢٤٤م بين الخوارزمية وجيوش الصالح أيوب من ناحية و الصليبيين وجيوش حمص ودمشق والأردن من ناحية أخرى، ولكن الهزيمة تحل ساحقة بالصليبيين ((ومن انضم إليهم من منافقي المسلمين)) حتى قدر عدد قتلى الصليبيين بأكثر من ثلاثين ألفاً، وسيق ثمانمائة من الأسرى إلى مصر .أطلق على هذه المعركة **(معركة غزة الثانية)** وهي أعظم كارثة تحل بالفرنجة بعد معركة حطين عام ١١٨٧م، وغروسية Grousset مؤرخ الحروب الصليبية قال عنها (**حطين الثانية**) .

ولعل أهمية هذه المعركة أن الخسارة كانت أكثر من المتوقع ، إذ اشترك فيها ثلاثمائة من الداوية، ولم ينج منهم سوى ثلاثة وثلاثين، واشترك مئتان من الاسبتارية[vi] لم ينج منهم سوى ستة وعشرين، في حين فقد الباقون بين قتلى وأسرى، وكان مقدم الداوية بين القتلى ، ومقدم الاسبتارية بين الأسرى .

دخلت جيوش المغول غزة سنة ١٢٦٠ م فخرجت قوى من الجيش المصري إلى غزة بقيادة الأمير بيبرس، بينما كان كتبغا القائد المغولي قد أقام قوة عند غزة تحت قيادة بيدرا ، وحين علم بيدرا بقدومهم راسل قائده كتبغا طالباً النجدة، فجاءه الجواب ((قف مكانك وانتظر)) وأمر الاحتفاظ بغزة وعدم التخلي عنها لحين وصول الإمدادات إليه ومن مصلحته الانتظار .. ولكن بيبرس تمكن من إلحاق الهزيمة بهم ، حتى إن أنصاره طاردوا المغول حتى نهر العاصي... كانت معركة غزة هذه ، وإن كانت صغيرة ، أولى المعارك التي صدت جيوش التتار الضخمة ، فكانت مقدمة لمعركة عين جالوت.

في هذا العام ١٢٦٠ م أصبحت غزة تابعة إدارياً لدمشق، و أقام بيبرس على غزة والياَ من طرفه، فكان مخلصاً له و للبلد، ((إذ أمسك مرة ثلاثة نفر ومعهم بدوي يتعاملون مع التتر سراً ...)).

كذلك حين زارها أنعم على جميع الضعفاء و الفقراء "بحمله مستكثرة و اعتمد ذلك في طريقه أجمع " لذلك أحبه شعب غزة فهو محررهم ، وقاضي حاجاتهم، إذ بنى بيبرس جسراً على (دير سنيد)بالقرب من غزة، وقد ذكرته وثائق المحكمة الشرعية بغزة في منتصف القرن ١٩ م باسم(دير سنيد). حين وفاته كانت بيده ولاية غزة وقلعتها.

كذلك بعد اجتياح المغول شمالي سورية، وبعد احتلالهم دمشق توجهوا إلى غزة ، فانتزع الجيش المصري المبادرة، ورد الغازين على أعقابهم في عام ١٣٠٣ م .

غزة هذه ، لم تسلم من الغزاة مهما كانت مواردهم ، وكذلك لم تسلم من الطاعون الذي جاءهم عام ١٣٤٨ /١٣٤٩ فأدى إلى وفاة ٢٢ ألفاً في شهر واحد .

وفي العهد المملوكي في زمن حكم بيبرس قد وفد عليه التركمان ((ما ينيف على أربعين ألف بيت ، فأكرمهم وأنزلهم من غزة إلى أنطاكيا)) . وقد كان حي التركمان فيها يشير إلى توطينهم ، وكذلك وجود مسجد ركن الدين التركماني الغزي المبني عام ٧٨٢ هـ /١٣٨١ م .

* *

زار غزة ابن بطوطة سنة ١٣٢٦ م /٧٢٧ هـ بعد خروجه من طنجة مسقط رأسه / بالمغرب عام ٧٢٥هـ /١٣٢٤ م ووصفها بقوله "ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة ، وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر ، متسعة الأقطار ، كثيرة العمارة ، حسنة الأسواق ، بها المساجد العديدة و الأسوار عليها ، وكان بها مسجد جامعٌ حسنٌ ، و المسجد الذي تقام الآن به الجمعة محكم الصنعة ، ومنبره من الرخام الأبيض ، وقاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني ومدّرسها علم الدين بن سالم ، وبنو سالم كبراء هذه المدينة ، ومنهم شمس الدين قاضي القدس .."

هنا إشادة للحوارنة القاطنين أو الموظفين فيها، وكذلك بنو سالم أيضاً لهم وجود في الفوعة في شمال سوريا في العهد المملوكي كأسرة وجيهة ذات ثقل ديني و اجتماعي، ثم زار حلب سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م فبلغه الخبر أن الوباء وقع بغزة ، وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الألف في يوم واحد .... وبعد عدة أيام وصل غزة فوجد معظم سكانها خالياً من كثرة من مات بها في الوباء، واخبره القاضي أن العدول بها كانوا ثمانين فبقي منهم الربع ، وان عدد الموتى بها انتهى إلى ألف ومائة في اليوم.))

٩- غزة في العهد العثماني

كانت غزة من المدن المزدهرة في القرن السابع عشر لوقوعها على الطريق التجاري الأعظم بين الشام و مصر . وعلى طريق بعض الحجاج العائدين من الحجاز ، كما أن قربها من مصر كان يسهل عليها الاتجار معها براً وبحراً . وربما كانت حكومتها أكثر استقراراً من حكومة بني طرباي في جينين . إذ مذ الفتح العثماني أصبحت في يد آل رضوان ، وظلت كذلك في أثناء القرن السابع عشر – تولى حكمها أحمد بن رضوان ما يقرب من ثلاثين سنة (حتى سنة ١٠٠٩ هـ /١٦٤٤ م) وخلفه عليها حسين بن حسن الذي تنازل عن ولايتها لابنه إبراهيم ، وأصبح حسين حاكم النابلس ، فلما توفي إبراهيم سنة ١٠٧١ هـ /١٦٦٠ م عاد حسين إلى ولاية غزة وظل في الحكم سنة ١٠٧٧ هـ /١٦٦٦م و خلفه أخوه موسى .

عرف الأمير أحمد بالشجاعة وحب الصيد ولقب (بالشاهين) . له مطالعات في كتب التاريخ وبعض الفنون،

وكما كان سيف الدولة يستقبل الأدباء بحلب، كذلك الأمير أحمد بن رضوان فقد قصده الشعراء ومدحوه ، و خلدوا مدحهم في مجاميعهم و منهم أبو المعالي الطالوي مطلعها :

ولما أرتنا العيس غزة هاشم عيانا أنخناها بتلك المعالم
رواجع من مصر نوازع للحمى حمى الشام تهدى بالبروق البواسم

وآخرها :

فلا زالت الأقدار تخدم سعده بغزة في عز مدى الدهر دائم

كما أحب مذاكرة العلوم ، والتواصل مع العلماء وإكرامهم وتولى إمارة الحج الشامي .كان له أولاد من ابنه درويش باشا صاحب الجامع المعروف بالدرويشيه خارج دمشق . وقبل وفاته منح لقب أمير أمراء بالدرويشيه

من العلماء الذين ترددوا عليه نجم الدين الغزي الدمشقي صاحب كتاب لطف السحر وقطف الثمر . ودرويش بن محمد قاضي القدس وما يتبعها و الحسن البوريني صاحب كتاب تراجم الأعيان، وقد أنشأ أفراد هذه الأسرة في غزة بنايات كثيرة ومساجد وقصوراً، وحموها من هجمات الأعراب وتعدياتهم ، و شجعوا الزراعة و الصناعة ، وقربوا العلماء ، وقصدهم الشعراء من جهات مختلفة مادحين لما عرف عنهم من سخاء . و في زمن الأمير حسن زارها الرحالة العثماني أولياجلي (القرن سبعة عشر ميلادي) الذي كان قد زار الكثير من مدن بلاد الشام، أطنب في وصف غزة ومرافقها وقلعتها إذ قال في وصفها "إنها قلعة من الخطورة بمكان عظيم لوقوعها على تخوم العشائر البدوية ، و تحفظ في داخلها السلع القيمة والأشياء الثمينة التي يقتنيها الوجوه والأعيان وسائر سكان المدينة ، وفيها منازل الجنود ومسجد وعنابر للحنطة و غيرها من المؤن ، ومخازن للأسلحة و المهمات الحربية))، وقد عد هذا الرحالة في المدينة سبعين مسجداً تقام الجمعة في أحد عشر منها ونوه بمسجد السوق ومئذنته العالية وذكر حمامين من الحمامات العامة، هما حمام الباشا وحمام العسكر، وقال: إن في المدينة ستمائة دكان، وإن سوق التجار مزدهر للغاية ، وفيها سبعة آلاف من كروم العنب إلى بساتين تزرع فيها أنواع من الفواكه الأخرى من توت ورمان وليمون ونخيل ، بالإضافة إلى الزيتون الذي يصدر زيته إلى مصر محملاً على مئات الجمال)) .

أما من حيث الصناعة فقد أشار الرحالة التركي إلى مصانع الزجاج و السروج و المنسوجات الحريرية و القطنية .

حين زارها دارفيو حوالي ١٦٥٩م و الذي كان قنصلاً فرنسياً بحلب، تحدث واصفاً قلعتها وعظمة قصر الأمير ، وذكر أن فيها ستة مساجد إلى جانب المسجد الكبير ، وأن أسواقها لا تقل عن أسواق باريس ، كما تحدث عن وجود كنيستين: إحداهما للأرمن وأخرى للروم

بعدهما زارها العياشي الذي جاء من المغرب،ومما ذكره في وصفها ((وأرينا من غزة بلداً فسيحاً ومنظراً رائعاً وأسواقاً حافلة وأسعاراً رخيصة وفاكهة كثيرة ... ومسجدها من أحسن المساجد رواءً مفروش بالمرمر و الحجارة المنحوتة ، وفيه دالية عنب في السماء بسوقاً مفرطاً .... ولا يصلون فيه إلا أيام الشتاء ومعظم عماراتها اليوم غنما هو في قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة لأنها في رابية مشرفة على بساتين وجنات من نخيل وأعناب وفواكه كثيرة كما يشتهون ، ومعظم أجنتها من زمننا هذا من جهتها البحرية متصلة إلى قريب من عسقلان)) ويؤكد كل من المحبي و دارفيو أن حسين باشا والي غزة كان ذا قدرة على ترويض العربان وفرض الطاعة عليهم ، وأن نفوذه بينهم كان قوياً وأنهم توقفوا في عهده عن الإغارة و النهب .

وأن شيوخهم كانوا يأتون لزيارته يومياً لتقديم فروض الولاء . ولكن هذه الصورة اختلفت عند العياشي الذي زار المدينة في عهد موسى ووجدها في تشويش من أجل العرب المخالفين ، فإنهم يغيرون على القرى التي حول المدينة و ينسفون زروعها ، وإن الباشا عاجز عن مقاومتهم ، لهذا كان يستنفر البيارق من النواحي _ و البيرق عندهم عبارة عن جماعة من الخيل لهم رئيس يتقدمهم ولا يخفي

العياشي ((إعجابه بالعربان وبنجدتهم وشجاعتهم و عجز الباشا عن البروز لهم ....))

كانت الرملة حينذاك جزء من سنجق غزة، كما أنها كانت أيضاً تحت نفوذ آل رضوان وهي على الطريق العظمى الذاهبة إلى مصر.

في عام ١٨٣٠م زارها الرحالة الروسي مورافييف وصفها بقوله ((إن هذه المدينة نشطة وفي حركة دائمة، وتمر بها القوافل دونما انقطاع ... و تعتبر مدينة غزّة في الوقت الحاضر واحدة من أغنى المدن في فلسطين بتجارتها، وهي بالإضافة إلى ذلك بمثابة مخزن لكثير من المؤن والمواد الغذائية التي ترسل إلى الصحراء العربية، وفيها يحصل البدو الذين يعيشون بالقرب منها على جميع المتطلبات المتواضعة لحياة التنقل والرحلة)) .

١٠- **قلعة غزة** : ذكرت قلعة غزة في وثائق الفرنج في الحروب الصليبية،زمن حكم بلدوين الثالث عام ١١٥٠م بأنه قد بناها لتكون حصناً قوياً ، وأعطاها لفرسان الداوية ليحتفظوا بها كحق دائم ، حموا القلعة بسور منخفض و بوابات، كما ورد ذكر قلعة غزة غير مرة في عهد بيبرس ١٢٦٠م ..

و نتساءل هل هي القلعة التي تبعد مسير ساعة عن البحر إلى الشرق والتي ذكرها إلياس ديب مطر في كتابه المطبوع عام١٨٧٤ م. بنيت هذه القلعة في زمن السلطان سليمان القانوني ويستدل على ذلك من نقش على جدار القلعة جاء في نصه "أمر بإنشاء هذه القلعة السلطان سليمان ابن السلطان سليم بايزيد ابن السلطان عثمان خلد الله ملكه وقدس شوكته وأعز دولته بحمده وآله " وكانت تقيم في هذه القلعة سنة ٩٧٤ هـ /١٥٦٦ م حاميه مكونة من خمسة أفراد من المستحفظان ، وواحد وثلاثين من الانكشارية و تسعة جنود من المتفرقة وقد جدد

بناء القلعة أثناء ولايته على باشا السلحدار على مصر (١٠١٠ هـ /١٠١٣ هـ /١٦٠١م /١٦٠٤ م) وبلغ عدد الأفراد المقيمين بها سنة ١٠٧٠هـ /١٦٦٠م أربعة وأربعين حارساً . ووجود هذا العدد كان دليلاً واضحاً على أهمية هذه القلعة ، لما توفره من حماية للقوافل التجارية وللمسافرين وخاصة من خطر البدو .

١١- العلاقة الوطيدة بين دمشق وغزة :

بعد الفتح الإسلامي أصبحت غزة تابعة لدمشق ، تحت اسم (كورة غزة) وهو مصطلح إداري استخدمه المسلمون بما يعادل منطقة او ناحية اليوم ، وهذا ما ذكره ابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) وكذلك ذكرها القلقشندي

(ت ١٤١٨ م) أنها من أعمال دمشق تحت اسم "عمل غَزّة" وظلت كذلك في العهد العثماني ، بعد فتح السلطان سليم الأول دمشق ، اتجه إلى غزة عام ١٥١٧ م فاتحاً ، إذ ألقت غزة سلاحها ، ولم تعمد إلى أية مقاومة ، وأصبحت سورية فيما بعد ، ثلاث ولايات هي دمشق وحلب و طرابلس

وكانت ولاية دمشق قد اتسعت في العهد العثماني بإضافة القدس وصفد و غزة إليها ، ودعيت غزة إدارياً سنجق غزة.

ذكر محمد ابن كنان الدمشقي (ت ١٧٤٠ م) أن ((الصفقة الغربية [أي الناحية التابعة لدمشق]هي بلاد غزة وما جاورها ثم قال: تسمى نيابة غزة..))

كانت دمشق تجبي الضرائب من غزة ، إذ روى التاجر الانكليزي ساندس Sandoys عام ١٦١٠ م انه رأى في مدينة غزة قوة من السباهية، تقدر بمائتي فارس جاءت بأمر من والي دمشق مراد باشا ، لتحصيل الأموال السلطانية المترتبة على سنجق غزة .

*   *

في دمشق سجل وحيد يعود لمحكمة غزة يضم حوالي ٢٧٤٥ وثيقة تعود للأعوام ١٢٧٣-١٢٧٧ هـ / ١٨٥٧ /١٨٦١ م

تم استخلاص النتائج التالية :

غزة تابعة لمتصرفيية القدس . وهي قائمقاميه يقيم قائمقاميه في سراي غزة غير بعيد من الجامع الكبير، يهتم بالخزينة فيها ، وبسكانها وتأمين الأمن في الطرق، وفيها قاضي حنفي وشافعي على غير العادة ةفي المدن قد يكون هناك أكثر من قاضي ولكن مفتي واحد .

ويضم سنجق او لواء غزة او قضاء غزة عدد كبير من القرى، يرأس كل منها شيخ القرية وكان في المدينة مشايخ الحارات ومختار المحلات . ولا تذكر الوثائق حي خاص باليهود، بل بعض اليهود الذين جاءوا مؤقتاً للتجارة أو قضاء حاجة ثم جاءت دراسة دراشركات caatt عن غزة ١٨٧٧ بعد كتاب بايدكه الألماني ذكر حارات غزة ((هي ١- الزيتون ٢- اليهود ٣- النصارى ٤- المسلمين ٥- الفواخير ٦ - الدرج ٧- بني عامر٨-الشجاعية٩-التفاح)).

فهل جاء اليهود مؤخراً ؟ كذلك سجلات القرن السادس عشر العثماني لم تذكر وجود اليهود فيها إلا بعدد قليل، أما وجود النصارى في غزة فقد ذكرتهم ومكان تواجدهم في حي الزيتون، هؤلاء اليهود حوالي ثلثهم كما تقول وثائق سجل عام ٩٢٢ هـ/ ١٥٢٥ - ١٥٢٦ م كانوا من المغرب بنتيجة هجرة السفارديم من اسبانيا، ولكن وثائق هذه الفترة لم تشر إلى حي خاص بالنصارى، بل كانوا موزعين في المحلات و اليهود قلة جداً إذ لم يردوا في وثائقهم.

ومما يشير إلى هجرة اليهود إليها بعد عام ١٨٦١ م .أما النصارى فهم من أصل السكان و يدعون نصارى غزة، وقد ذكر د.سورديل أن عدد سكان غزة ١٨٨٢/

١٦.٠٠٠ نسمة وعام ١٩٠٦م/ ٤٠.٠٠٠ نسمة منهم ٧٥٠ مسيحياً و ١٦٠ يهودياً، كما ذكرت الوثائق في منتصف القرن التاسع عشر وجود عدد كبير من المساجد و الجوامع ، مما يدل على تاريخ حافل فيها، فكل بناء فيه تاريخ لأسرة أو جماعة ، وكثرتها تدل على درجة تدين أهلها العالية وهناك مسجد وزاوية الهنود ، ولعلهم جاءوا من الهند فبنوا هذه الزاوية .

الشارع يسمى كما في مصر خط، كذلك كان هناك خط مسجد ولي الله تعالى الشيخ علي الأندلسي ، كما ورد اسم مسجد الأندلس ومسجد ولي الله تعالى محمد المغربي وزاوية المغاربة ولعل المغاربة، قد جاءوا أيضاً من الأندلس مع اليهود وبعد طردهم من أسبانيا، لذلك وجدنا العياشي المغربي قد اهتم بوصفها، وخط الشيخ الياس . وقدر عددها حينذاك بـ ٤٦ مسجداً وجامعاً، وأحد مساجدها قد خرب أثناء حملة نابليون بونابرت عليها.

كما كان في غزة بعض الأرمن، إذ كان صراف كمرك غزة يدعى زنون الأرمني، ودلت الوثائق إلى أن شعب غزة فتي مع كثرة الأناث فيه، وأقل مهر للبالغة أربعمائة قرش وأعلى مهر بلغ ١١.٠٠٠ قرش وكان الزوج ابن أمير بدوي . وهذا استثناء، فأعلى مهر هو ٥٥٠ قرش . تمتعت المرأة في غزة وريفها بقدر كبير من الاستقلال في العمل وقد تظهر في المحكمة بنفسها . كذلك وجود الجوارى، إذ ((بيعت جارية سمراء في تركة احمد عودة البطل بثمن قدره ٢٥٠٠ قرش)).

أما الكتلة السكانية في ريف غزة فقد كانت من البدو يرأسهم آل الحسيني، وهم من أسرة واحدة هي الوحيدات، وأصلهم يمت إلى الحسين بن فاطمة الزهراء . كذلك ورد ذكر عرب السواركة شرق غزة ...

كان في غزة خانات أهمها خان الزيت (من أوقاف آل رضوان) وخان الكتان وخان الجمالي، وأسواق متخصصة ببيع منتجات معينة كسوق الاسكافيه وسوق السراجين و سوق الخضر وسوق الحمير خارج غزة بظاهرها وسوق المسلخ، وصناعات كصناعة الفخار والمصابن و الصباغة و المعاصر للزيت أو السمسم أو عصر العنب للدبس والحياكة .

و أما الأوقاف فأهمها لآل الرضوان (النصف الثاني من القرن ١٦) بل كان لهم أوقاف ليس في غزة فحسب ، بل حتى في حلب الشهباء وضواحيها . كما وجد أوقاف أوقفتها النساء الغزاويات . كما أنهم كانوا يتعاملون مع معظم العملات الأوربية (الايطالية و السلافية و الفرنسية)

هذه الأوقاف الكثيرة ليست في غزة فقط بل في القدس و الرملة ونابلس،لكن معظمها خصص للحرمين الشريفين، وهو أكبرها .

أما الفلاح الفلسطيني بالرغم من الظلم الذي عاناه، فإنه كما قال العياشي عنه "وفلاحة بلاد الشام كلها أهل كرم وصدق ووفاء "

هذه هي غزة في ألقها الحضاري ، وصمودها الغزاوي عبر التاريخ ... إنها بحق تستحق ترديد قول أسلافنا عنها بـ "غزة المحروسة " فليحرسها الله من شر الغزاة.

المراجع

١- ابن الجيعان : القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف بيروت ١٩٨٤.

٢- ابن خرداذبه : المسالك والممالك دمشق ١٩٩٩

٣- ابن شداد – عز الدين : تاريخ الملك الظاهر – المانيا ١٩٨٣

٤- ابن شداد : النوادر السلطانية دمشق ١٩٧٩

٥- القلقشندي : صبح الأعشى – السفر الخامس- دمشق ١٩٨٣ .

٦- الواقدي : فتوح الشام دمشق ١٩٨٦

٧- ايرامارنين لابيدوس : مدن الشام في العصر المملوكي – دمشق ١٩٨٥

٨- إحسان عباس : تاريخ دولة الأنباط – عمان ١٩٨٧

٩- إحسان عباس : مدن بلاد الشام – عمان ١٩٨٧

١٠- أسامة بن منقذ الكناني : من كتب الاعتبار – دمشق ١٩٨٠

١١- ب.م. دانتسيغ : الرحالة الروس في الشرق الأوسط دمشق ٢٠٠٨.

١٢- ستيفن رو نسيمان : تاريخ الحروب الصليبية – بيروت ١٩٦٧م ٣ مجلد .

١٣- سعيد عاشور : الحركة الصليبية القاهرة ١٩٧١م ط٢ / ٢مجلد .

١٤- سهيل زكار: الحروب الصليبية – دمشق ١٩٨٤م /٢/ جزء .

١٥- سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية – دمشق ١٩٩٥م الجزء السابع

١٦- شهاب الدين المقدسي (أبو شامة) عيون الروضتين في أخبار الدولتين ٢ جزء دمشق١٩٩٢م

.

١٧- عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية بيروت ١٩٩٩.

١٨- فيليب حتى : تاريخ سوية بيروت ١٩٨٢ م - ٢ جزء.

١٩- مجلة الكويت العدد ٢٩ يناير ١٩٨٥ م .

٢٠- مجلة المتحف - الكويت العدد /٢/ ١٩٨٥م والعدد /٣/ ١٩٨٧م .

٢١- مجلة المستقبل العربي عدد ٦ / ١٩٧٩ مقال للدكتور إحسان عباس

٢٢- مجلة دراسات تاريخية -العددان ٨-٩ دمشق ١٩٨٢ بحث للدكتور عبد الكريم رافق عن غزة

٢٣- مجلة عالم الفكر مجلد ١٥ عدد ٣ / ١٩٨٤ بحث لمصطفى العادي : نصتان في ضوء الوثائ البردية

٢٤- محمد الأمين المحبي: خلاصة الأثر دمشق ١٩٨٣م .

٢٥- محمد بن كنان الدمشقي : المواكب الإسلامية ٢ جزء دمشق ١٩٩٣

٢٦- نوفان رجا الحمود : العسكر في بلاد الشام - بيروت ١٩٨١ .

٢٧- هنرييت عبودي : معجم الحضارات السامية بيروت ١٩٩١ .

٢٨- ول ديورانت : قصة الحضارة

٢٩-ولتركيغي : بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة دمشق ٢٠٠٢ م

٣٠–ى . بيكرمان : الدولة السلوقية – دمشق ١٩٩٣
٣١– ياقوت الحموي : معجم البلدان
وغيرها من المراجع المصادر و الموسوعات

الفهرس

---

*

صدر للمؤلف فايز قوصرة

١-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول، حلب ١٩٨٥م.
٢-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني، حلب ١٩٨٨م.
٣-حصن شغر – بكاس (حطين الثانية).
٤-حارم دمشق الصغرى، ١٩٨٨ (نفد).وقد تم طبع نسخة جديدةالكترونياً،مع زيادات
٥-قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥م، وآخر بالانكليزية.
٦- من إبلا إلى إدلب، ٢٠٠٤م.

٧-ولاية الفوعة –حلب ٢٠٠٨ م تم إنجازه ثانيةpdf
٨-التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب، دمشق، وزارة الثقافة ٢٠٠٦. (نفد).تم إنجازه ثانيةpdf
٩- الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو)، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م. (نفد). تم إنجازه ثانيةpdf
١٠- إدلب ... البلدة المنسية – دراسة تاريخية ميدانية. في ثلاثة مجلدات(منجزالأول في ٢٠١٩م) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١١-الحلة السنية في الرحلة الشامية-رحلة محمد الكيالي ١٨١٦/ ١٨١٧م من تحقيقنا(منجز)pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٢- أضواء جديدة في تاريخنا الأثري(دراسات في الحواضر السورية) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٣- شهبا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج) pdf منجز في ٢٠١٩م)
١٤-آثارنا في لوحات فوغويه (منجز)pdf في ٢٠١٩م)
١٥–جولة في متحف ادلب (منجز)pdf
١٦- جولة أثرية في جبل باريشا – محافظة ادلب (منجز).

١٧- جولة في متحف معرة النعمان (قيد الإخراج)

- وعي الزمن التاريخي-(منجز)pdf

خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب)مطبوع و (منجز)pdf

وله قيد الإعداد :

من سلسلة الجولات:

جولة أثرية في جبل الأعلى – محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة أثرية في جبل الزاوية – محافظة إدلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الحلقة وسهل الدانا- محافظة ادلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الوسطاني - محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

رحلة مع نهر بردى (قيد الإخراج)

رحلة تاريخية مع نهر العاصي(قيد الإخراج)

رحلة مع نهر قويق(قيد الإخراج)

عرب على عرش روما (قيد الإخراج)

إبلا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

ملكات عربيات-(قيد الإخراج)

دافني في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

لقمان في وصاياه وحكمه (قيد الإخراج)

د ليل أسماء مدن ،وقرى محا فظة ادلب (قيد الإعداد)

مملكة أرواد الفينيقية (قيد الإخراج)

حواضر بلاد الشام في أقدم الصور (قيد الإعداد)

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

عجائب مريم—تحقيق مخطوطة

صحائف سوداء،وبيضاء (مذكرات فايز قوصرة)





المؤرخ فايز قوصرة



أضواء جديدة
في
تاريخنا الأثري

